دار الكتاب الصوفى

تقـــــــدم

الإمام أبو العزائم

وقضايا عصرية

للامام المجدد السيد محمد ماضي ابوالعزائم

مسجده وضريحه ومكتبته العلمية بالقاهرة
ومشيخة الطريقة العزمية
السيدة زينب تقاطع شارع مجلس الشعب مع تقاطع شارع بورسعيد
تليفون المكتبة / 002 022 3901030

الإمام أبو العزائم عليه السلام **وقضايا عصرية**

عُنى بطبعه

السيد محمد علاء الدين ماضى أبو العزائم عليه السلام

الخليفة الثالث

جميع حقوق الطبع
محــفــوظــة
لدار الكتاب الصوفى

١١٤ ش مجلس الشعب – القاهرة
ت : ٣٩٠١٠٣٠ فاكس : ٣٩٠٨٨٤٨

الطبعة الأولى

رجب ١٤١٩ هـــ – نوفمبر ١٩٩٨ م

رقم الإيداع

٩٨/١٥١٥٦

I. S. B. N.
977-5273-40-4

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

الحمد لله الذى بعث فى رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها، وأقام فى كل عصر من يحوط هذه الأمة بتشييد أركانها، وتأييد سننها وتبيينها. أمره قضاء وحكمة، ورضاه أمان ورحمة، يقضى بعلم، ويعفو بحلم.

اللهم لك الحمد على ما تأخذ وتعطى، وعلى ما تعافى وتبتلى، حمداً يكون أرضى الحمد لك، وأحب الحمد إليك، وأفضل الحمد عندك.

والصلاة والسلام على من افتتحت به سبحانك عوالم الظهور، وأمددت من شمسه ﴿ﷺ وآله﴾ أنجم الهداية. وكواكب النور. الممد لكل نجم مشرق فى هذا الأفق، ولكل بدر كامل وهلال. الخاتم بسر افتتاحه ما سبق، سيدنا ومولانا محمد، عبد الله ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

تقدم دار الكتاب الصوفى التابعة لمشيخة الطريقة العزمية الطبعة الأولى لكتاب (الإمام أبو العزائم عليه السلام وقضايا عصرية) والذى يتناول العديد من قضايا هذا العصر ومشكلاته، ويضع لها الحلول النافعة، وهو يضم ذلك فى خمسة فصول هى:

١ - قضايا عقائدية. ٢ - قضايا علمانية. ٣ - قضايا سلفية.

٤ - قضايا صوفية. ٥ - قضايا إسلامية.

والإمام أبو العزائم عليه السلام هو النجم الثاقب الذى يتوهج فى سماء الدلالة على الله فى عصرنا لأنه:

- أملى تفسير القرآن الكريم وعلومه، ففاق خلاصة ما جادت به قرائح العلماء الأعلام.

- أملى الفقه وأصوله، فقلنا: لا يعرف غير ذلك.

- أملى علم التصوف النقى بلا شوائب، فألزم أهل عصره بالرجوع إلى ما أملى.

- رد على اليهود والنصارى والمستشرقين، فوجدناه سيفاً مسلولاً على أعداء الله.

- أملى المواجيد والقصائد فعدت بعشرات الآلاف فلا ينافسه أحد من السابقين.

- أملى ما يقرب من مائة فتح فى الصلوات على سيد الكائنات ﴿ﷺ وآله﴾ فلو جمع ما قيل قبله ما بلغ ما أملاه.

- أملى، وأملى، حتى غدت مؤلفاته مجتمعة خلاصة لكل ما فى التراث الإسلامى فى عدد كبير من فروع العلوم، والفنون.

بل يصعب أن نجد علماً من علوم الشريعة أو الحقيقة ليس للإمام أبى العزائم عليه السلام سهم فيه.. وتلك خصيصته لم يرق إليها، ولم يقو على النهوض بها من أعلام عصره إلا هو.

وعلى الرغم من علو معارف الإمام أبى العزائم وسموها، فإننا نجد فيه التواضع الجم، والأدب العالى، والذوق الرفيع وهو يقول: (يابنى إذا وجدت من هو أعلم منى فدلنى عليه كى أبايعه معك، واستغفر الله لى أننى قد حجبتك عنه).

وإنا نشهد الله تعالى ورسوله ﴿ﷺ وآله﴾ أننا يا إمام حتى الآن لم نجد من هو أعلم منك فى هذا العصر، وإن جهلنا أحداً فليدلنا من يعلَمه عليه.

نفعنا الله بعلوم إمامنا وأسراره ومدده، وجمعنا معه على سيدنا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فى الدارين، وأبتهل إلى الله أن يمدنى بالتوفيق، ويلحظ عملى بعين القبول.. إنه حميد مجيد.

الإمام أبو العزائم عليه السلام **وقضايا عصرية**

دار الكتاب الصوفى

الخليفة الثالث

بمصـــر والعالم الإسلامى

السيد محمد علاء الدين ماضى أبو العزائم عليه السلام

فى يوم الاثنين

٢٧ رجب ١٤١٩ هـ

١٦ نوفمبر ١٩٩٨م

الإمام أبو العزائم ﷺ وقضايا عصرية

هذا الكتاب الهام الذى اشتاقت إليه أرواح الكثيرين من تلاميذ الإمام ومحبيه وعارفى فضله، بل الأمة الإسلامية بأسرها لأنه يعالج الكثير من أمراض عصرنا، ويحل مشكلاته بأسلوب يتناسب مع روح العصر. وبحكمة الحكيم لا نجد علماً من علوم الشريعة أو الحقيقة ليس للإمام أبى العزائم ﷺ سهم فيه.. وتلك خصيصته لم يرق إليها، ولم يقو على النهوض بها من أعلام عصره إلا هو.

وهذا الكتاب يحتوى على فاتحة وخمسة فصول:

الفصل الأول: قضايا عقائدية.

الفصل الثانى: قضايا علمانية.

الفصل الثالث: قضايا سلفية.

الفصل الرابع: قضايا صوفية.

الفصل الخامس: قضايا إسلامية.

ودار الكتاب الصوفى إذ تقدم هذا الكتاب الهام تدعو الله مخلصة أن ينفع به المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها.. وهو حسبنا ونعم الوكيل.. نعم المولى ونعم النصير.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل الأول

عقـــــائد

تسامح الإسلام مع الأقباط

فتحت مصر فى السنة العشرين من الهجرة فمضى على فتحها ألف وثلاثمائة وثلاثون سنة- وقت إملاء الإمام للكتاب- ولا فرق بين المسلم والقبطى فى الأمور الاجتماعية وإنما كان الفرق بينهم فى وقت العبادة، فكان المسلم فى دار يسمى المسجد، والقبطى فى دار تسمى الكنيسة، فإذا خرج كل واحد منهم من دار عبادته تبادلوا الصفاء والوفاء والمنافع العامة. وقف القبطى أمام الإمام الأعظم يشكو ابن أمير مصر فاقتص له بأن أمر القبطى بلطم ابن أمير مصر، وقال له مثلما قال، حتى أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عظيماً من عظماء الصحابة يسمى مسلمة وكان من الفاتحين لمصر أن يهدم دوراً أعلى بناه فوق داره محافظة على أعراض الأقباط أن ينظر إليهم من نوافذه، عملاً بوصايا النبى ﴿ﷺ وآله﴾، ورحمة بمن ولاهم الله أمورهم. حتى كان عهد الحروب الصليبية التى أثارت الضغائن ضد النصارى بما ارتكبوه من الظلم، فكان القبطى والمسلم سواء فى المعاملة محافظة على وصايا القرآن المجيد، ودام الأمر كذلك إلى أيام نابليون حيث شذ بعض الأقباط فاتحدوا مع الفرنسيين، والتاريخ أنبأنا عن مظالم نابليون، ورجعوا إلى ما كانوا عليه معتقدين أن الأمة لا تزول، وأن الظلم مرتعه وخيم، وكان أحرص الناس على الصفاء بين الأقباط والمسلمين هو البطرك (أنبا كرلس) الذى عمر فى البطركية عمراً طويلاً، وكم دعاه الإنجليز أن يدخل تحت حمايتهم فأبى، حتى خالفه أبناؤه ونفته الحكومة إلى الدير، ولكن حرصه على خير طائفته أرجعه إلى كرسيه ومات وهو على تلك العقيدة، حتى تولى البطرك الجديد ولا يعلم إلا الله نواياه لطائفته، مضى على الأقباط أكثر من ألف سنة وهم يتقاضون فى أمورهم الشخصية ومعاملاتهم الزمنية أمام القاضى الشرعى مطمئنة قلوبهم بالحق حتى فى زمان الاحتلال، وقاتل الله السياسة، نسى الأقباط ما يجب عليهم بالنسبة لأنهم أقلية فى أمة مسلمة أحسنت إليهم أيام كان لها الحول والطول ولا تزال تفيض عليهم الإحسان هيلاً من غير كيل.. فكان بالأمس رئيس مجلس نواب الأمة قبطياً، ووزير

ماليتها قبطياً، وكل دواوينها للأقباط فيها الكلمة النافذة. والأقباط مع أقليتهم أصبحوا فى الأمة أصحاب رءوس الأموال وأصحاب التجارات والمصانع بعد أن كانوا وكلاء وأمناء وكتبة لأغنياء الأمة وأمرائها،كل ذلك بفضل الإحسان إليهم والتسامح لهم، حتى أصبحوا ومنهم من يطعن فى الإسلام، ومنهم من يقف على المنابر فيذم وينبذ أشراف الأمة غير هيّاب ولا وجل.. ومنهم من تظاهره الأمة فتهتف باسمه وتحييه، وتتظاهر على أفذاذ الأمة العاملين لخيرها نصرة له، ولكن صدق العربى فيما قال:

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف فى موضع الندى

وكنا ننتظر بعد أن كتب الشيخ المراغى شيخ الجامع الأزهر سابقاً ما كتبه نصرة للأقباط أن يرجعوا إلى ما كانوا عليه قبل الاحتلال، وأن يطفئوا نار الفتنة التى كان الواجب أن لا ينتطح فيها كبشان، ولا يرفعوا لمندوب الإنجليز الاستغاثة على قاضى المحكمة الشرعية الذى تصرف فى حقه وأدى الواجب عليه بنص الشريعة والقوانين المرعية والعادة السابقة.. والمسألة جزئية صغيرة، من الأدب أن لا يفتح على الأمة بسببها ثلمة فتنة فى ثغرها، فتثير عواطف أعضاء الأمة بعضها على بعض ولديها يفقد الأقباط ما شيدوه من المجد المزيف والسيادة التى لا يستحقونها حيث يندمون ولات حين مندم، وكأن القوم يتربصون بالإسلام الدوائر.. فمرة يقف قبطى- كان أقل من أن يرفع صوته على أحقر مسلم- فيمس جانباً تسفك الدماء دون الوصول إليه، ثم يقومون فيستغيثون بالإنجليز ليتدخلوا فى شأن من الشئون، يتأدب كبير الإنجليز وصغيرهم إذا حكم هذا الحكم على عظيم من عظمائهم أن ينبذ ببنت شفة احتراماً لدين يعلمون قدره، وقد اعتنقه كثير منهم فى بلادهم، وشيدوا له المعابد هناك، وكتبوا عنه فى كتبهم.

ولو علم الأقباط أن الإنجليز يحترمون الإسلام ويعتمدون على أهله فى كل مستعمراتهم، لمنعهم علمهم بالحقيقة عن أن يفتحوا باب شر بين المسلمين والإنجليز: وهنا أتقدم للأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار بالشكر والثناء على قيامه بواجب عليه

فى هذا العصر والرجال قليل.

وأرجو من حضرة بطرك الأقباط بمصر الآن أن يسلك مسلك سابقه، وأن يعتقد أن الدول تدول والأمم باقية، وأن يحفظ لطائفته فى قلوب المسلمين بقية ينتفعون بها بعد جلاء الإنجليز عن مصر الذى لابد منه قريباً، وإن كان الدين الإسلامى يوجب علينا الرحمة وحسن المعاملة مهما كانت الحال الداعية لإثارة الخواطر فإن العاملين بدينهم فى هذا العصر قليل، ورحم الله سعد زغلول فإنه كان حسن الظن بالأقباط جداً حتى جعل بعضهم أبناء له ورفعهم فوق كل رجل فرد فى مصر، وبذلك وثق المسلمون بهم ثقة عمياء جعلتهم ينسون هذا الإحسان وينقلبون بالشر، والحكيم يعمل لمستقبله لا لوقته.

حقيقة اليهودية والنصرانية

هل يوجد دين اسمه اليهودية أو دين اسمه النصرانية؟

قال تعالى:﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(البقرة:١٣٣).

ينكر الله تعالى على اليهود من بنى إسرائيل قولهم ما مات نبى إلا على اليهودية، فيثبت فريتهم على الأنبياء، مثبتاً أنهم لم يحضروا وقت موت يعقوب، و لم يسمعوا وصيته لأبنائه عند موته، مبيناً سبحانه للمؤمنين من أصحاب رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ حقيقة الأمر، وتلك الآية معجزة عظمى لرسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، لأنه نشأ بين جاهلية عمياء صماء، لا علم لهم بتلك الأحداث، من أين علم هذا إلا من الله تعالى؟، وهو معنى المعجزة.

وتلك الأحداث لا يعلمها إلا أحبار اليهود، ويعاندون فينكرون هذا السر، ويدعون أن الخليل وابنه إسماعيل وإسحق بل ويعقوب وبنيهم لم يعلموا بشئ اسمه يهودية ولا نصرانية إلى زمان موسى، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (آل عمران: ٦٧)، فإن بدعة اليهودية والنصرانية كانت بعد الخليل وأبنائه جميعا، فرد الله عليهم فريتهم بقوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ ﴾، أى: حضوراً، وقت موت يعقوب وساعة وصيته لأبنائه: ﴿ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٢)، فحكم الله لهم أنهم كانوا مسلمين لا يهوداً ولا نصارى، وقول يعقوب عليه السلام حين موته: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي ﴾ الآية، بل ولا سمعتم إجابتهم لوالدهم حيث قالوا: ﴿ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الآية، ولما كان قولهم: ﴿ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ

وَإِسْمَاعِيلَ ﴾ إلخ الآية؛ ربما ظن الجاهل أن الآلهة متعددون بينوا كل البيان خوفاً من اللبس بقولهم: ﴿ إِلَـهاً وَاحِداً ﴾، والمراد أن إله يعقوب وإبراهيم وإسماعيل وإسحق ﴿ إِلَـهاً وَاحِداً ﴾ كما قال تعالى: ﴿ وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ ثم قصم الله ظهورهم بكمال قول الأسباط وهو:﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾، فثبت أن اليهودية بدعة ليست من إبراهيم فى شئ.. ومعنى هاد يعنى رجع، وقد قال بنو إسرائيل فى زمان موسى مخبرين عن أنفسهم عند توبتهم من عبادة العجل: ﴿إنا هدنا إليك﴾ أى: رجعنا إليك، فظهر أن اليهودية ليست ديناً، ودعواهم أنها دين لكل الأنبياء من قبل، بهتان وبدعة ابتدعوها لأنفسهم، ما أنزل الله بها من سلطان.

كما أن النصرانية ليست ديناً، ولكن عيسى عليه السلام كان من بلدة تسمى (ناصرة)، فكانوا يقولون: عيسى الناصرى، فابتدعوا لهم ديناً يسمونه (نصرانى)، وهم كاذبون فى كل ذلك، تقهرهم الحقائق التى وردت فى التوراة والإنجيل والقرآن، بل وفى سير الملوك والأنبياء، فثبت أن دين الله تعالى هو الحنيفية البيضاء التى ليلها كنهارها، وهى التى كان عليها الخليل إبراهيم عليه السلام، ووصى بها بنيه، وعاهدهم أن يموتوا على الإسلام، ومن العقيدة الإسلامية أن يعتقد كل مسلم أن الأنبياء جميعاً ماتوا مسلمين، ولم يكن لهم دين غير دين الإسلام، قال تعالى: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ ﴾ (الحج: ٧٨)، فإن دينهم كان اعتقاد توحيد الله تعالى، وإخلاص العبادة لذاته العلية، وقد جاءنا رسول الله ﴿ صلى الله عليه وسلم وآله﴾ فكشف الحجاب عن أسرار العقيدة وغيوبها، وبين لنا ما يحبه الله ويرضاه من عبادته، صلاة وصياماً وزكاة وحجاً وجهاداً، ومن حسن معاملة خلقه فى أن يحب كل مسلم لأخيه ما يحبه لنفسه، ومن جمال الأخلاق التى هى أخلاقه سبحانه وتعالى.

ثم بين لنا ﴿ صلى الله عليه وسلم وآله﴾ الحقائق التى يجب علينا أن نؤمن لها، التى جاءتنا من طريق النقل، كأن نؤمن بالجنة والنار والصراط والميزان، وبالوقوف بين يدى الله، وبواسع رحمة الله تعالى وعفوه، وبشديد عذاب الله، وبما هنالك مما لم يسطر على الأوراق، مما أخبرنا به رسول الله ﴿ صلى الله عليه وسلم وآله﴾ من قوله: (فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا

خطر على قلب بشر)، كل ذلك جاءنا به رسول الله ﴿ﷺ وآلــه﴾، ولم يــأت في الأسفار السابقة، وبذلك كان رسول الله خاتم الأنبياء، يعني لا نبي بعده، ومن ادعــى النبوة بعده كفر ووجب قتله، قال الله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْــتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾ (المائدة: ٣).

قضية صلب وقتل المسيح

يزعم اليهود أنهم قتلوا السيد المسيح، والنصارى يزعمون أنه صلب ثم قام ورفع فما حقيقة ذلك؟.

إن الإله أحد لا يتركب من ناسوت ولاهوت، ولا يتجزأ، ولا يتبعض، ولا يقال فى حقه مات و لم يمت وأهين و لم يهن، وإنما ذلك يكون فى حق البشر، وهذا القدر يكفى فى إثبات النقيصة، وإن قالوا: إن الإله حل فيه وجعله مسكناً وبيتاً وفارقه عند ورود ما ورد على الناسوت فقد أبطلوا ألوهيته، وقلنا لهم: أليس قد أهين؟ وهذا يكفى فى إثبات النقيصة إذ لم يستنكف اللاهوت أن تنال مسكنه هذه النقائص، فإن كان قادراً على منعها و لم يفعل فقد أساء مجاورته ورضى بنقيصته، وذلك عائد بالنقص عليه فى نفسه. وإن لم يكن قادراً فهو أبعد عن صفات الألوهية. وهؤلاء ينكرون إلقاء الشبه ويقولون: لا يجوز ذلك لأنه إضلال.. ويكفى فى إثباته أن المصلوب قال: إلهى إلهى لم تركتنى وخذلتنى؟! وهو ينافى صفات المسيح من الرضا بمر القضاء والتسليم لأحكام الله. وأنه شكى العطش وطلب الماء، والإنجيل مصرح بأن المسيح كان يطوى أربعين يوماً وليلة، وهذا يثبت أن المصلوب هو المشبه لا المشبه به.

نعم، قتل اليهود إنساناً وظنوا أنهم قتلوا المسيح وقالوا: ﴿ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ (النساء: ١٥٧)، ولكن من هم الذين قتلوا؟ ومن هو الذى قتل؟ هل الذين قاموا بالقتل كانوا يعرفون المسيح حتى تكون شهادتهم صادقة؟ وهل قاموا بقتله نهاراً أمام الملأ حتى يكون الخبر متواتراً؟ وهل قتلوه تنفيذاً لحكم حاكم حتى يكون التاريخ شاهداً على واقعة قتله وصلبه؟ كل ذلك لم يكن منه شئ، خصوصاً وأن المسيح عليه السلام كان له أتباع كثيرون يحبونه، ورجال الحكومة الرومانيون يعظمونه، وإنما الذى أحضره اليهود هو يهوذا الإسخريوطى ولما قبضوا على المسيح عليه السلام اختفى تلاميذه و لم يبق معه إلا يهوذا.

أما تلاميذ المسيح عليه السلام فقد تفرقوا وكتبوا أناجيلهم المشهورة، وأما يهوذا فلم يعلم له خبر و لم يعثر له على أثر.

ويبرر النصارى- القائلون: إن المسيح ابن الله- صلب المسيح عليه السلام بتأويلات مخجلة، تخجل العقول الصغيرة- فضلاً عن العقول الكبيرة- عن ذكرها، ويكذبها التاريخ والحقيقة وسنة الله فى رسله، فيقولون: صلب الرب ابنه الوحيد ليخلص به العالم من خطيئة آدم. فنقول لهم: متى كان الرب- تنزهت ذاته وأسماؤه وصفاته- ظالماً حتى يحمل خطيئة آدم عليه السلام لأبنائه من بعده؟ ومتى كان الرب سبحانه عاجزاً عن أن يغفر لآدم خطيئته حتى خلصه منها بصلب ابنه؟ ونقول لهم مرة أخرى: هذا الرب الظالم العاجز ليس هو رب العالمين. ونسألهم: ما هى خطيئة آدم التى بلغت حد الظلم الذى عجز الرب أن يخلصه منه إلا بقتل ابنه الوحيد؟ خطيئة آدم هى أن الله أمره ألا يأكل من شجرة التين أو الحنطة كما هو مبين فى التوراة، فجاء الشيطان لزوجته وحلف لها وخدعها حتى أكلت منها، وخدعت هى آدم حتى أطعمته منها، هذه الخطيئة التى أخطأها آدم، والكتب السماوية جميعها مجمعة على ذلك، ومجمعة على أن الله آخذه بها فوراً وأهبطه إلى الأرض ثم تاب عليه وغفر له، ومجمعة على أن الله تبارك وتعالى لا يؤاخذ الولد بذنب أبيه، ولا الوالد بذنب ابنه، ولا الجار بذنب جاره، وتعالى الله عن نسبة الظلم إليه سبحانه علواً كبيراً.

فإذا كان أكل تينة أو سنبلة من الحنطة تكون خطيئة آدم ولجميع ذريته ويعجز ربنا سبحانه أن يخلصه منها بكلمته ومغفرته وعفوه، ويكون الرسل والأنبياء جميعاً عليهم الصلاة والسلام مخطئين ظالمين بعيدين عن الرب وليسوا أهلاً لأن يكونوا رسلاً ولا هداة، لأنهم لم يخلصوا من خطيئة أبيهم آدم حتى جاء اليهود وخلصوا آدم وذريته من الخطيئة بقتل ابن الله، وإذا كانت خطيئة آدمٍ باقية عليه هو وذريته، كيف يصطفى سبحانه من ذرية آدم الخاطئين أنبياء ورسلاً ؟ هل اصطفاهم الله سبحانه وكانوا خاطئين؟ أم كيف اصطفى الله العذراء مريم عليها السلام على نساء العالمين لتكون أماً

لابنه الوحيد كما تزعمون؟ أليست هى من ذرية آدم ويجرى عليها ما يجرى على آدم وذريته، وتظل خاطئة حتى يأتى اليهود ويقتلون ابنها ليطهروها من خطيئتها؟ وإلا فماذا تقولون أيها المتأولون المصدقون لقول الكافرين بالمسيح القاذفين أمه فى أعز شئ تملكه المرأة وهو شرفها؟ وأليس اليهود الذين قتلوا المسيح- الذى تدعون أنه ابن الله- من ذرية آدم؟ وأن يعجب العقل السليم بأن أكل تينة تجعل آكلها يخطئ ويبقى عليه وزرها هو وذريته الذين لم يكونوا معه حين أكلها وأخطأ تلك الخطيئة، فكيف تكون خطيئة من قام فقتل ابن الله؟ وكيف يخلص الله الناس من خطيئة أكل تينة بجريمة قتل المسيح؟ إنه العجب العجاب!! ولكنه فساد العقول بتقليد الآباء، وظلمة القلوب المتعصبة للرأى والمذهب بغير الحق.

ولو سلمت العقول من مرض تقليد الآباء، واستنارت القلوب وتخلت عن التعصب للرأى والهوى، لحكم الإنسان بأن الذى نصر نوحاً على قومه، وأنجى إبراهيم من النار، ونصره على النمروذ، واستجاب نداء يونس وهو فى بطن الحوت، ورد موسى إلى أمه ونصره على عدوه، وأغرق فرعون وجنوده، وحفظ رسله من كيد أعدائهم، قادر أن يعامل المسيح بسنته التى قد خلت فى رسله من قبل وينجيه من اليهود، ويرفعه إلى السماء، ويوقع يهوذا الإسخريوطى فى شر عمله ويلقى عليه شبه المسيح، ويقتله اليهود ظناً منهم بأنه المسيح عليه السلام، ويقولون للناس: إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم، تبجحاً بالجريمة.

ثم يكشف ربنا سبحانه وتعالى عدم تيقنهم من صلبه فيصف حالهم بقوله: ﴿ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ﴾ أى: لفى حيرة وتردد فى حقيقة أمره لأنه لم يتبين لهم أمره ببرهان تقوم به حجة قوية يحكمون بها حكماً قاطعاً فى حادثة القتل والصلب، ويستعمل الشك فى الأمر إذا تساوى طرفاه، والشك ضد اليقين، والشك أيضاً هو التردد بين أمرين بحيث لم يترجح أحدهما على الآخر، والشك هو الجهل، وهو المراد هنا ولذلك أكده بنفى العلم الشامل بقوله سبحانه: ﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾، أى: إن هؤلاء الذين اختلفوا لفى جهل شامل بحقيقة أمره، ما عندهم من علم قطعى تسكن به النفس

بالاعتقاد الجازم أن الذى قتل هو المسيح أم غيره، لكن يتبعون الظن المبنى على القرائن التى ترجح بعض الآراء الخلافية على بعض، والحقائق لا يكون الوصول إليها بالشك والظن والتخمين، إنما طرق وصولها إلى العقل أو وصول العقل إليها للحكم فيها يكون الحس الصحيح، أو الخبر الصادق، أو العقل الكامل، هذه الطرق الثلاثة هى التى يجب أن تكون القنوات الموصلة للحقائق إما بجميعها أو بطريق منها على الأقل، و لم يكن شئ موجوداً منها عند اليهود أو النصارى لتوصيل الحقيقة إليهم.

قالت اليهود: قتلنا المسيح، وهم إنما أمروا بعض أهل الطغيان والفجور من الذين لم تسبق لهم رؤية المسيح عليه السلام أبداً، فقتلوا وصلبوا رجلاً وأخذوا أجرهم على قتله وصلبه، واختلفوا فيه هل هو المسيح أو غيره، فتبين أنهم فى شك وجهل شامل بحقيقة أمره، وقالوا: قتلنا المسيح، فهل هذا القول المبنى على الشك والجهل والظن المبنى على القرينة للترجيح أنه المسيح أم يهوذا، يصح أن يبنى عليه أصل من أصول الدين ويقبله العقل؟ اللهم لا. فكما أن الأمر كان شكاً وجهلاً عند اليهود، فهو كذلك عند النصارى، فهم فيه سواء.

هل جاء من جهة الحكومة الرومانية خبر ثابت بالتواتر فى بطون التاريخ أن المسيح قام بعمل اقتضى قتله وصلبه؟ وهل جاء فى الإنجيل قبل صلبه آية صحيحة عنه؟ أم جاء بالسند الصحيح عن حوارييه أنهم رأوه مرفوعاً على الصليب ميتاً؟ كل ذلك لم يكن بل ولا بعضه، فإن يهوذا لما أخذ الأعوان الظلمة ودلهم على المسيح وقبضوا عليه ليلاً كان القبض عليه نازلة على تلاميذه حارت منها عقولهم، وطاشت منها أحلامهم فتفرقوا أيدى سبأ، فمنهم من كان له أصدقاء فى القسطنطينية، ومنهم من كان له أصدقاء من الرومانيين أهل السلطان فى مصر ففر إليها، و لم يبق مع المسيح إلا يهوذا الإسخريوطى الذى أراد أن يجعل له يداً عند اليهود يرتفع بها شأنه، فأراد القوى القدير الحكيم المدبر أن يهلكه كما أهلك من قبله من هموا بقتل رسلهم، فأنجى الله المسيح ورفعه، ومكن الأعوان من يهوذا فصلبوه، هذا هو الحق الذى لا مراء فيه.

وما اعتمد عليه من لا معرفة لهم بالطرق الموصلة إلى علم اليقين مما أوردوه من أن بعضهم رأى رؤيا منامية تدل على أن المسيح صلب ودفن وقام ورفع، وبعضهم رأى طائراً فى الجو يتكلم معهم، لعل القائلين بهذا يجهلون تأثير الوهم على المجموع العصبى ويجهلون محاكاة الخيال للحوادث محاكاة تجعل الإنسان فى الحوادث العظيمة يتمثل عدوه هاجماً عليه وهو ماش فى الطريق، أو يتخيل أن حبيبه واقف على بابه يناديه أن يفتح له، أو أنه يتكلم معه، ومن قرأ أقاصيص الممرورين وأخبار من اختل توازن أبدانهم يعلم أن علم اليقين لا طريق له إلا الحواس الصحيحة، أو الخبر الصادق، أو العقل الكامل، وأما الرؤية المنامية، ومحاكاة الخيال فى الحوادث، وتمثيل الأوهام، كل هذا لا يؤدى إلى علم اليقين فى حادثة بسيطة كونية، فكيف تكون طريقاً لعلم اليقين فى أساس دينى؟ وإذا تقرر هذا، يتبين أن الشك هو ما كان لازمه الجهل بالطرق الصحيحة الموصلة إلى علم اليقين، الذى يكون أساساً فى الاعتقاد الذى تسكن إليه النفس، ويطمئن به القلب، واليقين هو العلم الذى بواسطة الحس الصحيح أو الخبر الصادق أو العقل الكامل، وهذا لم يظهر له وجود فى القضية.

والظن قد يستعمل بمعنى اليقين إذا بنى على طرق العلم الصحيحة سالفة الذكر وهو الاعتقاد الحق، ومنه قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ٤٦)، وإلا كان ضد اليقين إن لم يكن وصوله إلى الإنسان من طريق صحيح، وكان حصوله بواسطة تمثيل الوهم أو الخيال فيكون اعتقاداً باطلاً، كمن يرى فى الأفق البعيد شبحاً فيعطيه الخيال أنه صورة إنسان، فيعتقد أنه إنسان ويظن أنه أخوه أو صديقه، ويعطيه الوهم صورة معنوية مثل الفرح والسرور بلقياه ويبنى على هذا الظن سروراً عظيماً، فإذا اقترب منه وجده صخرة أو شجرة أو فيلاً فيخيب فى ظنه وينقلب سروره حزناً، ولذا أخبر الله سبحانه وتعالى عن خيبتهم جميعاً بعبارة غاية فى البلاغة بقوله جل شأنه: ﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾، وهو الاعتقاد الفاسد الذى لا يغنى من الحق شيئاً، وأكد سبحانه فساده وبطلانه بقوله تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴾ ضمير المفعول للمسيح عليه السلام كما هو الظاهر، والمعنى: وما

قتلوا المسيح عيسى ابن مريم قتلاً يقيناً أو متيقنين أنه هو الذى قتلوه فعلاً.

وقوله تعالى: (يَقِيناً) لنفى القتل المتيقن، ونفى القتل المتيقن يثبت القتل المشكوك فى ظنهم، فكأن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴾ ولكن قتلوه فى ظنهم، وهو فى الواقع ونفس الأمر ليس كذلك، ليثبت جهلهم وفساد اعتقادهم، ويؤكد خيبة ظنهم، وقيل: إن الضمير فى قوله تعالى: ﴿ يَقِيناً ﴾ راجع إلى العلم، أى: وما قتلوا العلم يقيناً وتثبيتاً به بل رضوا بالظن الذى لا يغنى من الحق شيئاً، كما يقال: قتلت العلم والرأى، وقتلت الشئ خبرا، وقتلت الموضوع بحثاً، إذا تبالغ علمك فيه وأحطت به واستوليت عليه من جميع أطرافه، ولا ينازع فهمك فيه شك أو اضطراب، والمعنى: وما علموه يقيناً، وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الضمير راجع إلى الظن الذى يتبعونه، قال: لم يقتلوا ظنهم يقيناً، رواه ابن جرير، أى: أنهم يتبعون ظناً غير ممحص ولا موفى أسباب الترجيح والطرق التى توصل إلى العلم.

ومعنى هذه الآية الكريمة: أن اليهود ادعوا قتل عيسى ابن مريم، وقولهم هذا افتراء وزعم باطل، لأن الله جلت قدرته عصم المسيح عليه السلام من كيد الكائدين وشر المجرمين، وتلك عناية الله برسله تحقيقاً لقول الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقّاً عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس: ١٠٣).

فإن يد العناية الإلهية امتدت لعيسى ﴿ صلى الله عليه وآله ﴾ فى الوقت العصيب واللحظة الرهيبة التى دبر اليهود فيها قتله، وبعد أن اعتقدوا أنهم تمكنوا منه وقدروا عليه أنقذه الله سبحانه من أيديهم الآثمة بصورة أذهلت العقول، وهى أن الله ألقى شبه عيسى وصورته على حواريِّه يهوذا الإسخريوطى الذي اتفق مع اليهود على قتله بهذه الصورة المؤسفة، وهى خيانة عظمى، لأنه من أول الحواريين ومن أكبر الصديقين لعيسى، ولكن سابقة الشقاوة وخاتمة السوء- والعياذ بالله تعالى- حقت على هذا الإنسان الظالم الذى لم يرع فى رسوله ونبيه إلاً ولا ذمة، وهى طبيعة متأصلة فى اليهود، فانتقم الله منه، وألقى عليه صورة عيسى الظاهرة، فدخل اليهود فقتلوه لأنهم لم يجدوا غيره فى

المكان المحدد لارتكاب الجريمة، فرفع الله سيدنا عيسى فى أقل من لمح البصر إلى حيث يشاء الله، وذلك عند دخول القتلة والسفاحين ليقتلوه ﷺ وصور يهوذا الخائن بصورته فى الوقت نفسه، فقتل اليهود يهوذا الإسخريوطى وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم﴾ (النساء: ١٥٧).

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ (النساء: ١٥٧)، والذين اختلفوا فيه هم طوائف اليهود والنصارى الذين كفروا بما أنزله الله تعالى فى شأن عيسى ﴿ ﷺ وآله﴾ ولم يقبلوا ما بينه جل جلاله فى أمر قتله وصلبه، ولكنهم ضلوا وكذبوا واتبعوا أهواءهم وبنوا آراءهم وأقوالهم الفاسدة على الهوى والحظ، ولم يكن لديهم طرف من العلم والمعرفة يتمسكون به فى هذا الشأن، لأنهم يجهلون قدرة الله سبحانه وتعالى ولم يؤمنوا بها فى تصريف الأمور وتدبير الشئون وفعل الخوارق التى يقف العقل أمامها مسلماً وعاجزاً وكليلاً، وظنوا الظنون الباطلة التى أوقعتهم فى حيرة من التخبط فى ظلمات بعضها فوق بعض، من الشك والكفر واللجاج، قال تعالى: ﴿ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ﴾ (الفتح: ٦)، وفى كل أنواع الظن يغلب جيش الهوى جيش العقل، وهؤلاء هم الذين غلب عليهم مقتضى الجسم والحس، وقادهم النفس الأمارة بالسوء كالأنعام السائمة والحيوانات الهائمة التى لا تعقل من الخير إلا خدمة جسمها.

وهناك ظن هو إدراك الطرف الراجح بعد النظر والاستدلال، وهو القياس الشرعى الذى هو حظر على غير أهل العلم بعد الاجتهاد بشروطه المبينة فى مظانه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ (الحجرات: ١٢)، ولم يقل: إن كل الظن إثم، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (النساء: ٨٣)، وعلى ذلك: فالمنكرون للقياس ضيقوا ما وسعه الله لنا، والقياس إنما يكون فى العبادات والمعاملات والأخلاق رجوعاً إلى الوسط- لا فى العقائد ولا فى الأحكام الصريحة الجلية، فإن القياس فيها تقديم بين يدى الله ورسوله ﴿ ﷺ وآله﴾، والله تعالى نهى عنه، قال تعالى: ﴿ي يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا

اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الحجرات: ١)- فالظن فى قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ دعى إليه الهوى والحرص على ما يزول استهانة بالآخرة ونعيمها.

وفى قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴾ كذبت كل فرق النصارى واليهود تكذيباً لا يحتمل التأويل بوجه من الوجوه، حتى تأويل الشاطحين من غلاة النصارى الذين يقولون: إن الله قدر عليه القتل ليخلص آدم من كبيرته، لعجزه عن قبول توبة آدم إلا بقتل ابنه الوحيد الذى هو المسيح، ففهموا أن الذى قتله فى الحقيقة هو الله، بدليل قوله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ (الأنفال: ١٧)، نفى الله تعالى هذا التأويل بقوله تعالى: ﴿ يَقِيناً ﴾ وبقوله تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ ﴾.

ورفع الله المسيح إليه مقبول عقلاً وشرعاً بروحه وجسمه، ومن تأول الرفع للروح كما يظن ذلك بعض من جهل عجائب قدرة الله وغرائب حكمته ممن يزعمون العلم؛ لم تتصور نفوسهم رسوم المعلوم، فهم كاليهود فى الجهالة، فإن أرواح المؤمنين ترفع إلى عليين، والأجسام تحفظ فى الأرض، وتكون الآية عبثاً إذا تأولنا رفع المسيح بروحه كما فهم النسطورية من غلاة النصارى.

ومنكر رفع المسيح بروحه وجسمه حياً من أدعياء العلم ينكر الإسراء والمعراج، ومن أنكر معلوماً من الدين بالضرورة مرق منه كما يمرق السهم من الرمية، وما على أهل العلم الراسخين فيه الذين تصوروا رسوم المعلوم، إلا أن يقولوا ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ (آل عمران: ٧)، والذى خلق الأجواء والأرجاء، وخلق السماء وما فوقها، وأتقن كل شئ خلقه، قدر الأقدار أزلاً وأبرزها فى آنائها بتدبير وحكمة، سبحانه لا يعجزه شئ، ولا يشغله شأن عن شأن، قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ (الزمر: ٦٧)، فى ذات ولا اسم ولا صفة ولا فعل، وأهل الإيمان يرون بنور قلوبهم ما لا يراه أهل الجهالة، والقرآن هو الحجة التى هى عندهم فوق المحسوس الملموس، بل وفوق ما يحكم به العقل بعد الحس واللمس من اليقينيات كلها.

وليس للعقل أن يحكم على الخلاق العظيم، وله أن يحكم على ما سخره له القادر

الحكيم، وإنما تحصيل العلم للعمل به، لا للإشراف على غيب الربوبية والحكم على الغيب المصون بالمشهود بالعيون، قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُواْ اللّهَ ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، بما تعلمتم من أحكامه وآدابه يهديكم الله تعالى سبله: ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، ما لم تكونوا تعلمونه بتحصيل العلوم وتلقيها، فإن الغيب المصون فوق أن تصوره العبارة أو تبينه الإشارة، قال تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ {١} عَلَّمَ الْقُرْآنَ {٢} خَلَقَ الْإِنسَانَ {٣} عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ (الرحمن: ١-٤)، وقال ﴿ ﷺ وآله﴾: (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) أورده العراقى فى المغنى وعلى القارى فى الأسرار المرفوعة، فالواجب علينا أن نعمل بما علمنا، والله يعلمنا ما لم نكن نعلم بالتعليم من غيره، ولنصرف الأوقات- بعد العمل بما علمنا من الشريعة- فيما أمرنا الله تعالى به من السعى فى مناكب الأرض لفتح كنوزها بالعقل، وننوع ما فيها من المعادن والنباتات بعلوم الصناعات والفنون نفعاً للأمة، أو نصرف الأوقات فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإصلاح ذات البين، أما صرف الأوقات فى علم الجدل والمناظرة والسياسات المفسدة للأخلاق التى منها إلقاء العداوة والتفرقة بين المسلمين، والسعى وراء الوظائف والمراتب والجاه، وختل عقول الأمراء والوزراء، والتودد إلى أعداء الله من الكفار فذلك ليس بعلم، وإنما هو الجهل الذى يضر بالإنسان فى الدنيا والآخرة.

والله سبحانه وتعالى عزيز حكيم ينفذ إرادته بقدرة وقوة فلا يعجزه شئ، والعزة هى كمال القدرة، والحكمة هى تنفيذ ما شاء أن يقدره بعلم سابق وتدبير وإرادة، فالحكمة هى كمال العلم بما قدره أزلاً لتظهر معانى صفاته جلية للعقول، وتتجلى أسماؤه لتتعلق بمعانيها، وهو الظاهر فلا تدركه الأبصار بالإحاطة، وإنما تعرفه الأبصار بما ظهر من آثار رحمته وفضله، وآيات قدرته وعجائب صنعته، وغرائب حكمته، وهو الباطن جل جلاله فلا تتمثله الأرواح وهو اللطيف الخبير.

الحق أحق أن يتبع :

ما للإنسان يهوى بنفسه فى مهاوى التقليد، ويرضى بأن يبوء بالخزى والكفر

تعصباً لوالديه ولو ظهر الحق له جلياً! يا أيها الإنسان: الحق أولى أن يتبع، والعقل أحق بأن تهتدى به وتزن به عقائدك، وإلا فأنت مسكين تتعصب للباطل وتدعو إليه، ويأتيك يوم وهو قريب فيتبرأ منك المسيح عليه السلام، ويقف بين يدى ربه معلناً أنه قال فى الإنجيل: (إنى عبد الله) صريحاً فى غير إصحاح، وإنه مبشر بالرسول الذى يأتى بعده يضع الحرب فى الأرض لأن المسيح يضع السلام، وبشر به فى افتتاح إنجيل يوحنا عندما سأله اليهود: ألمسيح أنت؟ قال: لا. ألرسول أنت؟ قال: لا. فأثبتوا أن التوراة تبشر بالمسيح وبالرسول الذى يأتى بعد المسيح، والحق أحق أن يتبع. فإن الذى حفظ رسله السابقين من أعدائهم بعد أن ألقوهم فى النار، أو بعد أن ألقوهم فى البحر الملح، أو أرادوا أن يبيتوه فأهلكهم الله جميعاً وأنجى رسله، قادر أن يرفع المسيح إليه، وأن يهلك الذى دل عليه، وهو يهوذا الإسخريوطى، والحقيقة أنه هو الذى أهلكه الله وصلبه، ورفع رسوله عيسى عليه السلام إليه.

النصارى بعد المسيح

كيف ضل النصارى بعد المسيح؟

إن المسيح ﵇ لما رفعه الله إليه أثار اليهود الكهنة والكتبة والفريسيون الغارة على أتباع المسيح، فسلطوا عليهم الرومان الذين كانت لهم السلطة فى آسيا، فاضطهدوا أتباعه حتى نجوا بأنفسهم، فاجتمعوا فى غابة فى الطريق، فأتاهم إبليس فى هيئة رجل عراقي وجلس معهم يبكى بكاءً مراً حتى أبكاهم، فسألوه فقال: أبكى حزناً على المسيح، ثم خاطبهم فقال: الذى يحيى الموتى ويبرئ الأكمة والأبرص ويخلق من الطين حيوانا من هو؟ ثم أسرع فقال: هو الله، فسلم رجل منهم وأنكر عليه الثلاثة، فحول المسلِّم إلى يمينه، ثم التفت إليهم وقال: الذى يعلم الغيب فيخبرنا عما فى بيوتنا وعما فى جيوبنا وقلوبنا، وولدته أمه العذراء من غير أب، وفعل وفعل، من هو؟ ثم أسرع وقال: هو ابن الله، فسلم له آخر وأنكر عليه اثنان، فحول الآخر إلى يمينه، والتفت إلى الاثنين فقال: الذى نزل من بطن أمه فتكلم بما أعجز أنبياء العصر، ثم أظهر من الأعمال ما لا يقدر عليه مخلوق، وليس له أب وفعل كيت وكيت مما ذكره هو ثالث ثلاثة، وبقى معهم حتى سلب من قلوبهم تعاليم عيسى ﵇، وأبدلها بصريح الكفر، وقد نقل هذه الرواية صاحب كتاب عجائب المخلوقات بسنده.

من أجل ذلك قال تعالى: ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء ﴾ (المائدة: ١٤)، هذه الآية الشريفة معجزة من معجزات رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، لأنها تضمنت خبراً عن حقيقة وقعت، وقد اشتد وقعها من بعثة رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ إلى الآن وما بعد الآن إلى يوم القيامة.

بينت لك أن هذه الآية معجزة، لأن القوم اختلفوا عند رفع المسيح مباشرة، فالذى جاء منهم إلى مصر وهو مرقس نشر الدين ممزوجاً بالعقائد الوثنية التي كانت قبل المسيح ببضع آلاف سنة، وذلك أن التثليث كان ديناً فرعونياً وهندياً، أما أنه فرعونى

فكانوا يعتقدون أن الآلهة ثلاثة (الشمس والماء والهواء) ويرمزون إليها بـإيزيس يعنى الأب، وأوزوريس يعنى الأم، وآمون رع يعنى الابن، وبعضهم كان يقول: الشمس والماء والأرض، أو الشمس والأرض والنبات، وعند الهنود القدماء كان معبودهم الثالوث المقدس، هو جسم إنسان عليه ثلاثة رؤوس كما يرمز الفراعنة بصفة القوة بجسم سبع عليه رأس إنسان (أبو الهول). وأما الذى فر إلى إيطاليا فإنه قال بالحلول،حتى صار البابا هناك يبلغ مقام القداسة لأن المسيح حل فيه، وغيرهم من المانوية والملكانية لهم مذاهب تقرب من تلك المذاهب، وبينهم من الحروب والخصومات ما بقى أثره إلى اليوم، وليست الحروب السبعينية ببعيدة عن الذاكرة التى وقعت بينهم فى إيطاليا، وما وقع فى مصر بين جمعية التوفيق من الأقباط وبين البطرك حتى أخرجوا البطرك مهاناً إلى الدير، ولا تزال الحرب بين دول الإفرنج النصارى شديدة جداً، بل وبين اليهود والنصارى، فهم كطرفى المقص لا يجتمعون إلا للتفرقة.

فقوله تعالى: ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ جائز أن تكون معنى الآية: ألقينا بين اليهود والنصارى كما هو حاصل، وبين النصارى وبعضهم، والعداوة بسبب الاختلاف الدينى، والبغضاء بسبب الحسد.

﴿ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ أى: أن أهل الكفر بالله، بل وأهل معصية الله تملأ ظلمة الكفر وظلال المعاصى تجاويف قلوبهم، فتسلب منها الرحمة والعاطفة والحب فى الله والبغض فى الله، ويمتلئ تجويف قلوبهم حسداً، أو غلاً وسخائم، حتى يتمنى كل واحد للآخر الشر والسوء، وبذلك تقع العداوة والبغضاء بينهم. وأما قلوب أهل الإيمان بالله فيترع منها ما فيها من الغل فيصيرون إخواناً متحابين فى الله، وتلك العداوة والبغضاء لا تفارق أهل الكفر بالله حتى يؤمنوا بخاتم الرسل ﴿ ﷺ وآله﴾.

الإسلام والسيف

يزعم أعداء الإسلام أنه انتشر بالسيف فما رأى الإمام فى ذلك؟

أشرقت أنوار الإسلام فى أفق تلك البلاد القاحلة، فأشرقت على أمة جاهلية لا عهد لها بنظام ولا بصناعات ولا بفنون، بين قلوب متفرقة وأهواء مختلفة وشرور متزايدة، فما أشرقت أنواره على تلك الهضاب والفيافى والبطاح والروابى، إلا وأصبحت تلك النفوس كأنها خلقت فى تليد المجد، أو كأنها رضعت من نعومة أظفارها لبان الفضائل الإلهية، وتغذت بجمال الحكمة الربانية، فهبت من موت الجهالة ورقدة الغفلة، وكأن كل فرد منهم نبى مرسل أو ملك مقرب، فمحا الله بهم المدن الجاهلية، والمدن الضالة، والمدن الفاسقة.

من هم هؤلاء الرجال الذين قاموا كالسيل المنهمر الجارف الذى أزال فساد الأخلاق وباطل العقائد، ومحا الظلم والجور من على سطح الأرض؟ أملائكة أنزلهم الله من السماء فى صورة أناسى، أم رسل أحياهم الله بعد مماتهم فبعثهم فى النشأة الأولى قبل الآخرة لينوروا أرضه بنور عدله سبحانه وحكمته، ويقربوا عباده إلى فضله ورحمته؟ لا والله، ولكنهم كانوا غرقى فى هاوية الجهالة، وكانت نفوسهم أشر من نفوس الشياطين، ولكن الأستاذ الذى أنقذهم من الظلمات إلى النور، والمرشد الذى بث فيهم الروح التى أحياهم الله تعالى بها الحياة الكاملة الفاضلة، هو الأستاذ الذى لو أدركه سيدنا موسى وعيسى وإبراهيم وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ما وسعهم إلا أن يتبعوه وينصروه، يكون العربى فى أسفل دركات الجهالة ويواجه وجه هذا السيد ﴿ﷺ وآله﴾ فيقوم من مجلسه وهو على قلب نبى أو قدم نبى، متجملاً بأحوال روحانيات الملكوت الأعلى، فيقوم من أمامه بعد أن يسمع ما سمع منه صارخاً فى قومه، داعياً لهم إلى الحق كأنه رسول أوحى الله إليه.

سيف الإسلام رحمة الله

وبرهان ذلك :

ليس تاريخ العرب بالتاريخ الذى كان منقوشاً على الأحجار فمحى من عليها، أو مرموزاً باللغة العجمية وليس من يقرأه، ولكنه تاريخ جلى، يعلم كل عاقل ما كـانوا عليه وما آلوا إليه.

عجباً عجباً!! يخرج العربى من جوف مكة فى زمن لم تكن هناك معدات سفر ولا عوارف حضر، ولا آلات للنقل، فيخرج والقرآن فى يمينه، وحب الخير لعامـة بـنى الإنسان فى ضميره، وقليل من القوت والماء على ظهره، والسيف الذى هو رحمـة الله فى يساره، أقول: رحمة الله، لأنه:

فى يد من سل هذا السيف؟

فى يد إنسان ملأ الله قلبه رحمة ليسوى بين أفراد الإنسان، وجعل فى قلبه نوراً لينشر العدل بين بنى جنسه، ماداموا على مبادئه الشريفة الفاضلة، مـن العـدل والمسـاواة والرحمة والشفقة والتعاون والصلة والبر، لا فرق عنده بـين النصـرانى واليهـودى والصابئ، وها هم أهل الذمة فى كل بلد إسلامية برهان ساطع على أن الأمـر كمـا أقول.

على من سلط هذا السيف ؟

سلط على جبار عنيد يستعبد عباد الله، وطاغية فاجر عامل لمحو الحـق وإظهـار الباطل، سبحان الله!! ما للعيون عميت عن الحقائق وهى مجلوة! وما للقلوب انصرفت عن الآيات وهى مضيئة! اللهم رحماك. فكأن الإنسان ليس بإنسان، لأنه أهمل عقلـه

إهمالاً جعله يجعل الباطل حقاً ويؤيده بأباطيل، ويجعل الشمس الجلية ضحوة مظلمة.

قلت: إن المسلم لم يجعل سيفه فى قهر الناس على اعتناق الدين، لأن الجمال الإسلامى تجلى للعقول الكاملة وللقلوب السليمة، تجلياً جذبها إليه. ومن رأى الكتب التى ألفت فى تفسير القرآن، وخدمة الأحاديث النبوية، واستنباط الأحكام من الكتاب يتحقق أن أكثر مؤلفيها من غير العرب، وأنهم من عقلاء الأمم وعلمائهم، الذين جذبهم الحق إليه وقربهم منه، الذين تجلت لهم أنوار الإسلام فاهتدوا بها إليه، وظهرت لهم حقائقه فأقبلوا بها عليه، فلما أن باشرت بشاشته قلوبهم تفجرت ينابيع الحكمة منها فترجمت بها ألسنتهم، ومن قرأ تلك الكتب يعلم حق العلم أن الذى دعا العالم إلى الإسلام جماله الحقيقى ونوره الجلى.

وإنما كان السيف الإسلامى لمحو الظلم والفسوق والجهالة والرذائل، وإلا فما لنا نرى أكثر من أسلم من غير العرب هم الذين خدموا الدين بعلومهم وأفكارهم، وبينوا أسراره وأنواره، وكشفوا للعقول عن حكمه وآدابه، ونرى من بقى منهم على دينه ممتعين بأملاكهم وأموالهم وخدمهم، وهم أقل ممن أسلم عقلاً وأدنى منهم فكراً، وأبعد منهم معرفة بأسرار الحكمة.

خرج هذا العربى- بعد أن تلقى عن سيد رسل الله ﴿ﷺ وآله﴾- من مكة مخترقاً تلك البوادى القاحلة والصحارى الماحلة، والجبال الشامخة والبحار المحيطة، حتى رمى بنفسه إلى الأقطار النائية، فما مر على مجتمع جاهل إلا جمله بفضائل الإسلام، ولا على أمة ضالة إلا هداها إلى الحق، ولا على مدينة فاسقة إلا أرجعها إلى الهداية، فكان كأشعة الشمس التى تسرى فى الدقيقة الواحدة بسرعة تحير عقل العاقل فى سرعة سريانها، وفيما تفيضه من الخير من النور والهدى والبيان. فكان رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ هو الشمس، وكان أصحابه هم الأنوار المنبعثة من تلك الشمس العلية.

خرج العربى من مكة حتى خاض لجة المحيط- محيط الظلمات (المحيط الأطلانطيقى)- غرباً، وخرج من مكة حتى سبح فى لجة المحيط الهادى شرقاً، ونشر

النور فى أقطار الهند والصين حتى جبال القوقاز، و لم تقف به عزيمته حتى أبقى لـــه فى كل وادٍ أثراً لا يزال لسان صدق، ناطقاً بما للإسلام من الفضل العميم، ونوراً مبينـــاً شاهداً بأن الإسلام هو الدين الحق الذى يجب على كل عاقل أن يعتنقه، قـــام هـــذا الرسول الكريم ﴿ﷺ وآله﴾ بين أصحابه، فنور قلوبهم بالحكمة النظرية بما أنزلـــه الله عليه من كتابه المجيد، وما أوحاه الله إليه من الحكمة والبيان. ثم قـــام ﴿ﷺ وآلـــه﴾ بأكمل أحوال الحكمة العملية، فعمل الأعمال الروحانية والبدنية خالصة للدار الآخرة، والأعمال البدنية للدنيا والآخرة، والأعمال الروحانية والبدنية لخير بنى الإنسان، فبث ﴿ﷺ وآله﴾ روح تلك الأعمال فى أرواح سلمت له ﴿ﷺ وآله﴾، وقلوب تخلت من سواه ﴿ﷺ وآله﴾، وآمال تعلقت به ﴿ﷺ وآله﴾، فكانوا صورة كاملة لجنابه ﴿ﷺ وآلـــه﴾، وآيـــة كـــبرى دالـــة علـــى أنـــه خـــاتم رســـل الله وســـيدهم ﴿ﷺ وآله﴾ وعليهم أجمعين، وليس بنقص فى الشمس أن يراها الخفـــاش مظلمـــة، وأنكر فضلها البوم والعقارب والأفاعى وأشكالها من الحيوانات المؤذية التى لا تهتـــدى فى النور المشرق، وكم من حيوانات تتطيب بالقاذورات وتتغذى منـــها، وتمـــوت إذا شمت الطيب، وكذلك الحيوان الذى هو على صورة الإنسان يرى الحق باطلاً والباطل حقاً، كما يرى الخفاش نور الشمس ظلمة وظلمة الليل نوراً، نعوذ بالله مـــن هـــوى يعمى عن الحق، وحظ تنقلب به الحقائق، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل لنا نوراً فى قلوبنا نهتدى به إلى الحق، ويحفظنى وأهلى وإخوانى والمسلمين.

فنون بنى الأصفر

بم يفتخر بنو الأصفر وعلومهم فنون تدعو إليها الفطرة؟!.

عجباً عجباً!! أمة تنادى بأنها أسست مجدها على العلم الحقيقى، وأنها شيدت سعادتها على الحكمة العالية ويضرب صغيرهم صدره مفتخراً على الشرق ذاماً له، مقبحاً لعادات أهله وأديانهم وأخلاقهم، ولو نظر بعين الفكرة، وصغى بأذن العبرة، لرأى أن الشرق أولد ولداً صار إله أوربا، وكفى الشرق فخراً أنه أولد ولداً صار معبوداً لأوربا وغيرها من المدعين العلم والمعرفة.

سبحانك اللهم وبحمدك، ما هى العلوم التى يدعونها؟ أعلوم تشييد المساكن وقد سبقهم النحل فيها بما لا طاقة لهم عليه؟ أم علوم اختراع معدات لجلب النافع للإنسان ودفع الضار عنه؟ سبحان الله! وقد سبقهم العنكبوت وغيره من الحيوانات المحتالة، و لم تكن تلك المخترعات إلا تحسيناً وتكميلا لما اخترعه الإنسان منذ الخلقة، فإن الرقى أخذ ينمو فى النوع الإنسانى منذ آدم، أم تلك العلوم هى اختراع آلات الحطمة وعدد النقم على بنى الإنسان؟ أم تلك العلوم التفنن فى المأكل والملبس والمشرب والمنكح؟ سبحان الله!! هذه العلوم هى العلوم التى يفتخر بها بنو الأصفر وليست هذه علوم، ولكنها فنون تدعو إليها الفطرة فى كل حى، فما من حيوان من الحيوانات البهيمية إلا وقد ألهمه الله ما به يتفنن فى دفع المضرة وجلب المنفعة له، بأدوار لو انكشفت للإنسان لتحقق عجزه عن القيام بها، إنما العلم هو الذى يجمل الإنسان بالعقيدة الحقة، والأخلاق الطاهرة، والمعاملة الحسنة، والعبادة الخالصة لذات الله، إنما العلم حقيقة ما تنتقش به حقيقة المعلوم فى النفس حتى تتمثل كمالاته وتستحضر جلاله، وتتحقق أنه لابد لها من الرجوع إليه والحضور لديه، والوقوف بين يديه سبحانه وتعالى، ثم إما إلى نعيم أبدى لا يزول، أو شقاء سرمدى لا يحول. فما أدى إلى كشف تلك الحقائق هو العلم حقاً، وما أخفى تلك الحقائق وشغل النفس عن تكملها بكمالاتها وسخرها

للجسم الحيوانى فقامت خادمة لحظوظه وملاذه، فليس ذلك بعلم وإنما هو جهل وضلال.

ما الذى اكتسبته أوربا بعلومها؟ هل شعرت بأن مبدع الكائنات لم يلد ولم يولد؟ أو أحست بأن خالق الخلق هو الذى صنع جميع خلقه ويحب صنعته ويحب لها الخير والرحمة، فقاموا رحماء بخلق الله وسووا بين عباد الله، ورحموا بنى الإنسان من تلك المقذوفات الجهنمية، وتلك المهاوى الدموية؟.

إذاً أين هو العلم وأين نتائجه؟.

إنما هو علم الحيوان: فمخلب وناب لسبع، وتقوية على نكاح لخنزير وديك، وجرأة على سلب الأموال والحرص عليها كالنمل، وتلذذ بسفك الدماء كالنمر.

هذه هى علوم بنى الأصفر، اللهم رحماك بخلقك.

طعام أهل الكتاب والزواج منهم

لما كان القرآن خاتم الكتب ومهيمناً عليها؛ جمع الله لنا فيه ما به نيل سعادتنا فى الدنيا والآخرة إذا تمسكنا به، فلم يدع الله تعالى صغيرة ولا كبيرة مما لابد لنا منه فى ضرورياتنا وكمالياتنا إلا بينه فيه، حتى قال سيدنا على بن أبى طالب ﷺ: (لو ضاع منى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله)، ولذلك فإن الله تعالى ما ترك شأناً من شئوننا فى مجتمعنا المنزلى والقروى والمدنى وفى المجتمع العام، مما يتعلق بالقلوب أو بالجوارح أو بالعقيدة والعبادات والأخلاق والمعاملات، ولا فى أكل أو شرب أو نوم أو لباس أو مسكن أو زواج أو غير ذلك، إلا بيّن لنا ما أوجبه علينا، أو حرمه أو أباحه لنا، من الذبائح والأطعمة والأشربة مما يتعلق بدنيانا، وبين لنا سبحانه ما يتعلق بديننا ومآلنا.

ثم بين لنا سبحانه أن طعام أهل الكتاب حل لنا بقوله: ﴿ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ (المائدة: ٥)، أى: وذبائح أهل التوراة والإنجيل حل لكم، ما تمسكوا بالتوراة والإنجيل، فإن خالفوها حرمت علينا ذبائحهم، كما حرم بعض العلماء ذبائح نصارى بنى تغلب لأنهم خالفوا الإنجيل، وكما حرم سيدنا علىّ ﷺ ذبائح الروم لمخالفتهم الإنجيل والتوراة.

وتبيح هذه الآية أطعمة أهل الكتاب من غير الذبائح، وكان ذلك مباحاً من غير احتياج إلى نص صريح، إلا أنه قد يتوهم أن طعامهم غير الذبائح حرام علينا، وقوله تعالى: ﴿ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ أى: مباح لكم أن تأكلوا منه، وقوله: ﴿ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ هذا بيان من الله تعالى لنا أننا لا يحرم علينا أن نطعمهم من طعامنا بمبادلته، أو لتأليف، أو لضيافة، أو لصدقة.

ولما بين لنا ما أحله لنا وما حرمه علينا من الأطعمة والأشربة، أخذ يبين ما يتعلق بالأنكحة وما يحل لنا وما يحرم علينا منها حتى نكون فى كل أحوالنا فى عبادة، من صلاة، وصيام، وحج، وزكاة، ونوم، وأكل، وشرب، وتجارة، وزراعة، وصناعة، وجهاد، ونكاح، إننا فى كل ذلك إنما ننفذ أوامر الله تعالى، مراقبين جلاله العلى،

متمسكين بتقواه سبحانه، وبذلك نكون خرجنا من قيود الإنسانية ونحن فى هياكلنا الإنسانية، واتصلنا بالعالم الملكوتى الذى يمدحهم الله تعالى بقوله: ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم:٦).

وما أيسر القيام بأوامر الله على الخاشعين، وما أصعبه على الغافلين، فإن الله تعالى أباح لنا الطيبات من الرزق، وأجمل الزينات من الملابس والمساكن، وأباح لنا ما طاب لنا من النساء مثنى وثلاث ورباع، وطلب منا السعى فى مناكب الأرض لتحصيل رزق الله لنا، وما ترك لذة من الملاذ ولا شهوة من شهوات البطن أو الفرج، أو من بهجة العقل والنفس إلا وأباحها لنا فى حدوده المحدودة وشرعه المشروع، بقوله تعالى: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ أى: وأنكحوا المحصنات من المؤمنات، والمحصنة لغة وشرعاً هى العفيفة أو الحرة، وعلى تأويل الآية بأنها العفيفة فتكون إماء أهل الكتاب يحل لنا زواجهن، ومعنى المحصنة أيضاً الحرة عفيفة كانت أو فاجرة، وعلى تأويلها بالحرة يباح لنا نكاح الفاجرات، وقد أيد ذلك ما ورد من أن بعض الآباء كان يرفع إلى أمير المؤمنين عمر أن ابنته فعلت ما يكره، أو يزوجها؟ فيأمره بزواجها ويقول له: إن ذكرت شيئاً من ذلك آخذتك أشد المؤاخذة، ولو كانت المحصنة هى العفيفة لحرم علينا نكاح الفاجرة إذا ثبت ذلك.

ثم بين لنا سبحانه حكم الزواج من بنات اليهود والنصارى بقوله: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ أى: أباح الله لكم نكاح المحصنات اللائى هن عفيفات حرائر﴿ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾، يعنى أن الله تعالى أباح لنا أن نتزوج من الحرائر العفيفات من بنات اليهود والنصارى وهن على دينهن، وقال بعض العلماء: المراد والمحصنات اللائى أسلمن من نساء اليهود والنصارى، وهذا التأويل لأن المسلم إذا تزوج بغير المسلمة ربما نوعت أفكاره إذا أحبها، أو أفسدت ولدها فاتبع دينها، أو علمت سراً من أسرار سياسته أمته إذا كانت غير المسلمة متزوجة أميراً أو وزيراً أو ذا شأن، كما حصل فى مراكش حيث كان عبد العزيز ملك مراكش ابن امرأة فرنسية

فأفسدت ولدها، حتى جعلته فرنسياً طبعاً وميولاً وتعصباً فأضاع الملك لفرنسا، والتاريخ مرآة الحقائق، فإن رجلاً من ملوك الفراعنة تزوج بامرأة يونانية فأولدها (اسمانيك) الأول الذى استعان بجيوش أخواله من اليونان حتى خرب المملكة المصرية، ولهذا رأى بعض العلماء أن زواج غير المسلمة لا يحل، وأول رجل أفتى بهذا الحكم عبد الله بن عمر ﷺ، بدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ﴾ (المائدة: ٥).

معاملة غير المسلمين فى بلاد الإسلام

هل النصارى واليهود والمشركون المواطنون للمسلمين فى بلدانهم يجب أن نحذرهم كما نحذر الإفرنج المتسلطين بقوتهم المادية على بلاد الشرق؟

النصارى واليهود المواطنين لنا من أهل ذمتنا لهم ما لنا وعليهم ما علينا إلا إذا خالفوا العهود والمواثيق بنصرهم أعداء المسلمين، أو بالطعن على الدين، أو بكشف عورات المسلمين للأعداء، فإنا نبرأ منهم ونلزمهم بالرجوع إلى ما عاهدونا عليه، أو نوجب عليهم الخروج من وطن المسلمين، فإن خيانة أمثال هؤلاء لا يستهان بها لأنهم شر من العدو الخارج، وقد حذرنا الله منهم جميعاً، أما أعداء الله وأعداؤنا من أهل الكتاب والمشركين فإن الواجب علينا الوفاء لهم بما عاهدناهم عليه، فإن جاسوا خلال ديارنا وطعنوا فى ديننا فالواجب على المسلمين أن يكونوا يداً واحدة على عدوهم، فإن تفرقوا فى مثل هذا الحال وتركوا العمل بأحكام الدين فالحكم الشرعى فى هذا على المستضعف أن ينكر بقلبه، وأن يكون إما متحيزاً إلى فئة أو متحرفاً لقتال، فإنه يكون ناجياً.

أما من رضى احتلال الأعداء وسارع فيهم أو تولاهم، فالحكم الشرعى أن من فعل ذلك يكون كافراً بالله ورسوله وتكون زوجته حراماً عليه بصريح نص القرآن فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ {١٥} وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ﴾ (الأنفال: ١٥، ١٦)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ (المائدة: ٥١)، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ (الممتحنة: ١).

فالنجاة فى هذا الزمن وقد تغلب الأعداء فجاسوا خلال ديار البلاد الإسلامية وأعانهم على ذلك أهل ذمتنا من اليهود والنصارى، وأعانهم المنافقون من المسلمين، حتى أخذوا علينا البر والبحر: إذا حصل كل هذا فالواجب علينا أن نتحرف لهجرة أو قتال، أو نتحيز إلى فئة قوية تدفع عنا أعداء الله وأعدائنا مع البغض الشديد بما يترل بالمسلمين: وهنا تسن المداراة شرعاً باللسان مع طمأنينة القلب حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً وبذلك ينجو المتحصن بتلك الحدود.

كل تلك الأحكام يراعى فيها إخلاص القلب فلا يقبل ممن يتخلص بأن يقول بلسانه إنى متحيز إلى فئة أو متحرف لقتال لأن الله يعلم السر وأخفى. وأهل النفاق شنع الله عليهم بقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ

قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيراً ﴾ (النساء: ٩٧)، قوله تعالى: ﴿ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (الحديد: ٢٩).

أكثر أهل الكتاب فاسقون

نحن نسأل اليهود والنصارى: هل ما تجدون فى صدوركم من غضاضة وشدة علينا وكراهة لنا إلا من أجل إيماننا بالله وما أنزل إلينا من كتاب الله المترل على خاتم رسله ﴿ﷺ وآله﴾، وإيماننا بما أنزل على الرسل صلوات الله عليهم من قبل القرآن؟

إننا والحمد لله آمنا بالله تعالى وبملائكته وكتبه ورسله جميعاً، ولو أنكم آمنتم بالله وبرسله وبما أنزل عليكم من الكتاب لما وجدتم علينا ما به تنقمون منا، بل لوجدتم ما به تسارعون إلى الأخذ بما نحن عليه مما هو الحق الذى أنزله الله على رسله صلوات الله وسلامه عليهم، وإن وجْدكم علينا الكراهية والعتب والغضاضة سببه كفركم بالله وبرسله وبكتبه المترلة عليكم، لأنكم حرفتم كلام الله بالهوى والحظ والطمع، وهل دعاكم إلى هذا الذى لا يعلمه إلا أهل الكفر بالله مع من بعثهم الله بالحق، وأيدهم بالمعجزات الباهرات إلا كفركم بالله تعالى؟ لما جبلتم عليه من خبث الطبع، والمسارعة إلى هوى النفس الأمارة بالسوء، النزاعة إلى العناد.

وبرهان ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (المائدة: ٥٩)، والفاسق هو الكافر الذى خالف الدين وخرج عنه، فإن الفسق هو خروج الحية من ثوبها، كما أن الفقس إخراج الدجاجة فراخها من بيضها، والحية تسمى فاسقة، وعلى هذا: الفاسق هو الذى خرج مما كان فيه من الحق، ومعنى قوله: ﴿ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ أن أهل اليهودية وأهل النصرانية قوم بهت، لا يقبلون- مع تظاهرهم بالحق- إلا الباطل، وقبولهم الباطل إنما هو لحرصهم على الحياة الدنيا ومسارعتهم إلى الكفر بالله فى سبيل نيل المال، غير هيابين من إنذار الله، ولا خائفين من عقوبة الله، فدل ذلك على أن

إلههم المعبود هو حطام تلك الدار الفانية، وهى خصلة موجودة نبتت فى قلوب اليهود من أيام الفراعنة فالعمالقة، ونبتت فى قلوب النصارى من أيام فتنة المسيح ابن مريم عليه السلام، لأن اليهود والرومان اضطهدوا أهل النصرانية حتى مزقوهم أيدى سبأ فنبتت النصرانية من مهدها فى هوة الذل والخزى والاختفاء، هذا ولأن النصرانية دخلت بلاد مصر انتقاماً من المصريين لقهرهم عندما منعوا الخراج الذى كانوا يرسلونه إلى ملك الرومان، فطلب من وزرائه أن يدلوه على أشد نقمة ينتقم بها من المصريين فطلبوا منه أن يقهرهم على التنصر، فوقعت بين الروم وبين المصريين حروب المراد بها قهرهم رغم أنوفهم على التنصر، وقد بينها التاريخ تحت عنوان: (حرب الشهداء).

ولا يزال فى بلاد مصر بلاد وقعت فيها تلك الحروب فعاملوها بالشدة، ولولا أن الإسلام وسع بسماحته وعطفه أهل اليهودية والنصرانية وحماهم بالعدالة والمساواة- عملاً بسماح الإسلام- لكانوا أذل من هؤلاء الزنوج فى مجاهل أفريقيا، وهاهم الآن بفضل الإسلام عليهم قد سادوا وشادوا، وقاموا فى وجه المسلمين يناوئونهم بعد أن كانوا فى فقر وذل، بل لولا سماحة الإسلام لما بقى من اليهود والنصارى إنسان يتنفس على وجه الأرض، ومع هذا الفضل والإحسان والرحمة الذى قام به المسلمون لليهود والنصارى- عملاً بشرائع الإسلام- حتى أبقاهم إلى الآن فى رخاء وأمن وعافية، لما تحقق قوله: ﴿ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ وإن هذا الإحسان والفضل قلبوه سلاحاً يضربون به الإسلام والمسلمين فى أكبادهم جزاء بالنقيض، لأن أكثرهم فاسقون، فانظر فى فلسطين وغيرها من بلدان المسلمين، كيف استعانوا بدول الاستعباد والظلم على المسلمين بمجازاتهم بالسوء على إحسانهم إليهم.

فصدق الله العظيم ﴿ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ما اقترنوا بأمة إلا أفسدوا عليها دينها ودنياها، دخلوا فى زمن الفراعنة فكان ما كان، ثم خرجوا من مصر إلى الشام فدخلوا بلاد العمالقة فكان ما كان، عاشوا فى بلاد الشام فكان ما كان منهم مع الرسل والأنبياء، وها هم الآن يقفون فى وجوه من حفظوا لهم وجودهم إلى الآن بنار الإنجليز- وأمريكا- وحديدهم فى فلسطين، ويبذلون الأموال الطائلة بدول الاستعمار

لتحارب لها المسلمين، وصدق الله العظيم حيث يقول سبحانه: ﴿ الَّــذِي خَبُــثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِداً ﴾ (الأعراف: ٥٨).

وهذه الآية الشريفة بيان فى سبب نقمة اليهود والنصارى من المســلمين؛ فيكــون التأويل: هل لنقمتكم منا سبب إلا إيماننا بالله وبكتبــه ورســله؟ وإلا أن أكثــركم فاسقون؟.

نزول المسيح عليه السلام فى آخر الزمان

قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ (آل عمران: ٥٥)، معنى هذه الآية أن اليهود مكروا بعيسى عليه السلام سوء ليقتلوه ويمحوا دينه بعد أن أظهر الله على يده الآيات البينات فمكر الله بهم.

﴿إذ قال﴾ يعني حين قال (ومكر الله) أى: إن مكر الله تعالى بهم هو قوله سبحانه لعيسى عليه السلام: ﴿ إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾.

ومعنى هذه الآية الشريفة جائز أن يكون متوفيك بالنوم لأرفعك إلى السماء فاقد الحس والحركة فى منامك، قال سبحانه: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ (الزمر: ٤٢)، وجائز أن تكون الوفاة هو الموت فيميته - سبحانه وتعالى- ويرفعه إلى السماء ميتاً محفوظاً من أن يتمكن منه أعداء الله، وجائز أن يكون متوفيك، أى: متمم لك ما قدرته عليك فى الأرض ورافعك إلىَّ إلى السماء، ومعيدك لأظهر عجائب ما قدرته أزلاً مما بينه الحديث الشريف فى أنه عليه السلام يترل من السماء ويقتل المسيخ الدجال، ويقيم الحجة على بطلان قول النصارى فيه ﴿ صلى الله عليه وسلم وآله﴾، ويؤيد صحة الخبر عن رسول الله ﴿ صلى الله عليه وسلم وآله﴾ قوله تعالى: ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً ﴾ (آل عمران: ٤٦)، ويكون كلامه كهلاً بعد نزوله من السماء من أعظم المعجزات.

ولما كان سيدنا ومولانا محمد﴿ صلى الله عليه وسلم وآله﴾ خاتم الأنبياء لا نبى بعده أنكر الناس نزول عيسى، بدليل أنه لو نزل لكان هو خاتم الأنبياء والله تعالى يقول: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ (الأحزاب: ٤٠)، ولتقريب هذه المسألة إذا صح الحديث الوارد فى نزول سيدنا عيسى عليه السلام: أن ابن مريم إذا نزل من السماء فى آخر الزمان فإنما يترل رجلاً من أمة سيدنا محمد ﴿ صلى الله عليه وسلم وآله﴾ لا رسولاً، لأن رسالته نسخت ببعثة رسول الله ﴿ صلى الله عليه وسلم وآله﴾، وحكمة نزوله هى إقامة

الحجة على النصارى واليهود بإبطال دعواهم، وقد ورد أنه يصلى وراء رجل آخر الزمان، وأنه يحكم بحكم الله ورسوله فى العالم، وأنه يقتل المسيخ الدجال، وذلك كله جائز يقبله العقل ولا ينكره النقل، فالعقل يرى نزول المسيح من السماء إلى الأرض نجاة لأكثر العالم لأن قارتى أوربا وأمريكا وغيرهما من الجزائر فى البحار يقولون: إن المسيح ابن الله أو إنه هو الله، واليهود يقولون المسيح ابن زنى، فنزوله متمكناً فى الأرض بالحق نجاة للخلق ممن كفر بالغلو فى مدحه أو بالمبالغة فى ذمه، وقد ورد فى نزول سيدنا عيسى عليه السلام أحاديث لا بأس بها وإن أنكرها من لا علم له بما ورد فى السنة عن الفتن والملاحم، ولنا أن نؤول الآية بحسب اللغة فنقول: إن الواو لا تقتضى ترتيباً ولا تعقيباً (كالفاء وثم) ولكنها تكون لمطلق الجمع، فقد يكون المتأخر عنها متقدماً فى المعنى كما تقول: جاء الأمير والجند، والذى جاء أولاهم الجند فكذلك:

﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ أى: إنى رافعك إلىّ ومتوفيك، ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ أى: إلى دار كرامتى وحفظى لك، وقد أول المجسمة هذا الحرف ﴿ إِلَيَّ ﴾ فقالوا بأن الله له جهة، وتنزه ربنا وتعالى، ونحن نسلم أخبار الصفات، ونؤمن بما ورد فى القرآن إيمان من يعتقد أن الله ليس كمثله شئ فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أسمائه ولا فى أفعاله ولا فى كلامه، فقوله تعالى: ﴿ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ يعنى يرفعه الله إليه والرفع معلوم والكيف مجهول، ونحن نسلم لله كلامه مصدقين بمعناه على قدره هو لا على قدرنا.

﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ معنى مطهرك: أى مخلصك مما كان يريد الكفار أن يوقعوك فيه، ورفعه إلى السماء خلاص له وطهرة منهم، والذين كفروا هم اليهود من معاصريه عليه السلام لأنهم جحدوا نبوته.

الجـــــــزيـة

إن اليهود والنصارى- أذلهم الله- منذ انبلاج فجر الرسالة إلى الآن يؤذوننا فى ديننا، وفى أموالنا وأنفسنا. ولا تزال تلك الأذية والبلايا والمضار تكال منهم كيلاً، انظر إلى دعاة النصرانية المنتشرين كالجراد المفسد، والسيل المدمر، والسموم والأوبئة الفتاكة لا تخلو منهم أمة ولا قرية، أصبحوا كما قال تعالى: ﴿ فَجَاسُواْ خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ (الإسراء: ٥)، وقال سبحانه: ﴿ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ ﴾ (التوبة: ١٢)، وبذلك تعين علينا أن نقاتل أئمة الكفر كافة، بكل أنواع الجهاد المشروعة بقدر استطاعتنا، فإنهم يقاتلوننا كافة بكل أنواع الجهاد التى لم تشرع، ولم يرضها العقل، عداوة للدين وكفروا بالله ويؤذوننا أذى وصفه الحق تبارك وتعالى بقوله: ﴿ أَذًى كَثِيراً ﴾ (آل عمران: ١٨٦)، وأهل الكتاب والذين أشركوا، لا يتركون هذا الأذى الكثير إلا إذا أذلهم الله فأظهر الدين بأهله، وجعلهم أرقاء يباعون فى أسواقنا كما كانوا، ويومئذ تكون رحمة المسلمين بهم؛ إما الإسلام أو استئصالهم، فإن الحكم الشرعى فى أهل الكتاب والمشركين كان: الإسلام، أو الجزية، أو القتل. ولكن بعد تلك التجربة، وبعد أن نشر الإسلام ألويته ودق أوتاده، وبعد أن علم الخاص والعام، أصبح الواجب: الإسلام، أو القتل. وسيكون لهذا الكلام حقيقته، خصوصاً إذا نزل عيسى ابن مريم فى آخر الزمان، وكسر الصليب ، وقتل من لم يسلم من أهل الصليب. والأذى الكثير بخبر القرآن المجيد قليل على ما وصل إليه أهل الكتاب والمشركين فى الأذية إلينا، ومن علم بأحداث فلسطين وغيرها وبمكائد الصليبيين بالنسبة للمسلمين، يفهم معنى قوله تعالى: ﴿ أَذًى كَثِيراً ﴾.

أركان الإسلام والنصرانية

ما هى أركان الإسلام؟ وما هى علاقتها بالعلم والمال؟ وهل النصرانية لها

أركان؟!!

للإسلام أركان خمسة هى :

الركن الأول :

توحيد الله وتنزيهه سبحانه عن الشريك والنظير والوالد والوالدة والحلول، واعتقاد أن سيدنا ومولانا محمداً عبد الله ورسوله ﴿ﷺ وآله﴾، المبين لطريقه المستقيم، الموصل إليه الدال على كمال توحيده وتنزيهه.

الركن الثانى :

الصلاة. وهى العبادة الجسمانية الروحانية ولا تكون كاملة إلا بالمال، لأنه اشترط فيها ستر العورة، واشترك فيها العلم الذى لا يتحصل عليه إلا بالنفقة، وقد جمعت جميع العلوم لأجل أن تقع كاملة: فيجب على المسلم أن يتعلم علوم الفلك ليعلم المواقيت، وعلم تخطيط الأرض من جهة القبلة، وعلوم النفس لتكون كاملة، وعلم الطب ليعلم الطهارة والنجاسة والقوة التى تجب عليه فيها قائماً أو قاعداً أو مضطجعاً، وعلوم الأخلاق ليحسن اجتماعه بإخوانه، وعلوم الهندسة ليبنى المسجد ويوقع محرابه على جهة القبلة، والقراءة والكتابة ليحفظ من القرآن ما لا تصح الصلاة إلا به، وفنون الغزل والنسج لعمل ما يستر به عورته، ويلزم على ذلك فنون الزراعة.

الركن الثالث :

الزكاة. وهى توجب على كل مسلم أن يتعلم فنون التجارة والصناعة ويتقن العمل ليكتسب المال، ويتعلم علوم البيوع ليكون كسبه من حلال، ويتعلم الحساب الذى يحسن به إخراج الزكاة. ويتعلم طبقات الناس ليضع الزكاة فى مواضعها، ويتعلم فنون

شروق الأهلة حتى يخرج الزكاة فى أوقاتها الشرعية.

الركن الرابع :

الصيام. ولا يكون كاملاً إلا إذا علم دورة الأرض اليومية التى يتبين منها الفجر الصادق والغروب الصادق، ويعلم مقادير المسافات الأرضية حتى يفطر فى السفر الشرعى، ويعلم حقيقة الرحمة عملاً بالفقراء والمساكين، ويعلم القدر الذى لا يضر من الجوع والعطش، حتى إذا بلغ ما يضر أفطر.

الركن الخامس :

الحج. وهو ركن مالى بدنى روحانى لا يقوم به إلا من عمل فى الدنيا، حتى جمع ما لابد منه من وجه الحلال، ولا يقوم به إلا من علم أخلاق الأمم وعوائدهم بدرس علوم التاريخ، وعلم ما يضر وينفع من الأطعمة والأشربة مما هو متعود عليه وهو علم الكيمياء، وعلم ما يضر وعلم أماكن الأمن والخوف وأوقات هبوب الرياح، ليسرع فى مكان، ويبطئ فى مكان ويسير فى وقت ويقف فى آخر، وهو العلم بالآثار الجوية.

وفى تلك الأركان من العلوم التى يكتسبها القائم بها من مكاشفة آيات، ومشاهدة أسرار، ورياضة روحانية بدنية، وتبادل أفكار، واكتساب علوم، ومعرفة رجال، واطلاع على غرائب القدرة فى بر وبحر، وأنواع الحكمة من أنواع الناس ما لا يخفى.

فهذه هى أركان الإسلام! فما هى أركان النصرانية؟.

والأولى بعد هذا البيان أن نعمل بوصايا الإسلام ونصائحه عملاً بالحق، فإن الإنسان لا رغبة له إلا فى الخير لنفسه، ولا قصد له إلا سعادة نفسه، ومتى ظهر الخير له أقبل عليه إن كان عاقلاً وترك ما كان عليه رغبة فى سعادة نفسه وخيرها. وإن كان جاهلاً أحمق تمسك بما كان عليه ولو كان فيه هلاك نفسه، كأنواع البعوض من الطيور التى لا تكتفى بضوء النار، ولكن يقودها الطمع حتى تقتحم جمرها فتحترق،

ولو أنك وضعت سراجاً فى الليل فى وسط زراعة لوجدت حواليه تراب تلك الأجسام التى سعت فى هلاك نفسها لجهلها وضلالتها.

لم أكتب ما كتبت إلا بعد أن درست الإنجيل درس متدبر، وقرأت تعاليم الكنائس قراءة متفهم، وطالعت ما وضعه الإنجيليون (البروستنت) مطالعة متأمل، فظهر لى جلياً أن القوم مرضى، ولكنهم يكرهون أن يظهروا أمراضهم للحكيم، فيغيرون صفرة وجوههم بالحمرة، ويخفون عضال أمراضهم بالدعاوى الباطلة والأكاذيب، مما لا يسلمه طفل صغير. كل تلك الأدهان لا تزيل الأمراض، وكل تلك الأباطيل الكلامية والأكاذيب قبيحة فى عين الإنسان العاقل، ثقيلة على أذنيه، منكرة عند قلبه، ثقيلة على النفس، مبغوضة للعقل، ويا ليتهم داموا على إخفاء أمراضهم على الحكيم، ولكن غلبت الجهالة عليهم، وغرتهم سحب الضلالة، حتى تناسوا ما كانوا يتسترون منه أمام العقلاء، وقاموا فقبحوا محاسن الحكيم وأرادوا تنفير الناس منه، وبلغ بهم نسيان مرضهم مبلغاً جعلهم يستحسنون قبحه ويتلذذون بآلامه، ويقيمون الأباطيل والأكاذيب الناتجة عن فساد الأوهام مقام الحجة والبرهان، حتى صار هذا المرض والعياذ بالله عضالاً، فهوى بهم إلى هوة السخط بالتشنيع على رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم، والإنكار على كلام الله المقدس، كما يحتال من عنده الوديعة على سلبها من صاحبها بالحيل، ثم ينسى أنها لصاحبها، فيخاصمه ويحاربه، ويقيم عليه الحجة.

ما أضل الإنسان وما أعماه عن الحق! وما أضله عن الهداية! وما أجرأه على ارتكاب أقبح القبائح وأشنع الشنائع!!.

لا تعجب فالذى قتل الأنبياء وصنع الصنم بيده وعبد إنسان!! أعوذ بالله من الإنسان إذا ضل، ومن الشيطان إذا تسلط. فهلم أيها الإنسان فنج نفسك واسع لكمالاتها، ولا تتكبر على الحق، فإن الحق أكبر من العقول، ومن تكبر على الحق قهره، ومن ترك السعى لكمالات نفسه عذب.

والله أسأل أن يهدينا صراطه المستقيم، وأن يعيذنا من شر المغضوب عليهم الــذين كذبوا الأنبياء وآذوهم، ويعيذنا من شر الضالين الذين بدلوا الحق بالباطــل، وغــيروا الحسن بالقبيح.

ويجعلنا من الذين أنعم عليهم سبحانه الذين سلموا لسنن الله فى خلقــه، واقتــدوا بأنبيائه، واتبعوا كل رسول بعثه الله بإيمان وتصديق، غير متعصبين للآباء، ولا مصرين على العناد، حتى نفوز بالسعادتين، ونحيا حياة طيبة فى النعيم الأبدى، إنه مجيب الدعاء، والسلام على من اتبع الهدى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

الفصل الثانى

علـــمـــانيـــة

مقدمة

إن أجرأ ما فى حياة الإمام أبى العزائم ﷺ هو اعترافه بالفنون والآداب، كالمسرح والتمثيل والغناء والرسم والنحت والتصوير وسماع الموسيقى.. مع أن الفن فى زمنه لم يكن إلا ترفيهاً منكراً من علماء الدين وبعض أدباء عصره ومفكريه، والإمام أبو العزائم عليه السلام فى اعترافه بالآداب وبالفنون لا يأخذها كما هى أو كما كانت عليه، ولكنه يعترف بها ويقرها، ويشجع عليها على الشكل الذى ينبغى أن تكون عليه، وبشرط أن تكون لترقية إحساس الشعب، وطريقاً من طرق نهضته وتقدمه ورقيه.

محدثات العصر

وعن الأمور التى حدثت فى عصره كالأثاث الفاخر والملابس الإفرنجية والأكل بالسكاكين والشوك والترام والمصاعد والزينة غير المحرمة، يقول الإمام: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِي لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ٣٢)، ويقول من الحديث: (إن الله جميل يحب الجمال) [رواه مسلم وابن ماجة]، وهمّ ذات مرة بركوب المصعد الكهربى فقال: ﴿.. وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ (الزخرف: ٣٣) ثم حمد الله وأثنى عليه. وكان يأكل من الطعام أطيبه وأشهاه، ويلبس من الملابس أجملها وأذوقها، وأحسنها هنداماً، واقتنى عربة ركوب وسيارة خاصة، وذهبية على النيل يصطاف فيها.

المسرح والسينما والتمثيل

وللمسرح والسينما والتمثيل على اختلاف أنواعها، نصيب كبير عند الإمام أبى العزائم، فهو يرى أنها وسيلة عصرية ملائمة لرقى الأمم، ونهضة الشعوب، متى أحسن توجيهها، فعن طريق التمثيل والمسرح يمكن توجيه الشعب نحو المثل الإنسانية العالية.. والحياة الإسلامية الفاضلة، أما تصوير الجريمة بالطرق الحديثة، فهو يراها دعوة إلى ارتكابها لأن الإعلان عن الجريمة فضلاً عن تصويرها، مدعاة لإقامة الحد، ولأن النفس الإنسانية تميل إلى التقليد فى الشهوات والغرائز. ولقد جدد فى هذا المضمار بأن وضع الأساس والنموذج والذى يجب أن ينهج عليه، فى التمثيل والمسرح والسينما، فجاءت مسرحيته الخالدة (محكمة الصلح الكبرى) نموذجاً لما يجب أن يحتذيه الأديب الرفيع ليضع المسرحية الصادقة، فهى تضع الوسائل الكفيلة بإيجاد المواطن الصالح والإنسان الكامل فى المجتمع الفاضل.

التصوير

وللتصوير عنده مكانته أيضاً، فلقد سمح بأخذ صور عديدة له ولأفراد عائلته، وكان يدعو المصورين لتسجيل الاحتفالات والمناسبات الدينية، واحتفظ بصور عديدة لأتباعه وأفراد أسرته ومعارفه، وكل من اتصل بهم من ملوك العالم وأمراء المسلمين والعرب ويقول عن المصورين: (المصوِّر على اسم من أسماء الله).

الأدب .. والأديب

الأدب فى المفهوم التقليدى حتى اليوم، هو حفظ الجيد من منظوم الكلام ومنثوره والأخذ من كل علم بطرف.

والأديب هو من لديه علم بكل مستظرف من العلوم، مع الإلمام جيداً بالشعر والنثر.

ويحدد الإمام مفهوم الأديب فيقول: إنه ليس من الممكن أن أدعى أننى صرت أديباً لمجرد أننى حفظت شعر العرب ونثر كلامهم، وإنما أكون أديباً حقاً إذا تأدبت بالآداب الإسلامية، وتحليت بالفضائل المحمدية من الشجاعة والعفة والكرم والسخاء والعدل.. ولا أستطيع أن أقول: إننى أدبت ابنى إذا اقتصرت على تعليمه منظوم الكلام ومنثوره.. إنما يمكن أن أقول: إننى أدبت ابنى إذا جعلته يتحلى بكريم الصفات وجميل الأخلاق الفاضلة.. فالأدب معرفة النفس وحقائقها ومراتبها فى الوجود، حتى يترل الإنسان كل شئ مترلته بما فيها نفسه.

الغناء والسماع

الغناء ترقية للحس، وتسام بالغرائز، وترويض للشهوات ويتصل بالأدب، بل هو أساس فيه، والمسلمون والعرب مولعون بالغناء، فهو من عناصر حياهم اليومية، ولقد اتصف عصرنا هذا بأنه عصر الغناء واللحن والموسيقى، ويقر الإمام أبو العزائم ﷺ ذلك كله، بل إنه كان يقول: دعونى أغنى.. فأنشد أشعاراً وأبياتاً وأملى قصائد، تفوق فى عددها عشرات الألوف، وكان أتباعه يلحنوها ويتغنون ها فيطرب ويطربون لها معه، ولكن هناك فرق كبير بين الغناء عند الإمام أبى العزائم وغناء عصره.

فالغناء فى هذا العصر يخاطب الحس فينبه كوامن الغرائز، ويستثير مكنون الشهوات، فلا يكون من ورائه ترقية الحس ولا تسام بالغرائز أو ترويض للشهوات، وإنما العكس هو الحادث، والحس إذا ترك وشأنه مع الغرائز والشهوات، انحط الإنسان، عن رتبته الإنسانية، ويحدد الإمام أبو العزائم ﷺ مفهوم الغناء طريقة وأداء، فغناؤه يخاطب الحس ولكن ليكشفه وليبين وظيفته السامية وما طرأ عليها من صدأ الشهوات والغرائز البهيمية، فيجعله يفسح الطريق إلى الرقى، فيتصل بالنفس الملكية، وبالروح القدسية، فيطرب طرباً عن مشاهدة يقين بعالم عالين وأعلى عليين، ليرى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت.

الأغانى جذبة حق لحق، وخطفة تلوين إلى مقام تمكين

الحب والحكمة غذاء الأرواح، والأغانى طهور الحب، قال ﴿ﷺ وآله﴾: (ليس منا من لم يتغن بالقرآن)، والقرآن هو ما دل على كمال الأحدية وجمالها وجلالها وبهائها ونورها وضيائها، كما أن الفرقان ما دل على الأحكام المتعلقة بالشريعة، والذكر ما دل على العبر والأحداث التى وقعت للأمم السابقة، فالتغنى بالقرآن خمرة الأرواح الجاذبة إلى الفتاح، ولذلك فإنك إذا سمعت الحكمة مبينة بلسان العبارة أو الإشارة، انتشت روحك واقشعر الجلد، واهتز الجسم وقام بما لا يمكن أن يقوم به إلا بسماع تلك الأغانى.

وإنا إذا أبحنا الأغانى فإنما نبيحها مع أهل الأدب الذين تزكت نفوسهم، وبأصوات متناسبة، وبعبارة مجملة بكمال الأدب الشرعى بعيدة عما يوقع السامع فى حيرة، أو يلقى به فى وحلة التوحيد، أو يوقعه فى حضيض مكان البهيمية، ومتى وفرت تلك الشروط كانت الأغانى جذبة حق لحق، وخطفة تلوين إلى مقام تمكين، والله ولى المؤمنين.

السماع بين المدح والقدح

قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَأَقْوَمَ ﴾ (النساء: ٤٦)، وقال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللّهَ وَاسْمَعُواْ ﴾ (المائدة: ١٠٨)، وقال جل جلاله: ﴿ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ (التغابن: ١٦)، وقال تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ {١٧} الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر: ١٨)، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ ﴾ (الأعراف: ٢٠٤)، وقال عز وجل: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (المائدة: ٨٣)، وفى الأثر: (الصوت الحسن نفس من نفس الرحمن).

معلوم أن الأسرار الإلهية المتعلقة بكمالات الأسماء والصفات لا طريق لها إلا السماع، قال الله تعالى: ﴿ وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (النحل: ٧٨).

فجعل الله تعالى الأبصار للإنسان ليشهد الكائنات، وبها تظهر الآيات للأفئدة، وخلق الله له السمع ليصغى إلى كلام الله تعالى وبيان رسله عليهم الصلاة والسلام، فيوصل تلك الأنوار إلى الأفئدة فتفقه أسرار الله وتنعقد على الحق، وقبل أن أتكلم على السماع عند القوم أبين الخلاف فيه، وقد وضحت جملاً منه فى كتاب (معارج المقربين)، ولما كانت النفوس قبل تزكيتها وتطهيرها من لقسها ينبغى أن يكون لسماعها رنين سياط الإنذار والتخويف حتى تطهر من طمع فى الدنيا وغرور بها، ثم يترقى السماع إلى سماع البشائر بالملاذ الباقية والنعيم الأبدى حتى تزكو من الإخلاد إلى الأرض، ثم يكون السماع بنغمات الرغبة والرهبة ليصفو جوهر النفس صفاء يجعله مستعداً لتلقى العلوم النافعة، ثم يكون السماع بسماع الحكمة العالية لاستجلاء تلك الحقائق فى جوهر النفس فتنجذب بالكلية إلى عالمها الأعلى وتفارق مفارقها، وترى

الدنيا كما وصفها الله تعالى بقوله سبحانه: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (الحديد: ٢٠)، والمتاع هو سقط البيت الذى لا ينتفع به، وكفاها تعاسة أن الله تعالى سماها دنيا لأنها مأخوذة من الدون، فإذا صفا جوهر العقل وقبل العلوم النافعة بطريق السماع، واتصل بعالمه الأعلى بحسب الحقائق العلمية التى نقشت عليه انفتق رتق القلب فصغت أذن القلب إلى نغمات الكائنات، وفقهت تسبيح كل شئ كما قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ ﴾ (الإسراء: ٤٤)، وللكائنات نغمات تبتهج بها الأرواح متى صغى إليها القلب اطمأن بمقلبه سبحانه، وإذا اطمأن القلب بمقلبه وسكنت النفس لمنفسها كان السماع معراجاً للوصول، وبراقاً للقبول، يجعل به للنفس سياحتها الروحانية فى ملكوت الله الأعلى، وقد شرحت لك السياحة الروحانية فى كتاب (الفرقة الناجية)، ومتى ساحت النفس فى ملكوت الله الأعلى تجافت دار الغرور واتصلت بالنور فجعل لها الحضور، كل ذلك بسر السماع، وقد يخطئ بعض الناس فيذمون السماع، نعم، ولكن يلزم أن يكون ذمه من الجهة التى يذم منها، فإن أهل النفوس النجسة التى لم تتزك ولم تخرج من مقتضيات عناصرها، إذا سمعوا الحكمة جذبتهم حظوظهم إلى ما لا يحمد، فمنهم من يعينه السماع على عمل المحرم كالزنى وشرب الخمر والقتل وبذل الأموال فى غير الوجهة الشرعية، وإثارة العواطف وفساد الأخلاق، وهذا السماع محرم شرعاً ويجب أن يحجر عليه، ومن السماع ما هو أشد حرمه من هذا، وذلك أن يجالس أهل النفوس النجسة فى مجالس أهل السماع مع العلماء الربانيين فى خلوتهم، أو تؤخذ إشارات الرجال وأسرارهم فتنتشر بين العامة ممن لم يحصلوا العلوم الشرعية اللازمة لهم من التوحيد والفقه، وعلم الوعد والوعيد والإنذار والتبشير والإيمان بيوم الحساب، ومعرفة الأسباب المرتبطة التى وضعها الله لعمار الكون وربط بعضه ببعض، وقد جعلها دلائل وحدانيته ببراهين على حكمته وقدرته، فإن أمثال هؤلاء إذا جلسوا فى تلك المجالس أو سمعوا هذه الحكمة أخرجتهم عن الاعتدال فضلوا وأضلوا نسأل الله السلامة.

إن مثل هذا السماع من أكبر الكبائر شرعاً، لأن الشرع ينظر إلى نتائج الأعمال، وهذا السماع ربما أنتج القول بالحلول، أو أنتج ترك الأعمال الشرعية، أو أنتج محو الأحكام وعدم الأسباب، وربما عمت البلية، فادعى تلك المعاني أهل الجهالة ممن لم يعرفوا أنفسهم فضلاً عن معرفة الله تعالى وأيامه وأحكامه، وجعلوا تلك الأسرار العلية مصائد للدنيا بالدين. قال ﴿ﷺ وآله﴾: (ملعون ملعون، قالوا: من يا رسول الله؟ قال: من طلب الدنيا بعمل الآخرة)، وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (تعس عبد الدرهم والدنيا تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش)، وقال تعالى: ﴿ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ (البقرة: ٤١)، وإني لا أعذر رجلاً نشر الحكمة بين العامة فأفسد عقولهم وأعذر العامة، ولا ألوم من بخل بالحكمة غيرة عليها أن يتناولها غير أهلها، وكيف توضع الجواهر تحت أقدام الخنازير؟! وعلى ذلك فالعاقل لابد أن ينظر قبل الحكم إلى نتائج العمل، فإذا أنتج خيراً فخير، وإن أنتج شراً فهو محرم لأنه أنتج شراً. وكيف يحرم السماع، وإنما تأسست الأديان على السماع، وما من نبى بعثه الله تعالى إلا وأنزل عليه ما يتلوه على قومه، وما من عالم بين قومه إلا وقام يبين للناس ما نزل على رسله عليهم الصلاة والسلام.

الآلات الموسيقية

والسماع عند الإمام دائما ما يرتبط بالراح والشراب وخمر الجلالة فيقول:

تغنوا معي بالحـــال إن دارت الـــراح — فكم عند شراب الراح تصعق أرواح
فــــداوود بــــالمزامر غــــني فأوبـــت — بألحانــــــــــه الأشـــــــــباح والأرواح
وهــــا أنــــا مخمــــور بــــراح مقــــدس — لم تــــــــــدره الأرواح والأقــــــــــداح
تناولتــــه مــــن قبــــل مجلــــى حقــــيقتي — وناولــــــه الوهــــــاب والفتــــــاح

وقول عندما استمع مرة إلى نغمة الأوتار:

نغمــــة الأوتــــار والــــراح المــــدار — كشفا لي الستار عن غيب مصــون
نغمة الألحان تنبي بالجمال الصرف قلــبي — طـــــــاب لي فيــــــــه الجنـــــــــون
صبوتي بعد المشيب فاشهد الحسن المهيب — أظهرت نور الحبيب لاح جهراً للعيــون

وعندما استمع الى أوتار البيانو لأول مرة أنشد بعد السماع فقال:

اضـــربي نغمـــات أوتـــار القلـــوب — فالبيـــانو قـــد ألاح لنـــا الغيـــوب
نغمــــة تشــــجي تــــذكرت الهــــوى — فتــــرى ســــر الحقــــائق والغيــــوب
أسمعـــــيني نفخـــــة القـــــدس الـــــتي — شــــاهدت في البــــدء أنــــوار الحبيــــب

وإذا سمع قيثارة ذكرته بحبيبه فقال:

نغمة الأوتار قـــد أزكـــت هيـــامي — وسقامي لا أطيـــق جـــوى الغـــرام

ويقو مخاطبا(كامل)ضارب العود:

أكامل إن العقــل يــدرك حكمــة ... في نغمـــــة الأوتـــــار والمزمـــــار
والـــروح تـــدرك حكمـــة روحيـــة ... ممـــــا توقعـــــه مـــــن الأســـــرار
أيـــا أيهـــا الأوتـــار جـــددت الهـــوى ... بشـــــجي الحـــــان مـــــن الســـــمار

الآداب والفنون الحديثة

كان للإمام أبى العزائم موقف من الآداب والفنون حرى بأن يتعرف عليه وتتكشف معالمه لما فى ذلك من إثبات وتأكيد، لبعض من ينكر علـــى الصـــوفية دورهم فى العديد من مجالات المجتمع المختلفة، ومنها هذا المجال الذى يتحرج بعـــض علماء الدين من الإسهام فيه بموقف أو برأى. أما الآداب فقد تنوع عطاؤه فيها مـــن شعر ونثر، فتروى آثاره العلمية المئات من الأبيات والعشرات من القصائد، ينشـــدها أتباعه أثناء مجالس الذكر لتزكو بها نفوسهم وتعلو من خلالها هممهم لما فيها من حث وإرشاد على الأخذ بالدين ومخالفة النفس.

ومن ينظر فى أشعار الإمام أبى العزائم أو مواجيده لن يجد إلا آداباً وقيماً تحاول أن تغزو قلبه وعقله لتحثه على العمل بها.

فيقول فى إحدى قصائده:

أغنى فيصغى للأغـــانى فـــتى صـــب ... دعاه إلى نيل الرضا فى الصفا الـــرب
أغـــنى بألحـــان الصـــبابة ناشـــــرا ... معانى إسراء بها أشـــــــــرق القلب
بمحبوبـــه أســـرى إلى القـــدس راقيـــا ... فشاهد غيب الغيب الظـــــاهر الحب
حبـــيبى تحنـــانى إلى حظـــوة الرضـــا ... أنلنى وصالاً منك يحلو به القـــــــرب
بـــراح الصـــفا روح حبـــيبى متيمـــاً ... بطيبة يصفو لى بهـــا الوصـــل والشـــرب

فالغناء عنده- كما يبدو فى الأبيات- ليس غناء يدعو إلى الخروج عن الآداب والقيم، وإنما غناء يبعث الوجد فى قلب المريد فيشرق بها قلبه.

وفى قصيدة أخرى يذكر المسلمين بذكرى ميلاد الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ واصفاً شوقه لمجئ هذه الذكرى:

هبى نسيمٍ الصبا من طيبة تهدى قلبى إلى حضرة المختار والجد
هبى سُحيراً ليحيا قلب منجذب للمصطفى أرتجى من فضله ودى
أيام مولده قد أشرقت تنبى بالوصل يمنح لى فى حالة الورد
هبى نسيم الصبا أحى رميم فتى يشتاق يشهد ما فى المطلع الحدى

فهذه الأبيات تكسب من يطالعها شوقاً وفرحاً لمجئ ذكرى ميلاد الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ إلى غير ذلك من عشرات القصائد التى تستهدى القارئ وتزكى نفسه وعقله.

وجاء النثر عند الإمام أبى العزائم يماثل وظيفة الشعر التى سبق الإشارة إليها.

وقد قصد الإمام أبو العزائم عليه السلام بهذا التنويع بين الشعر والنثر تنويع (الدواء بما يناسب نيل الصفاء)، ويقصد بذلك تغيير وتجديد شكل الدواء الذى يسقيه لمرضى النفوس حتى لا تأنف ولا تمل فتقبل عليه وتأخذ منه. فكتب رواية واحدة (هى محكمة الصلح الكبرى) وعدة قصص قصيرة منها : (الناسك والمخترع) و(المقتصد والمسرف والفاسق) و(الفلاح الحكيم) وهى ألوان من الأدب يبدو من عنوانها الدعوة الى الدين والعمل بأخلاقه .. فالرواية تدعو إلى الصلح بين ملكات النفس المختلفة وذلك عن طريق حوار فنى يقوم على العقل والمنطق ؛ فيصبح الإنسان وليس بداخله اضطرابات بين قوى نقسه المختلفة؛ وبذلك يستطيع أن يقدم للمجتمع ما يسعد به .

وتبدأ الرواية بلقاء بين الخيال المتجرد من كثافة الظلال وهو مرآة المحسوسات وبين الوهم بلا محيطات، وهو مرآة المعنويات، وأخذ الوهم يبين للخيال عناءه مما شغله به

الإنسان، من هجر للشريعة وارتكاب ما يخالفها، فإذا بالخيال يبادره نفس الشكوى ثم يتوجها سوياً إلى العقل ويعرضا عليه الحال ليهتديا إلى حسن المآل، فنصحهما العقل برفع هذه المظلمة إلى محكمة الصلح الكبرى.

ونظرت الدعوى فعلاً أمام (محكمة الصلح الكبرى) التى تشكلت هيئتها من رئيس المحكمة (العدل) وعضوية كل من (القسط، والعلم، والهدى، والتوفيق) وكاتب الجلسة (أمين).

وكان المدعوون أمام المحكمة هم: (العقل، والفكر، والروية، والعفة، والشجاعة، والكرم، والعدالة، والنور، والعزة، والرحمة، والخشية).

أما المتهمون فهم: (النفس السبعية، والنفس البهيمية، والتهور، والشهوة، والجبن، والبخل، والغدر، والحس، والضيم، والقسوة، والجسم، والتيه، والحماقة).

وقد وقف كل مدع أمام خصمه، فوقف الكرم أمام البخل، ووقفت العدالة أمام الجور، ووقفت الشجاعة أمام الجبن.

وبعد ثلاث جلسات من الاستماع إلى المرافعة والمواجهة بين الخصوم كل منهم للآخر تصافحت النفوس المتصارعة فى الإنسان، واصطلحت أمام هيئة المحكمة وجاء عقد الصلح يتضمن البنود الآتية:

أولاً: أن تسارع النفوس إلى القيام بما أمرها الله به سبحانه بقدر الاستطاعة وأن تترك ما نهاها الله عنه جملة واحدة.

ثانياً : أن تجاهد النفوس ذواتها فى الله حتى تطيع المنعم الجواد لتفوز برضاه.

ثالثاً: أن تحب النفوس الآخرة، لأن الله مدحها ورغبنا فيها، وأن تكره الدنيا لأن الله ذمها وكرهنا فيها.

رابعاً: أن تحب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، حباً يجعلنا نتشبه به فنحيى سنته ونصونها من التغيير والتبديل.

وبذلك يتحقق التوازن النفسى عند الإنسان فيستطيع أن يؤدى ما عليه من واجبات تجاه نفسه وتجاه دينه ووطنه.

كما تدعو مجموعة القصص القصيرة إلى مثل ما تدعو إليه (محكمة الصلح الكبرى) فتبين قصة (المقتصد والمسرف والفاسق)، أن الاقتصاد فى الأمور يقـود الإنسـان إلى النجاح فى الحياة، كما تؤكد قصة (الفلاح والحكيم) أن العلم وحده لا يكفى وإنمـا لابد أن يصحبه العمل، فربما كان العلم ضاراً بصاحبه وذلك إذا لم يبتغ به وجـه الله، أو يفسد به فى الأرض، أو يجعل صاحبه متكبراً على الناس متأففاً منهم.

كذلك تدعو قصة (الصالح واللص والسكرى) الإنسان المسلم المهتدى أن يكون له دور فى هداية غيره من المفسدين بالتى هى أحسن.. وتبرز القصة دور الصالح الفطن فى هداية كل من اللص والسكرى، فتبين للدعاة كيفية الدعوة إلى الله تعالى.. وهكذا فى باقى القصص.

ويمكن لرواية (محكمة الصلح الكبرى) أن تقدم على المسرح.. وهنا يتجسـد دور الإمام أبى العزائم فى الفنون.

فلم يكن هذا الدور قاصراً على التقويم النظرى، وإنما امتد ليسهم بأعمـال أدبيـة يصلح تقديمها على المسرح، أو يقدمها الفنانون والمخرجون فى أعمال فنية أخـرى، فالفن عنده هدف تربوى وإصلاحى يستفيد منه الفرد والمجتمع، ولذلك فإنه يـرى أن للمسرح والسينما والتمثيل على اختلاف أنواعها، نصيب كبير فى الإصلاح لأنه يرى أنها: (وسيلة عصرية ملائمة لرقى الأمم ونهضة الشعوب، إذا أحسن توجيهها، فعـن طريق التمثيل والمسرح يمكن توجيه الشعب نحو المثـل الإنسـانية العاليـة، والحيـاة الإسلامية الفاضلة).

ويتبين من موقف الإمام أبى العزائم من الآداب والفنون، رغبته الملحة فى استخدام وتكريس كل أمر لخدمة الإسلام ونشر دعوته وخاصة بعد أن يهـذب هـذا الأمـر ويصبح مهيئاً لدخوله فى الإسلام لاحتوائه والاستفادة منه.

الفكرة التعاونية

فى مجال التعاون، أيد الإمام أبو العزائم ﷺ الأستاذ عمر لطفى بك- باعث الحركة التعاونية فى الشرق- حيث اقتبس التعاونيات عن بعض البلدان الأوربية التى زارها عام ١٩٠٨م، وعاد إلى مصر فاتحد معه الشيخ عبد العزيز جاويش، وعضده مصطفى كامل ومحمد فريد وغيرهم، وطافوا بالمدن والقرى ناشرين فكرهم، وكان فى استقبالهم بمعظم مدن الصعيد وقراه أتباع الإمام أبى العزائم، فكانوا من المساعدين لهم فى بث الفكرة التعاونية فى محيطهم، وبدأت أول جمعية تعاونية فى أبريل عام ١٩١٠، رغم مقاومة الرأسمالية والإقطاع كواجهة للاحتلال، وأنشئت بعد ذلك جمعيات تعاونية ضمت مدارس ليلية ومعاهد أهلية.

الحياة الاقتصادية

يظهر أثر الإمام المجدد أبى العزائم على الحياة الاقتصادية فى عصره فى تأييده للاقتصادى المصرى الكبير طلعت حرب فى إنشائه شركات مصرية للنسيج والملاحة وغيرها حيث كان طلعت حرب يتوجه إلى الإمام المجدد طالباً منه التأييد والدعاء الخالص، وكم كان سرور الإمام المجدد عظيماً عندما ارتدى الملابس التى صنعت فى مصر لأول مرة.

كان الإمام ﷺ يعضد ويؤيد بكل قواه المادية والروحية، المشروعات التى يقوم بها الأفراد والجماعات أو الحكومات ما هدفت إلى الخير العام لمجموع الأمة.

وفى مجال المال، كان الإمام يدعو المصريين إلى العمل الجاد المثمر، يدعوهم إلى تكوين الشركات الزراعية والتجارية والصناعية، قائلاً: (يجب أن يكون المسلمين أغنياء لا يتركون غيرهم يستثمر أموالهم ويثرى على حسابهم، ويستخدمهم كطاقة بشرية واقتصادية فتغتنى شعوبهم بقدر ما تفتقر شعوبنا، إن ديننا يحض على العمل وعلى اقتناء المال من وجوهه المشروعة. يجب أن تكون خيرات أرضنا لنا، وخيرات تجارتنا قصراً

علينا، أن تكون لنا صناعات تغنينا عن استيراد ما نحتاجه من سوانا..).

وما كاد طلعت حرب فى العشرينيات من هذا القرن يفكر فى إنشـــاء شـــركات مصر، حتى نشطت دار الإمام أبى العزائم كخلية نحل، وصدرت مجلاته تزف البشرى إلى الشعب العربى والإسلامى، ويعتبر أن هذا بعثاً للأمة وبشـــيراً بيقظتـــها وتبوأهـــا مكانتها اللائقة بين الأمم، وظلت مقالاته تتوالى محبـــذاً ومشـــجعاً حـــتى أنشـــئت الشركات، ثم يوالى حملته الشديدة على كل ما كان يوجه إلى الزعيم من نقد، مقصود به صرف المصريين عن التعامل معه.

وليس سراً أن طلعت حرب كان فى كل خطواته قبل وبعد إنشـــاء الشـــركات، يتوجه إلى الإمام فى (ذهبيته) بالعجوزة يطلب التأييد الروحى والدعاء الخالص من هذا القلب الكبير، وكان الإمام رضي الله عنه يطمئنه ويثلج صدره بالدعوات الصالحات، وانتشرت شركات مصر، وازدهرت مصانع النسيج والملاحة وغيرها، وكان سرور الإمام عظيماً عندما ارتدى الملابس التى صنعت فى مصر لأول مرة، واقتدى به ما لا يقل عن ثلاثين ألفاً من أتباعه ومريديه فى طول البلاد وعرضها.

النهوض بالمجتمع

لم يكتف الإمام أبو العزائم عليه السلام فى تشخيص الداءات التى نالت من المجتمع الإسلامى والأمة الإسلامية، وإنما أسهم فى تقديم أمصال تقى المجتمع والأمة من غزو الطفيليات المستمرة عليها، ومن ثم يستطيع كل منهما - المجتمع الإسلامى والأمة الإسلامية- القضاء على الضعف الذى حل بهما واستكمال الجوانب الحضارية التى أمدهما بها الإسلام.

ومما ساعد الإمام أبو العزائم عليه السلام فى مشاركته بهذا الدور، معايشته للقضايا والمشكلات التى نزلت بشعوب البلدان الإسلامية وذلك عن طريق تنقلاته المستمرة التى دعته إليها وظيفته الحكومية.

فكان عمله بالتدريس فرصة سانحة أتاحت له التعرف على مشكلات العالم الإسلامى ومعايشة قضاياه.

فيرى أن الأسباب التى حالت دون تقدم الشعوب الإسلامية وإعادة المجد الحضارى الذى دام ردحاً من الزمان، هى:

١ - تهاون الحكام بأحكام الدين.

٢ - تركهم- الحكام- إقامة الحدود.

٣ - رغبة العامة فيما يفنى.

فنتج عن تهاون الحكام بأحكام الدين ترك إقامة الحدود، لأنهم لو أقاموا الحدود لكانوا أول من تقام عليهم، فأباحوا للناس الكبائر لوقوعهم فيها، فانتشر الزنى والخمر والربا والميسر بين الناس، فالتفت الله بوجهه عنهم وسلب عنهم ملكه وأذلهم.

ويشير الإمام أبو العزائم عليه السلام إلى أن تهاون الحكام فى تطبيق شرع الله، مرده تقصير العلماء فى واجبهم؛ فحرصهم على الدنيا أخرس ألسنتهم عن النصيحة، وأخضعهم للأمراء والأغنياء، فجاورهم على ضلالهم، وفرحوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها، فجهل

الناس آداب الشريعة، لأن العلماء قدوة الناس فكانوا وهم أنجم الهدى- سبباً فى الضلال.

ونأخذ من هذا النص أن تهاون كثير من العلماء وحرصهم على طلب الدنيا، شغلهم عن تقويم الحكام عندما تهاونوا، وتبصير الناس عندما ضلوا عن الحقيقة، فأدى ذلك إلى حدوث تقصير من الحكام وفساد من الناس.

وأما الثالث الذى يراه الإمام أبو العزائم عليه السلام حال دون تقدم المجتمع الإسلامى، وهو رغبة العامة فيما يفنى وقد أدى إلى إفساد أخلاقهم عامة والعوائد وجمال الأخلاق وأكمل الفضائل، فأصبح منهم اللص والمخادع، ويسوق أمثلة على ما يقع بين كثير من الناس فيقول: (يقابل الرجل أخاه بوجه طلق وثغر باسم، خادعاً له ليسلب ماله، أو ليفسد عرضه فإذا التفت عنه تنمر، فذم واغتاب وسفه وعمل ما يخجل الشياطين أن تعملهم مع بعضهم).. وهذه صورة من عدة صور يفعلها الناس نتيجة لتهاون الحكام وتقصير العلماء.

كما وضع عواملاً يرى أنها تستطيع أن تعيد للمجتمع الإسلامى وجهه الحضارى، وتخلص الشعوب الإسلامية من أسباب الوهن التى حلت بها وهذه العوامل هى:

أولاً : أن تكون اللغة التى يتفاهم بها جميع المسلمين مع بعضهم بعضاً أو مع غيرهم هى اللغة العربية، لغة القرآن والسنة.

ثانياً: أن يجتمع جميع المسلمين على إمام واحد يكون هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويكون أكمل الناس شبهاً به، ويجمع عليه الناس سواء كان عربياً أو عجمياً.

ثالثاً: أن تقام حدود الله، بمعنى أن يكون العمل بكتاب الله وبسنة رسول الله.

رابعاً: أن تكون تربية المسلمين مؤسسة على التربية الدينية، بحيث يكون التعليم أولاً قاصراً على تعليم الإيمان ثم القرآن، ثم يكون تعليم الصناعات أو الزراعة أو

التجارة، أو تعليم فنون الجهاد وتدبير المدن وسياسة المجتمعات.

ويرى الإمام أبو العزائم ﷺ أن يكون تعليم تلك الفنون كله مؤسساً على الدين وذلك لأنها وضعت لإعلاء كلمة الإسلام وحفظ ثغوره، وجلب الخير لأهله، وقوة سلطان المسلمين.

ثم فصل القول فى كل عامل من هذه العوامل، وبين قوة تأثيره فى تحقيق مجتمع إسلامى متحضر.

فتعد اللغة العربية- عنده- عنصراً مهماً فى إذابة الفروق بين الشعوب الإسلامية المختلفة الجنسيات، ووسيلة صحيحة فى التفافهم حول كتابهم وسنة نبيهم.

أما اجتماع المسلمين على إمام واحد، فيرى أن هذا يعد عامل الوحدة الأول الذى يجمع المسلمين ويوحد كلمتهم، خاصة إذا كان هذا الإمام مقتدياً برسوله ﴿ﷺ﴾ وآله﴿ﷺ﴾.

وأما بالنسبة للعامل الثالث وهو العمل بالكتاب والسنة، فيبين أن فى هذا سعادة للمسلمين فى الدار الدنيا وأمنهم على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وراحة لقلوبهم، بل وصفاء أفكارهم التى بها العمل فى الدنيا للآخرة.

ثم يوضح الإمام أبو العزائم ﷺ أن العامل الأخير الذى يساعد على تحقيق مجتمع إسلامى متقدم وهو تربية المسلمين تربية دينية فهو (الأساس الذى يعد قطب الرحى الذى ندور حوله، وذلك لأن النشء هم الأمة فى الحقيقة، وعلى قدر تربيتهم يكون مستقبل الدين والدنيا).

وقد وضع الإمام أبو العزائم ﷺ المنهج الصحيح لعودة المجد الإسلامى فى ست وسائل هى:

١ - الرجوع إلى الله عن طريق نصرة الحق وإقامة الحدود.   ٢ - الرجال العاملون.

٣ - الخلافة الإسلامية.   ٤ - العدل والحرية.

٥ – العلم والعمل.

٦ – اللغة العربية.

الملابس وبعض الأعمال لا تمكن الإنسان من الصلاة

يعتذر أهل الضلال أن الملابس الإفرنجية لا تمكن الإنسان من الصلاة لتعذر الوضوء والركوع والسجود بها، ويعتذر من لا خلاق لهم أن الأعمال فى الورش والمصانع تمنع الصناع من الصلاة لضيق الوقت، فما الحكم فى ذلك الوقت؟!!.

عجباً لهؤلاء!! إن الله وسع لأهل الضرورة أن يجمع العبد الظهر والعصر فى وقت واحد، وأن يجمع المغرب والعشاء فى وقت واحد، وإن العمال الذين يعتذرون بضيق الوقت يسمح لهم بين الظهر والعصر بساعة على الأقل للغذاء، وصلاة الظهر أو العصر لا تضيع من الإنسان أكثر من عشر دقائق، فلو كان مؤمناً حقيقياً لما أضاع وقت الصلاة، فلو أنه توضأ وصلى الظهر فى وقت راحته وبقى على وضوئه حتى يصلى به العصر فى المعمل لأحبه صاحب العمل ولو كان يهودياً، لأن المتمسك بالدين يحبه كل مخلوق.

أما أصحاب الملابس الإفرنجية الضيقة فإن الرجل منهم يتوجه إلى بيته فى الساعة الواحدة زواليه للراحة وتناول الطعام، فيمكنه قبل تناوله أن يخلع ملابسه ويتوضأ ويصلى فى عشر دقائق يروض بها جسمه وقلبه، ثم يتناول طعامه وينام إن شاء فإذا قام من نومه توضأ وصلى العصر، وارتدى ثيابه وخرج لعمله إن كان وراءه عمل، ووقت غروب الشمس تنتهى كل الأعمال فلو أنه توجه إلى مسجد فى طريقه فصلى المغرب لكان مؤدياً لواجب دينه ودنياه، ولما كلفه ذلك شيئاً فى سبيل سعادته فى الدنيا والآخرة، ولو تصور هذا الذى يمسح (جزمته) بمنديله أن جسمه سيأكله الدود فى القبر وأنه أهمل جوهرته النورانية من تهذيبها وتثقيفها بالعلم النافع، لكان خيراً له من عنايته بمسح (جزمته) ونظافة بدلته، يعتنى بنفسه ويبحث عن آخرته، وكم من جاهل مغرور

يعتنى بنظافة الثياب، ويترك اللطيفة النورانية فينحط إلى رتبة البهائم السائمة.

وما فخر الرجل بثياب وقد خاطها العامل البسيط، إنما الفخر كل الفخر بالأخلاق السامية، والأعمال النافعة، والعلوم الرافعة، ولكن ماذا نقول لمن سجل عليه القضاء أن يكون ضالاً مبتهجاً بالحياة الدنيا وزينتها، ناسياً يوم الحساب، ناسياً بدءه وهو بولـــة، ونهايته وهى جيفة، وهو فيما بين ذلك يحمل ما يعاف أن يشمه أو يراه من العـــذرة.. ولكن.. قتل الإنسان ما أكفره، يفرح بالقليل الفانى، ويترك بهجة الحيـــاة الدائمـــة فى جوار الأخيار من الصديقين، والأبرار من المؤمنين، والأطهار من المقربين، قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً﴾ (الكهف: ١٧).

فليبادر إخوتى أعزهم الله تعالى بالرجوع إلى الحق، فالحق أحق أن يتبع، والباطـــل أولى بأن يجتنب، وكفى تعسة أن تسلط على الشرق من كانوا أتباعاً له، ممـــن نـــأت دارهم وقل عددهم، وإلا فكيف تسلطت دولة هولندا على جاوا وبينهما المســـافات الشاسعة وسكان جاوا كانوا أربعين مليوناً وهولندا كانت لا تتجاوز الخمسة ملايين؟.

كل ذلك بترك الدين وراء ظهورنا، وتقليدنا لقوم سعدوا بترك دين كله رهبانيـــة، وإطفاء لنور العقل، وميل إلى خراب الدنيا وتحريم طيباتها، والإسلام والحمد لله ديـــن الوسعة والعلم والعمل للدنيا والآخرة، والتاريخ شاهد عدل على ما كان لنـــا أيـــام تمسكنا بالدين والعمل بشرائعه، والله ولى المؤمنين.

العلمانية والماركسية

إن معظم مفكرى الإسلام والعروبة من المعاصرين نشأوا فى ظل الاتجاه العلمانى فى الغرب، الذى يفصل بين الدين والدولة، أو فى ظل الاتجاه الماركسى اللينينى الذى يكفر بالدين ويؤمن بالدولة، فهم لذلك يقيسون الإسلام على المسيحية، التى لا تعرف التجديد، وليس لها شأن بالدولة حيث لم تأت بتشريع- فالإسلام هو دين الإنسانية الذى يتولى أمر المسلم منذ هو جنين فى بطن أمه إلى يوم وفاته وما بعد وفاته حتى يلقى ربه.. ولذا فالمسلمون يستفتون كتابهم، ويرجعون إلى سنة نبيهم، فيما يجد لهم من شئون حياتهم، ليقروا ما صلح منها فيضمونه إلى دستورهم، فحاجتهم إلى المجددين ملحة فى كل عصر ومكان، لأن دينهم هو دنياهم كما هو أخراهم، فهو عقيدة وأفعال، وإيمان وأعمال.

ويقول الإمام ﷺ: إن علوم الأحكام من الشريعة الإسلامية يمكن لأى طالب من أى دين دراستها، فهى علوم الظاهر، كعلم القوانين الوضعية، بل إننا نرى فى الوقت الحاضر كثيراً من علماء الغرب متضلعين فى أحكام الشريعة الإسلامية، وقد نقلوها عن أئمة المذاهب الإسلامية، وجعلوها أساساً لقوانينهم ولعلومهم، بغير أن يكون فى ذلك حرج، أما العلوم الإنسانية مثل الطب والهندسة والقانون والاجتماع.. إلخ، والعلوم الكونية مثل الطبيعة والكيمياء والزراعة والفلك.. إلخ، فعلماء الغرب اليوم سادتها وأمراؤها لهم فيها القدح المعلى، وما الشرق والعالم الإسلامى فيه إلا عالة عليهم ومغترفاً من بعض علومهم.. ولكن هذه كلها ليست علوماً بالمعنى المعروف لدى العلماء الربانيين، وإنما العلوم التى لا غنى عنها فهى علوم اليقين، لأنها المدخل على معرفة الإنسان بنفسه ومعرفته بربه، وبغير معرفة المسلم نفسه، ومعرفة ربه فهو ليس بعالم، وإن تساوى فى العلم مع علماء الغرب ممن ليسوا على دين التوحيد، وعلوم اليقين يتعلمها المسلم، بعد تزكية نفسه على يد العالم الربانى، المرشد الكامل الوارث علوم الرسالة، وتلك هى العلوم التى فتحت للمسلمين كنوز الأرض، ومفاتيح الغيب

فى جميع علوم الدنيا والدين، فليس يكفى أن يكون الطبيب ماهراً فى الطب، أو المحامى عالماً بالقانون، أو المهندس متقناً للهندسة، وإنما إلى جانب ذلك، بل قبل ذلك كله، يجب أن يكون عالماً بنفسه عارفاً بربه، آخذاً من علوم اليقين بقسط وافر، فبها يكون عالماً، عارفاً، تقياً، نقياً، ورعاً، أميناً، مخلصاً، صادقاً، ومتى صدق مع نفسه صدق مع ربه، فعامل الخلق معاملة الإيثار لا الأثرة.

ولقد فرض المولى عز وجل علم اليقين فرضاً، فجعله كالصلاة والزكاة والصيام والحج، فرض عين على كل مسلم ومسلمة قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) [رواه ابن ماجة فى المقدمة، والمنذرى].

وقال سبحانه: ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ {١} حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ {٢} كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ {٣} ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ {٤} كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ {٥} لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ {٦} ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ (التكاثر).

ويعرف الإمام علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين بضرب الأمثال التى تقربه للأذهان فيقول:

علم اليقين: هو ذلك العلم الذى يتحصل عليه الطالب عن دليل قوى لا يحمل شبهة، ولا يقبل الشك، ومثاله: أن تعلم أن لله بيتاً يطوف الناس حوله يسمى الكعبة الشريفة وأن هذه الكعبة تقع ببلدة تسمى مكة المكرمة، وأن مكة بلد بأرض الحجاز.

وعين اليقين: هو ما نتج عن الكشف والمشاهدة، فهو مرحلة أقوى من الدليل، لأنه نتيجة لعلم اليقين، ومثاله أن تصل إلى أرض الحجاز، وأن تذهب إلى مكة المكرمة فتشاهدها، وأن تكتشف الكعبة وترى ما حولها وتطوف بها.. فتطابق العلم والمشاهدة والكشف، فتكون قد عاينت.

أما حق اليقين: فهو ما يحصل فى القلب من العلم بالدليل القوى الذى لا يشوبه شبهة أو شك.. ومن مطابقة العلم على المكتشف والمشاهد بعين الرأس والبصر، يطابق

العلم بباطن الأمر من علم اليقين عن التيقن والتمكين.

ومثاله: أن يفتح الله عن بصيرة الطالب حتى يوجه إضافة بحثه كله إلى الله عز وجل.

العلماء التقدميين

قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً ﴾ (المائدة: ٣). ما لمعتنقى المذاهب الأجنبية من المسلمين يريدون أن يفرضوا أهواءهم على الإسلام، وأن يوجهوا تعاليمه وفق هذه المذاهب مع بتر ما يزيد عليها من نصوص أو تجاهل وجوده، واجتهادهم فى المواءمة بين الإسلام ومذاهب الغرب للصالح العام كما يتخيلونه، يغاير الاجتهاد المشروع الذى قرره الدين وعرفه أئمة الإسلام فى عصوره الزاهية الطويلة، إذ أن هؤلاء المفتونين بالمبادئ المستوردة من الغرب، مرادهم أن تفرض نزعاتهم الجديدة على الإسلام، وأن يقوموا بتأويل ما يتعارض معها.

إن الاجتهاد الصحيح لا يرضى بأن يضع المجدد أمام عينيه رأياً أو قانوناً أو نظاماً ثم يلوى رقاب النصوص الإسلامية حتى يسوقها إليه. ولكن المجتهد يستوحى النصوص الإسلامية حكمها وحكمتها فى هذه القوانين والآراء والنظم، ويخضع لهذه النصوص دون سواها.

يا رجال الشرق، يا جماعة المسلمين، خالفتم عوائد سلفكم، ونسيتم مجدكم، وأهملتم حدود الله وشعائره، وكرهتم الدين وأهله، وتغنيتم بمحاسن أوربا وترنمتم برحمتهم وشفقتهم، حتى على الحيوانات، حتى نسيتم الاحتياط منهم، وقمتم تبغضون المسلمين فى دينهم وعبادتهم، وعقائدهم وآدابهم، فمنكم من قام ينشر مبادئ كفر اليونان، أو مفاسد آراء الإفرنج، وجعلتم ذلك عقلاً ومدنية وحضارة ورقياً. ولو أنكم نشرتم آداب وحكم وآراء رجل من المسلمين، الذين يعدون بمئات الملايين، لأدهشتم العالم أجمع، ولنهضتم بالمجتمع الإنسانى إلى مصاف الصفاء والتعاون والإخاء، ولكنه

قدر.

قضية المرأة

تعهد الإمام أبو العزائم عليه السلام المرأة المسلمة وأنصفها حين حدد لها معالم الدور الذى يجوز لها القيام به، دون أن يقلل ذلك من مكانتها شيئاً.

وتتمثل هذه المعالم فى الآتى:

١ – العلوم التى تتعلمها المرأة.

٢ – الفنون التى يجب أن تلم بها.

٣ – الآداب الواجب معرفتها.

٤ – الأخلاق التى تتربى عليها.

٥ – الحجاب والسفور.

(١) أما العلوم التى استحسن الإمام أبو العزائم عليه السلام تعلمها للمرأة؛ فمبدؤها الإيمان، ثم تحفظ ما لابد منه من القرآن، خصوصاً الآيات التى تتعلق بالعفة والأمانة، وأركان الإسلام من صيام وصلاة أولاً، والزكاة والحج عند تعيينها عليها، كما يرى أن تقرأ (كتاب الأدب) من كتب السنة، مع تفضيل باب المعاشرة، ومعاملة الجيران والأرحام والأقارب، وثواب من يتولى مريضاً، وبعض الأخلاق من الرحمة والشفقة على الخلق، والبر والصلة.

وقد بين جدوى تعلم المرأة ذلك: لتعلم ما يجب عليها لوالدة زوجها ووالده وأقاربه، ويمكنها أن تقوم بتعليم أبنائها الصغار ما تعلمته من العقائد الحقة، والعبادة والأخلاق، حتى لا تكون سبباً فى فساد عقائد الأبناء.. ونقش الأباطيل والبدع على صفحات قلوبهم من الطفولية.

كما يستحسن للمرأة أن تتعلم أحكام الحيض، والاستحاضة، واليمين بالله، والطلاق، وكتاب العورات، وعلم من يحل لها أن تبدى زينتها له أو يحرم عليها، ففى ذلك كمال لها.

ويزيد المرأة علماً آخر يكسبها جمالاً وصحة فى قولها ومنطقها، فلو أخذت شيئاً من علم اللسان يجعلها تميز بين الفاعل والمفعول، والمحكوم عليه والمحكوم به، أو قرأت حديثاً لا تلحن فيه كان ذلك من الفضائل.

(٢) وأما عن الفنون التى أقرها للمرأة فتكمن فى: أن تتعلم كيف تنظف جسمها وتتعود على ذلك من الصغر، وتلزم أن تنظف ثياها حتى تكون النظافة سجية، وتنظف حجرها فمترلها، ولا يكون ذلك إلا بالتعليم.

ثم تتعلم كيف ترتب ثياها وتحفظها من الأوساخ، وكيف تحفظ ما تؤمن عليه من الأشياء المترلية، وترتب حجرها فى المترل، حتى يكون ذلك سجية لها.

ثم تتعلم الفنون اليدوية فى صغرها، فتتعلم من الكتابة بقدر أن تعلم ما لابد منه مما يتعلق بمترلها أو ما يريده منها زوجها، وتتقن الغزل والنسج، وتفصيل الملابس والخياطة والتطريز.

فإذا أتقنت ذلك بقدر عائلتها- لأها إنما تتزوج بكفء- فتتعلم فن تنظيم حجرة النوم وحجرة الاستقبال، وتنسيق الأثاثات، وتنظيم مخزن الأشياء، ونظافة وتنظيم محل الطبخ والخبز، ونظافة أوانى الأكل والشرب، حتى ينمو عندها ذوق يجعلها لا تستريح إلا بعد عمل ما يسرها وما يسر زوجها منها.

وتمتد إرشادات الإمام أبو العزائم عليه السلام عن الفنون التى تتعلمها المرأة، فيرى أن تتمرن على ذلك فى بيت والدها، وعلى الوالد أن يشجعها على ذلك، ثم تتولى تركيب الأغذية وصناعتها حتى تحسن الأنواع التى تستعمل بين الطبقات.

فإذا حصلت تلك الفنون تتلقى فن قانون الصحة، خصوصاً فيما يتعلق بالنظافة والرياضة البدنية، وبالاحتياطات التى تعمل عند الحاجة للمرض أو للرمد، أو وجع الرأس أو للإسهال، أو للدغة عقرب أو لحرق الجلد بالنار- مما يحصل كثيراً بالمنازل- حتى يمكنها أن تقوم عند الضرورة بما لابد منه لتخفيف الآلام، أو دفع زيادة المرض أو

انتشاره.

ولابد أن تعطى من قانون الصحة أن الصحيح لا يباشر المريض، ويجب أن يكـــون المريض بعيداً عن الأصحاء.

ثم تتعلم منه عمل المربات وحفظ الأطعمة، وتربية الأزهار، وفائدة الهواء بطريقـــة علمية، وقليل من الحساب، وتراجم بعض النساء الفضليات، وخصوصاً نساء الصحابة رضى الله عنهم أجمعين، ممن كن مع الرجال فى مستوى واحد علماً وفضـــلاً وأدبـــاً وجهاداً فى سبيل الله، وعفة وصوناً وخدمة لأزواجهن، مرضـــاة لله ولرســـوله ﷺ وآله.

وإذا تعلمت المرأة فناً من الفنون التى يكون زوجها متقناً له لتعينـــه علـــى عملـــه ومعاشه هذا شئ منوط بها، ويحسن عشرتها مع زوجها.

فإذا زادت على ذلك تعليم صنعة من الصنائع التى تعملها فى بيتها هى ومن يحـــب ذلك من النساء معها أو البنات، يكون ذلك من كمالاتها.

ولا أرى للمرأة المسلمة أن تتعلم لغة غير اللغة العربية، ولا فن الموسيقى، ولا فـــن تخطيط الأرض (الجغرافيا) ولا علم الحساب تفصـــيلاً، ولا الإنشـــاء والخطابـــة، ولا الاطلاع على الروايات المفسدة، ولا الكتب المحشوة بأخبار أهل الخلاعـــة والعشـــاق المتهتكين.

(٣) وأما عن جانب الآداب التى يرى أن تتعلمها: فتتعلم كيف تطيع زوجها، وكيف تحفظ عرضها، وتعاشر أقارب زوجها، وكيف تتصرف فى المملكة التى صـــارت رئيستها.

ومن الآداب الأخرى التى حرص على أن تتعلمها المرأة أثناء انتقالها إلى بيت زوجها الاقتصاد فى الملبس والزينة والحلى والأكل والشرب.

وفى لفتة طيبة طالب المرأة أن تمارس الرياضة البدنية، وأن تكون رياضتها البدنية فى أوقات فراغها، بتنظيف الحجر، وترتيب الأدوات والبحث عما يحفظ الأثاثات المترلية،

ويجعل زوجها منشرح الصدر منها، وما يجعل أبناءها فى صحة وعافية.

ويضيف الإمام أبو العزائم عليه السلام آداباً أخرى يرى من الواجب أن تتعلمها المرأة فى بيت زوجها فتتعلم آداب المجالسة مع أقارب زوجها، وغيرها من النساء، وآداب المعاشرة، وآداب السلوك فى السفر والحضر.

(٤) وأما عن قوله فى الأخلاق التى تتعلمها المرأة، فيرى أن تتعلم النفور من كل أجنبى لا يعنيها التكلم معه، والوحشة من كل رجل يتعرض لها، إلا لحاجة شرعية، والحدة على كل امرأة تذكر أمامها غير زوجها، أو تذكر لها أجنبياً، والعفاف بتعصب أعمى، والغيرة على كل عضو من أعضائها أن يراه غير زوجها أو محرمها، حتى تكون مصونة عفيفة.

ومن حديث الإمام أبى العزائم عن الأخلاق التى يرى أن تتحلى بها المرأة، يتبين لنا أنه حرص بل أكد على المرأة أن تصون نفسها، فلا تشارك غيرها من الرجال فى حديث أو فى معاملة ما لم يكن هناك ضرورة، أما إذا كانت هناك ضرورة فلا مانع من التعامل فى حدود الحاجة إلى ذلك، وهذا ما يسعد كل زوج مسلم، فعندما يرى زوجته تحافظ على نفسها ولا تكلم ولا تتعامل إلا معه، يستشعر حينذاك أنه آمن فى زوجته وآمن فى أولاده، وهذا يؤدى إلى نجاحه فى بيته وفى المجتمع.

(٥) وعن السفور والحجاب، وهو مشكلة العصر منذ أوائل هذا القرن، قال الإمام أبو العزائم عليه السلام كلمته فيها فكانت فيصلاً بين القديم على قدمه وجموده، وبين الحديث على تبجحه وجحوده: (.. فرأى أهل الجهالة من ترك الحجاب ناتج من جهلهم بطبيعة المرأة، فإن العقلاء إنما جعلوا الحجاب على نوع مخصوص من النساء، لا على كل النساء.. فإن بعض النساء يزاولن الأعمال مع أزواجهن ويقمن مقامهم فيما يستطعن من العمل فى الأسواق وفى المزارع وفى المصانع).. ومما يذكر أن الإمام أبا العزائم عليه السلام وجه النظر إلى احتياجات العصر الحاضر فى ميدان التربية، فأشار إلى التعليم الابتدائى المشترك منذ مطلع هذا القرن، كأحد عوامل إزالة

التناقض بين الجنسين، منذ نعومة أظفارهما، وقد أخذت الدولة بهذا المبدأ بعد ثورة ١٩٥٢ واتضحت فعاليته.

يرى البعض أن الحجاب غير ضرورى للمرأة المسلمة .. فما هو حكم الإسلام فى الحجاب؟!

الجواب يظهر فى العبارة السابقة التى يقول فيها الإمام: فرأى أهل الجهالة من ترك الحجاب ناتج عن جهلهم بطبيعة المرأة، فإن العقلاء إنما جعلوا الحجاب على نوع مخصوص من النساء، لا على كل النساء، فإن نساء الفقراء اللاتى كالإماء يزاولن الأعمال مع أزواجهن، ويقمن مقامهم فيما يستطعن من العمل فى الأسواق، وفى المزارع وفى المصانع، وأما نساء أهل الثروة فالواجب عليهن الحجاب، وخروجهن من بيوتهن مفسدة للعرض، مجلبة للشر مضيعة للشرف، فإنهم يخرجن متبرجات بزينتهن، ليلفتن أنظار السفهاء إليهن، وليتمتعن بالنظر إلى أهل الجمال والقوة، ممن لا خلاق لهم، فترجع إلى زوجها وقد علقت بغيره، وربما- والعياذ بالله- نسبت له من ليس منه، فيخرج حرباً على والده عدواً لإخوته وأخواته، وكل ذلك من تساهل الآباء فى البداية، والأزواج فى النهاية، أعاذ الله المسلمين من أهل الغواية، قال الله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (النور: ٣٠).

وما الذى يبتغيه سفهاء العقول القائلون برفع الحجاب عن المرأة؟ يبتغون بذلك أن النساء المخدرات الجميلات، اللاتى صار لكل امرأة منهن زوج يجب أن تكون خاصة به، ويغار عليها أن يرى حسنها وجمالها غيره، أو أن يتمتع بها غيره، والزوج ينفق عليها فى سبيل ذلك نفائس أمواله، ويملكها نفسه، وهى متبرجة تجالس الرجال وتناجيهم، وتقبل زيارتهم فى بيتها فى خلوة لا يكن معهما إلا إبليس الرجيم، والرجل رجل وإن كمل، فإنه لا عصمة له، والمرأة امرأة وإن كملت فإنها لا عصمة لها،

ويقولون: هذه هى المدنية.

فهؤلاء ليسوا- والله- بعرب! ولا يقول هذا القول من هو من أبيه حقاً، فإن النباتات الغريبة فى وسط المزارع البستانية تفسدها، وكذلك الولد الغريب عن أبيه لا ينحصر ضرره فى عائلته، بل يتعداها إلى أمته التى ينسب إليها، يرى ما عليه الإفرنج فضيلة، بينما السبع فى غابته، والطير فى وكره، والديك مع الدجاج، بل وأكثر أنواع الحيوانات يراها رذيلة، فيغار الذكر على الأنثى أن يراها غيره، وهو حيوان أعجم لا ينتفع بأولاده، فكيف بالإنسان لا يرضى أن يكون إنساناً، بل ولا يرضى أن يكون حيواناً، ويحب أن يهوى إلى أدنى من أفق البهائم؟!.. رحماك اللهم بالإنسان!.

على نفسك أيها الدنئ فاحكم، أخرج أمك وأهلك وزوجتك وبناتك، كما خرج من لسن من آبائهن إلى مهاوى البغاء، ومواطن اللعنة والخزى، ففتحن لهن دوراً للفسوق لا شرف يزجرهن، ولا دين يمنعهن، أعوذ بالله من مضلات الفتن.

وهنا أرى أن المسلم لا يكمل إسلامه إلا بالغيرة على عرضه، وبالمحافظة على دينه، والدين يوجب العفاف والصون، والنفس الكريمة تستنكف أن يرى الأجنبى ما وراء باب حرمه، فضلاً عن أن يرى زوجته وابنته وأمه، إلا من أحوجتهم الضرورة إلى مزاولة الأعمال التى تنسيهم الشهوة والملاذ، والله أسأل أن يلهمنا العمل بديننا، والمحافظة على سنن نبينا ﴿ﷺ وآله﴾.

الخمر وأضراره

ما هو الخمر؟ وما هى أضراره ؟

الخمر هو عصير العنب والتمر وغيرها من الفواكه إذا غلا واشتد وقذف بالزبد- وقيل: إن العنب إذا وضع فى الجرار علاه رغوة تخمره، أى: تستره.. وقيل: هو كل مسكر.. والخمر مأخوذ من الخمار الذى تضعه المرأة على رأسها وصدرها لتستره.. وسمى خمراً لأنه يستر العقل عن وظيفته التى بها حياة الإنسان فى مسرة وهناءة، فهو يخامر العقل ويكسف نوره، ويميت قوة الفكر حتى يجعل شاربه بعد أن كان إنساناً كاملاً حكيماً مفكراً عالماً مدبراً أقل من البهيم الأعجم إدراكاً، وأشر من الوحش الضارى إفساداً، وألعن من الشيطان المضل أعمالاً.

للخمر نجاسة معنوية :

حرّم الله الخمر علينا وجعلها رجساً من عمل الشيطان، أى: نجاسة معنوية، يعملها الشيطان ليفسد العقيدة، ويزيل الأخلاق الفاضلة، ويغير الشمائل الحسنة، فيصير الإنسان نجساً نجاسة معنوية، بمعنى أنه بعد أن كان شبيهاً بالملائكة بعقيدته وعبادته وأخلاقه، شبيهاً برسل الله صلوات الله وسلامه عليهم ومقتد بهديهم، والتجمل بجمال أعمالهم، وبعد التخلق بأخلاق الله ينحط فيكون شبيهاً بالشياطين المردة فى آرائه وآماله وهمه، وبالوحوش المفترسة جرأة، وبالبهائم السفاكة فى دناءته وارتكابه الفواحش، وبين المترلة التى كان فيها أو الهاوية التى انحط إليها كما بين الطيبة والميتة والخبيثة.. هذا ما يظهر لمؤمن يذوق حلاوة كلام الله بنور الإيمان.. ويتدبر فظاعة ما حرّمه الله عليه بصورة تناسب نفوره منه.. كما ينفر الأعزل من السبع الكاسر.

للخمر مضار متعددة:

فإذا نظرنا بعين المؤمن المفكر الذى كوشف بشئ من أنوار القرآن الذى أنزله الله

سبحانه وتعالى وجعله سبباً لسعادة الدنيا والآخرة، ينكشف لنا من تحريم الخمر وخطره علينا أن تحريمه كان لحكم دينية وصحية وعمرانية واجتماعية، وأن استعماله مضرة فى الدين وفى الاجتماع وفى الصحة وفى يوم القيامة.

مضار الخمر الدينية:

أما مضاره الدينية فلأن مرتكبه فعل ما نهاه الله عنه، فكان بارتكابه ما حرمه الله مبرهناً على استهانته بأحكام خالقه ومبدعه، وأنه عبد لشهوته وحظه يطيع ويفعل ما يدعوه إليه هواه.

مضار الخمر الصحية:

وأما مضاره الصحية فلأن الخمر إذا تجرعه السكير ونزل إلى معدته أفسد الغدد المعوية، ويصعد منه بخار مفسد للمجموع العصبى، ومضعف لقوة الفكر والخيال والعقل، حتى قد يجعلها معطلة عن وظائفها، ويتولد منه دم مفسد للكبد لحرقته فيهيج تجويف الكبد حتى قد يجعله ملتهباً أو متمدداً، ويرى هذا الدم فى الدورة الدموية حتى يصل إلى الرئتين ويفسد صمامات القلب، فيكون شارب الخمر خصوصاً المكثر منها أو الشيخ الكبير أو المقيم بالبلاد الحارة معرضاً لأمراض الكبد والرئتين والقلب، ويسرى هذا الدم ليتولد منياً فى المجموع المنوى فيتولد منه مولود فاسد الخيال، قليل الرؤية، غير قابل للتهذيب الشرعى، لا يؤمن بالله حق الإيمان ولا باليوم الآخر، ويكفى بذلك مرضاً ينتجه لذة ساعة بوهم فاسد يتخيله المولع بمخالفة أحكام الله المسارع فى ضياع صحته.

وفيه مضار أخرى هو أن الإنسان إذا شربه وقرب من فمه ناراً احترق الخمر فى بطنه فمزقه وهو الاحتراق الذاتى.. وكم قتل الخمر رجالاً بهذا الاحتراق.. يشرب الإنسان الخمر ثم يأتى بلهبة يشعل بها ما يحرقه من التبغ (الدخان) فتصل الشعلة إلى أثر الخمر على شفتيه فتصل الخمر إلى بطنه، لأن الخمر سريع الاشتعال.

مضار الخمر العمرانية:

أما حكمة تحريمه العمرانية فلأن الإنسان ليس كالحيوان الغنى عن بنى نوعه بل هو محتاج لأفراد كثيرين يقوم له كل واحد منهم بحاجة، بل وفى حاجة إلى أنواع كثيرة من الحيوانات ينتفع من كل نوع منها بمنفعة خاصة، وهذه الضروريات لا تتوفر له إلا بمبادلة، لا تحسن إلا بمعاشرة مؤسسة على أخلاق طاهرة، وسماحة وبشاشة وتأليف، وشارب الخمر معلوم أنه يحصل له ثورة السكر فيعربد كالوحش الضارى فيفر منه بنى نوعه والبهائم الراتعة، وبذلك يحصل الفساد فى التوازن العمرانى وتكثر الخصومات والمنازعات، حتى يكون الإنسان عدواً لأخيه الإنسان ويترك كل واحد منهم الضرورى عمداً ويلتفت كل واحد منهم لأذية أخيه.. كل هذه نتيجة من مضار الخمر العمرانية.. وما فائدة إنسان يتجرع السم الزعاف ويصبح خامد الفكرة خبيث النفس كالعضو الأشل فى المجتمع يضر ولا ينفع، يتوقى أهله شره ويخش جيرانه ضره، وإذا رآه إنسان حر على بابه أساء الظن بأهله، وإن رآه إنسان ومعه امرأة أو رجل أتهم، وهى عيشة أدنى من عيشة البهائم الراتعة، وبعيشك إذا كانت هذه حالة السكارى، هل يتكون منهم مجتمع فاضل، وتتألف منهم أمة تأمر بالخير وبه تفعل. لا والله.. إذا كان شاربو الخمر فى أمة قد كثروا سرى إليها الخراب وعمها الفساد، وصارت ذيولاً بعد أن كانت رءوساً.

مضار الخمر الاجتماعية:

وأما حكمة تحريمها الاجتماعية فمعلوم أن الله سبحانه وتعالى أودع فى هذا الكون الفسيح كنوزاً، وجعل مفاتيحه الفكر والانتفاع بها والعمل.. فما من كائن من الكائنات إلا أودع الله فيه منافع خاصة به، ومنافع أخرى تنتج عنه مع غيره، ولا يمكن أن ينتفع بنو الإنسان من تلك المنافع إلا بالبحث عنها بالفكر والبحث وراء إيجادها بالتجارب والصبر على هذه الأعمال، والهمة فى جعلها سهلة نافعة بالصبر على المشاق فى سبيلها، وتلك الصفات التى هى الفكر والبحث والتجارب والصبر على هذه

الأعمال لا يمكن أن يقوم بها شارب الخمر لأنه بشربه الخمر فسدت قوة فكره، واختل نظام صحته.. وتسلط عليه همومه ووهمه، وبذلك يحرم الإنسان من الانتفاع بالخواص التي أبدعها مبدع الكائنات في أرضه وسماواته فيما بينهما من ضروريات الإنسان المتوقفة على علم تلك الخواص فكيف بكمالياته، وإذا ترك الإنسان البحث بفكره والعمل برويته استعمل قواه البدنية بتدبير نفسه السبعية فيكون لصاً مفسداً يقتل النفس التي حرمها الله لينال ضرورياته، ويسعى في الأرض بالفساد. وهل إذا كان ذلك بنو الإنسان يكونوا كالوحوش الضارية في الغابات لفقد القوة التي بها تنتظم أحق الهمم الإنسانية التي يتميزون بها عن أنواع البهائم وهي العقل والفكر.

الخمر داعية الهموم وموجبة الأحزان :

إن الغني القوي قد يتوهم لسخافة عقله أن الخمر تزيل الهموم، أو أنها توجب السرور، أو أنها تعين على ملامسة النساء.. كذب ورب الكعبة فإنها داعية الهموم الحقيقية كما أبين.. وموجبة للأحزان ومفسدة لهذا العضو بالخصوص.

أما إنها داعية الهموم الحقيقية فلأن الإنسان العاقل إذا حل به أمر يهمه فالواجب عليه أنه يهتم به، وأن يسارع في وجوه التدابير التي تدفع عنه هذا الأمر، وعمل بالحكمة التي تخلصه من هذا الأمر.. ولا تكون تلك الأعمال كلها إلا بعقل راجح، وفكر حاضر، ودم نقي تصفو به قوة الخيال.. فإذا شرب الخمر ليزول همه جعلته الخمر بهيماً لا يعرف الرفعة من الدناءة، ولا الشرف من الذلة، نعم زال همه لأنه انحط عن رتبة الإنسان المفكر لكنه بلي بهم أكبر وهو تمكين ما أصابه منه حتى لا يقدر على رفعة بعد تمكينه.

أما كونها موجبة للأحزان فلأن شارب الخمر يقع فيما يستنكف أن يعمله المجنون، ويأتي ما يستقبح به أن يأتيه البهيم الأعجم.

أما العمل الذي لا يعمله الحيوان الأعجم فقد يجعل الفاحشة مع رجل مثله وليس

كذلك الحيوان الأعجم.. لأننا ما سمعنا ولا رأينا أن يعلو حيواناً ذكراً مثله، ولا أنه يتخيل ذلك فإذا أفاق السكير وعلم بما وقع منه من العربدة والمفاسد أحاطت به الأحزان لسقوط مترلته أمام الناس، ولفعله القبيح أمامهم، وكان يظن لجهله أنه لم يطلع عليه أحد.

أما كونها مضعفة لقوة الجماع فلأنها تفسد الكليتين وتجعل فى البول أجزاءً إما من الزلال أو من السكر أو من الأحماض والعياذ بالله تعالى.. والمجموع المنوى مرتبط بتلك الأعضاء فيظن السكير أنه تقوى على الجماع، وفى الحقيقة فإنه ضعف عنه؛ ولذلك فإننا نسمع أن نساء السكارى يبغضن أزواجهن، وكثيراً ما نجد أنهن يجتهدن فى الطلاق منهم مع ما يكن فيه من نعمة مع هؤلاء السكارى، ويتزوجن بالفقراء لأن الفقير الذى لا يستعمل أدوية للتقوية على الجماع يكون المجموع المنوى منه قوياً صحيحاً يولد المنى بمقادير تبطئ بإنزاله عند الجماع وهو الأمر الذى تشتهيه النساء.. وأما الذى يشرب الخمر أو يتعاطى ما يسمونه بالمقويات فإنه فضلاً عن تناول السم المهلك له تكون تلك الأدوية معينة على سرعة توليد المنى من الدم وسرعة إنزاله قبل أن تكتفى المرأة به بالمقدار المناسب من الملامسة، فيكون أفسد عقله، وأضر صحته، ودعا زوجته أن تجتهد فى أن تتعرض لغيره من الرجال، وكل ذلك من عمل ما نهى الله عنه.

فالعاقل يعتقد أن علم الله بوجوه خيره هو العلم الحقيقى، وأن مخالفة أحكام الله جهل بالخير وأنك لترى أكثر المترددين على الأطباء هم الذين يرتكبون ما نهاهم الله عنه، بل وترى المكبلين فى السجون والمتسولين فى الطرقات كلهم ممن ارتكبوا ما نهى الله عنه قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ (الشورى: ٣٠).

علم المنطق

الأدلة البرهانية التى أخذ بها العلماء علم العقيدة هى: الإمداد ويسمونه العناية، والإيجاد ويسمونه الإبداع.. وليس لعلم التوحيد من مأخذ إلا تلك الدلائل، لأن علم المنطق الذى ننطق به هو عبارة عن كتاب (إيساغوجى) أى المدخل إلى مقولات أرسطو الذى ألفه (فرفوريس الصورى) وهو يشتمل على ست كلمات وهى قولهم: الشخص، والنوع، والجنس، والفصل، والخاصة، والعرض.

وماهية كل واحد منها، وكيفية اشتراكاتها ورسومها ودلالتها على المعانى التى فى النفوس.

وقد ألّف (أرسطو) ثلاث رسائل مقدمات لكتاب البرهان الذى جعله ميزاناً للفلاسفة، كما جعل الشعراء علم العروض ميزاناً للشعر، وكما جعل الناس الموازين والمكاييل والمقاييس لتقدير الأشياء، وكتاب البرهان هذا لم يجعله (أرسطو) لكشف الغيب المصون من النبوات والمغيبات عن الحس، ولكن جعله ليحكم به على الألفاظ التى يختلف فى معانيها الفلاسفة فقط، وإلا فأرسطو ومن هو فوقه يعترفون أن الإلهيين يعلمهم الله علماً لدنياً لا ببرهان ولا ميزان.

أما الرسائل التى ألّفها أرسطو، فالأولى منها: لمعرفة معانى العشرة الألفاظ التى يقال كل واحد منها جنس الأجناس، وأن واحداً منها جوهر والتسعة أعراض، وكمية أنواعها ورسومها.

والثانية: لمعرفة تركيب الألفاظ مرة أخرى حتى يكون منها مقدمات، ومعرفة كمية أنواعها وكيف تستعمل، حتى يحصل منها اقتران القضايا ونتائجها.

علم المنطق لازم للإنسان:

هذا هو كل ما كتبه أرسطو وفرفوريس واليونانيون فى علم المنطق، الذى جعله

علماء الأزهر لإقامة الحجة على علم التوحيد، فإذا حكم القرآن حكماً وزنوه بمعيار المنطق الذى يزعمون أن واضعه أهل الضلالة من فلاسفة اليونان، وليس الأمر كذلك، لأن هذا العلم لازم للإنسان، فالطفل بعد الرضاع يعلم أكثر البديهيات، فيعلم أن البعض أقل من الكل، ويبكى ليأخذ كل الشئ إذا طلبه فأعطوه جزءاً منه، ويعلم أن الكل أكثر من الجزء، ويعلم أن الأرض تحته وأن السماء فوقه، ويشعر بمرتبة أبيه وأمه وأخيه والأجانب عنه، ويفرح إذا أعطى له ما يسره، ويبكى إذا منع عنه ما يريده، فيحس بالمنع والإعطاء، ثم تنمو تلك الغرائز المنطقية بنموه، حتى يدرك ما غاب عنه من الآثار بمشهده، فيعتقد أن البعرة تدل على البعير، والصنعة تدل على الصانع، ويقيس الأمور بأشباهها.

وعلم المنطق لازم للإنسان أيضاً فى تدبير مترله، وتدبير المدن، وسياسة الأمم، ووضع العلماء له كوضع الحساب والهندسة والطب والبيطرة من الصناعات الضرورية للمجتمعات.

فليس علم المنطق من وضع فلاسفة اليونان الذين جعلوه لاستعباد الأمم، وللاستعانة به على سد المطامع وإتقان الصناعات، ولذلك فإن أعلم الناس بدقائق علم المنطق؛ يعجز عن أن يقيم دليلاً مقبولاً عقلاً على إثبات أى حقيقة من الحقائق المقررة، فكيف يمكنه أن يقيم دليلاً على ما غاب عن الحس والنفس والعقل؟!.

اللهم إن هذا لا يرضيك، ولا سبيل إلى معرفتك إلا باتباع رسولك، والتسليم لما جاءنا به من عندك، لأن كل المقدمات اليقينية عند المناطقة التى حصرها المقولات العشرة لم تخرج عن الحس، والحس لا يدرك إلا ما أحاطه به أو فيه من الخواص مما يبصر، ويسمع، ويشم، ويذاق، ويلمس.

ذلك هو علم المنطق الذى اغتر به علماء الأزهر، وأوّلوا القرآن بمنطق أرسطو، وتركوا تأويل الصحابى الجليل، ووالله إن بلال بن رباح لأعلم بما وراء المادة من أرسطو بما دون المادة فضلاً عن علم المادة.

وما هو علم المادة الذى يفتخرون به؟ إن هو إلا مبادئ صناعات عملية أتقن النظرية منها العرب الواردون على مصر المسمون الفراعنة وأولهم (مينا) أو (منيس) أو (مصرايم).

ولولا أننى أكتب فى مختصر الكلام لأوردت لهم شيئاً من علم المسلمين المتعلق بالنفس أو الروح أو بالحيوان بحسب أنواعه، أو بالمعدن أو بالجماد أو بالأجرام السماوية، فجعلتهم يحكمون على أنفسهم وعلى أساتذتهم بالجهل المطبق، ولكن قالوا: من فرعنك يا فرعون؟ قال: لم أجد من يردنى عن الفرعنة!.

العلوم العصرية

ما المراد بالعلوم العصرية ؟

هذه الكلمة لا أفهم لها مدلولاً، لأنى لا أعلم علماً يدرس الآن لم يكن له أصل قديم، لأن الإنسان منذ نشأته وهو يكدح فى سبيل المنافسة فى الحياة، وكلما توفر لديه الضرورى نزعت نفسه وراء البحث عن الكمال، فإن كان المقصود من العلوم العصرية علوم الحكمة العملية من الصناعات والمخترعات التى كانت محصورة فى فنون البخار والكهرباء واستخدام الهواء فليست هذه العلوم عصرية، فإن البخار استخدمه الإنسان من أربعة آلاف سنة، فإن الكهنة كانوا يملأون المرجل من الماء ويجعلون له فوهة بصمام، ويوقدون تحته النار حتى إذا امتلأ بخاراً وضعوه فى جوف الصنم ورفعوا الصمام فيخرج البخار من الفوهة بصوت مزعج، فيقول الكهنة للناس: إن الإله غضبان عليكم، وينالون منهم أغراضهم، وكذلك الكهرباء فإن الإنسان من قديم يعلم قوة الجذب المغناطيسى وتأثير الدلك على جوهر الكهرمان، فكأن تلك الفنون إنما هى نتائج أفكار قرون طويلة.

وإن كان المراد بالعلوم العصرية علم الحساب والهندسة والجبر واللوغاريتم والمساحة وتخطيط الأرض (الجغرافيا)، فإن تلك الفنون لم تصر علوماً ذات أصول وفروع إلا بسلف المسلمين الصالح، فإن واضع علم اللوغاريتم هو الخوارزمى، وواضع علم الجبر هو جابر بن عبد الله الشهير، وأول من بحث فى معرفة خطوط الطول والعرض وحقق تلك المسألة المأمون، وأول كرة صنعت صنعها عالم كبير من علماء المسلمين، وأول من جعل للطب كتباً يرجع إليها الرئيس ابن سينا، فإن قانونه كان يدرس بألمانيا لأواخر القرن الثامن عشر، هذا وإن الدين الإسلامى فرض تعليم العلوم على كل مسلم، لأن العبادة التى فرضها الله علينا لا يمكن أن تؤدى إلا بعلم تلك العلوم كلها فإن تلك العلوم فى حكم الفريضة لأن الفريضة لا تتم إلا بها، قال تعالى: ﴿ لِتَعْلَمُوا

عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ (يونس: ٥).

فكأن تلك العلوم التى نسميها عصرية وتترعج منها نفوس من لم يحط علماً بأسرار القرآن وينكر تعليمها ليست علوم اليوم، ولكنها تكاد تكون علوماً دينية وقد أثبت طرفاً من ذلك فى كتاب (معارج المقربين) فارجع إليه- إن شئت- ولا يكون المسلمون متجملين بمعانى الإسلام حقيقة عاملين به إلا إذا أحاطوا علماً بكل الفنون والصناعات، حتى تنكشف لهم عجائب قدرة الله وغرائب حكمته فى مكنوناته، وتنبلج لهم أنوار وظيفة كل مرتبة من مراتب الوجود، وما أودعه الله فيها، كما قال تعالى: ﴿وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه﴾ (الجاثية: ١٣).

الفائدة الدينية من تعليم العلوم العصرية:

المؤمن يزيد إيمانه وينقص كما هو معلوم، وإنما مزيد الإيمان يكون بقدر ما ينبلج للقلب من نور البرهان، وسطوع نور الدليل، والحكمة العملية التى منها الصناعات لا يمكن أن ينتفع الإنسان بها نفعاً عاماً إلا بعد أن يعلم خواص كل مادة من مواد عناصر الكون، ويعلم خواصها منفردة ومزدوجة ومتحدة، وما ينتج منها متحدة ومنفردة، فإذا ظهر للمسلم خواص الأشياء التى تحيط به وقدر منافعها له واحتياجه إليها، عَلِمَ حق علم العلم أن الذى خلق تلك الأشياء حكيم قادر لأنه سبحانه وتعالى خلقها مؤهلة لنفعه، وخلقه محتاجاً إليها، معتقداً أن وجودها ليس عبثاً، ولديها تنبلج له أنوار الآيات بعد علم الخصوصيات، فيشهد فى كل شئ آية دالة على قدرة القادر البديع وحكمة المبدع العليم، وتدبير المبدئ المعيد ويفقه سر قوله تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ ﴾ (الجاثية: ١٣).

ويعلم قدر النعمة عليه بالعقل الذى به استخدام كل شئ سخره له مولاه، فإذا قرأ القرآن بعد هذا العلم كان كأنه يسمعه من ربه، وإن أكثر آيات القرآن حاثة على الفكر والنظر والعبرة والتبصرة، قال أبو هريرة رضي الله عنه: (كنا نتعلم الإيمان قبل القرآن وإذا

قرأنا القرآن ازددنا إيماناً) وأصبحنا نحن الآن نتعلم القرآن قبل الإيمان، فالحكمة العملية التى منها تدبير النفوس منفردة ومجتمعة، وعلم سياسة المجتمعات وفنون الصناعات، به يزيد الإيمان.

أما نقص الإيمان فبقدر خفاء الدليل، وإذا كان المطلوب غيباً والدليل خفياً كيف تنال المقصود؟ فيكون الإيمان ناقصاً، وبقدر نقصه تكون الجرأة على عمل المنكرات وارتكاب المخالفات، والإقدام على المعاصى، وعدم الخشية من الله تعالى فى السر والعلن، والخوف من الخالق، وقد يبلغ نقص الإيمان أكثر العلماء والمدعين الإرشاد، أحبوا أنفسهم، وبذلوا ما فى وسعهم بجلب الخير لها ودفع الضر عنها، فتهاونوا فى تأدية الواجب عليهم من إنذار الناس عاقبة المخالفة، فصار الدعاة إلى الله لا عمل لهم إلا تبشير من أكرمهم والدعاء له وإدخال السرور عليه كائناً من كان، وصار العلماء يجتهدون فى أن يبرأوا من نسبة العلم النافع للدار الآخرة، المذكر بأيام الله المزكى للنفوس لأنفسهم خشية أن يقال لهم: إنكم لستم عصريين، واهتموا بما به يكون العالم قاضياً أو محرراً أو مدرساً، ومتى نال الشهادة اعتمد عليها، وصارت الحجة القوية، يوجب بها على الناس طاعته وتعظيمه، وكأن الشهادة هى العلم، والعلم هو الشهادة، فصار المسلمون بذلك كلما فعل المرء منهم سيئة لا يجد من غيره تقبيحاً لها، ولا تخويفاً له من عاقبتها، ألفت نفوس المسلمين رذائل الأعمال.

ولو أن الله تعالى أيقظ الدعاة من نومة الجهالة، والعلماء من رقدة الغفلة، وأحبوا أنفسهم الحب الذى تنال به السعادة الأبدية لقاموا قومة رجل واحد ينبهون المسلمين إلى ما تراكم على أبدانهم من الأدران، التى ربما أدت إلى التهاب الجلد وسرت إلى العظام.

وإنى- يا أخى- أبشرك بأن كل ما تراه بعينك حاصل من المسلمين من المعاصى، كغبار على جسد مجرد من الثياب، يزول بأول رذاذ يترل من السماء.

ولو شئت إقامة البرهان على ذلك فقم إلى مواطن الفجور، وذكر الناس بنعم الله

عليهم وفضله الواصل إليهم، ثم تخلص من هذا الموضوع بسحر البيان إلى تـــذكيرهم بيوم الحساب وشدته وهوله فإنك- يا أخى- والله لا ترى إلا قلوباً خاشعة، وأبـــداناً خائفة، وعيوناً دامعة، ومزاحمة عليك وتعظيماً لك، وإكباراً وبذل النفس والنفيس فى محبتك والانقياد لأمرك، ولكنك- يا أخى- إذا وقفت أمام إخوانك المؤمنين وهـــم فى معصيتهم، وتسلط عدوهم عليهم فنفرتهم بقوارض كلامـــك، وأحرقتـــهم بشـــواظ حماقتك، فإنك- يا أخى- توقعهم فى أكبر مما هم فيه، وتلقيهم فى مهاوى الله وغضبه، وإنما الحكيم من عرف كيف ينقذ الغريق من اليم بحيلة لا تلحقه به، وحكمة لا تضره، قال الله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلِى سَبيلِ رَبِّكَ بالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَـــةِ الْحَسَـــنَةِ ﴾ (النحـــل: ١٢٥)، وقال تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (المؤمنون: ٩٦).

أثر الإسلام على الإنسانية
وخصوصاً أوربا وأمريكا

ظهر الإسلام فمحا ظلمات الجهل عن عيون العقل وأيقظ من أسلم من نومة الغفلة، فعلم كل مسلم نفسه ونشأتها الأولى والآخرة، وحكمة وجود الإنسان، ثم فكت عنه قيود الذل لنظرائه من أهل الظلم، والذل لبعض الآثار الكونية، حتى تحقق من نفسه أن كل شئ فى السموات والأرض خلق له، وأن الله منحه القوة التى يستخدم بها كل شئ لانتفاعه مما هو فى السموات والأرض، من جمادات وأنواعها، وحيوانات ونباتات بأنواعها، بل والكواكب، حتى بلغ بما تعلمه من أصول الإسلام وفروعه أن الملائكة خلقت له، وظهر له أن باتباعه للنبى ﴿ﷺ وآله﴾ يبلغ درجة من العزة والمجد لا يرى فوقه إلا ربه تعالى، ويرى كل شئ لأجله، قال سبحانه: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ ﴾ (الجاثية: ١٣)، ثم تحقق بعد تحصيله ما يجب عليه من العلم أنه سيفوز بالخلود فى جوار ربه، وفى معية الأخيار من الأنبياء والأطهار من الصديقين.

نظر الإنسان إلى الكون نظرة رجل بصير، حكيم عالم فى مترله الذى صار له التصرف المطلق فى كل ما فيه من المنافع والخيرات، فساح عقله فيما حوله للانتفاع بنعمة الله المخزونة له، ليعرف ربه فيشكره على نعماه، ولم يقف المسلم عند هذا الحد، ولكنه جاهد نفسه بعد كمال التصديق، بما بلغه عن النبى ﴿ﷺ وآله﴾، فزكت نفسه، وساحت روحه فى العالم الأعلى، فتجلت له حقائق هذا العالم، فعلم من عجائب القدرة، وغرائب الحكمة، ما جعله يفرد ربه بالألوهية دون غيره، ويتخلق بأخلاقه العلية من الرحمة والكرم، والعلم والعفو، والمسارعة إلى عمل الخير، حتى بلغ من اليقين والشهود مبلغاً كان فيه أشبه بالرسل عليهم الصلاة والسلام، فخرق الله له العادة وأكرمه بما جعله به إماماً عظيماً، وسيداً مطاعاً، وهم كثيرون فى كل زمان.

فضل الإسلام على أوربا وأمريكا :

لم تنحصر خيرات الإسلام على المسلمين، بل تعدهم إلى جميع الأمم، وكان أكثر الناس انتفاعاً بعلوم الإسلام أوربا الحديثة وأمريكا، فإنهم انتفعوا بعلوم الأندلس واكتشافاتهم التى أسعدت بنى الإنسان، وبالعلوم التى سلبوها من المكاتب الإسلامية فى الحروب الصليبية، وما أخذه نابليون من خزائن الأزهر الشريف، وقد أهمل المسلمون تحصيل تلك العلوم المفيدة، وقضت سياسة الملوك منهم أن يشغلوا العلماء بدرس الأحكام مجردة عن الحكمة، وعن العلوم التى فرضها القرآن من النظر والتدبر والفكر، وعلوم الأخلاق، وعلوم النفس، ومعرفة الله تعالى، وعلوم تدبير الفرد والمترل والمدينة، والمجتمع العام، والعلوم العقلية التى بها فتح كنوز المادة، ومعرفة خواص كل نوع منها، وأنها خزائن للنعم، يفتحها العلم والعمل، وقد فرض الله كل تلك العلوم وأوجبها على كل مسلم فى القرآن، قال سبحانه: ﴿ قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (يونس: ١٠١)، وقال تعالى: ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ (الملك: ١٥)، وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (التوبة: ١٠٥)، وقال تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر: ٩).

فكان المسلم المتمسك بالدين يحيط بكل أنواع العلوم، ويعتقد أنه يجهل من كمال ربه وقدرته وحكمته بقدر ما يجهل من أى علم من العلوم، وكانوا يولون أهل العلم الولايات، فيكون الوالى إماماً وقائد الجيش، وطبيباً وعالماً بسير الأفلاك وتغيير الفصول، وقد نظر وال من الولاة مد البحر، وكان يجهل المد والجزر، فقال: هذه تكفينا صيفتنا، ظناً منه أنه ماء عذب، فبلغ الخليفة فعزله لجهله بتأثير الكواكب على البحر.. لم يبلغ الإنسان مقام الشرف والمجد إلا بالإسلام، وقد ترك المسلمون العمل بوصايا الإسلام فذلوا لمن كانوا أتباعاً لهم، وترك غيرهم دينهم فعزوا ورقوا فى الأرض لأخذهم بأعمال المسلمين الكونية. وإنى على يقين أن تلك الأمم قريباً يظهر لها الحق جلياً فتسارع إلى الإسلام، وكيف لا؟ والإنسان مفطور على حب الحرية والمساواة،

ومجبول أن يحكم على الأشياء بعقله، وكلما أظهرت الصناعات والفنون ما كـــتره الله للخلق فى المادة كلما فكت الأغلال من عنق العقل، فحكم أن الدين الإسلامى هـــو الدين الحق، وأن ما سواه لا يقبله العقل.

ومن حكم أن الدين الإسلامى لا يحث على تحصيل العلـــوم كذبتـــه الحقـــائق، والواجب على المسلمين فى هذا العصر بعد أن شهد أعداء الدين بأحقيته، وسارع فيه كثيرون من أمريكا وأوربا، أن يسارعوا إلى الحق والعمل به، ليكونـــوا أئمـــة لمـــن ستنكشف لهم أنوار الإسلام قريباً، بل وليكونوا متمتعين بالحياة الإسلامية الفاضـــلة، مسارعين إلى نيل السعادة الباقية فى جوار الأخيار ممن عملوا بالإسلام ونشروا فضائله وآدابه وأصوله بين الأمم، والأمر سهل، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

هذا وما هى العلوم التى عاداها الإسلام؟ هل هى ما حصلته أوربا من العلوم الـــتى جعلتهم يتفننون فى استعباد الخلق وإهراق الدماء، وحرمان الأمم من مرافـــق الحيـــاة، وسياسة ظاهرها إصلاح وفرح، وباطنها إفساد وترح، مما حكم بوحشيته كثير منهم، وقامت أحزاب تقبح هذا العمل وتثبت أنه نهاية الظلم والطغيان؟ إن كان القائل بمعاداة الإسلام العلم يرى أن الإسلام عدو تلك السياسة فصدق، لأن الإسلام أســـس مـــع الرحمة، فإن لم تتيسر فعلى العدل والإيثار والتعاون على الخير، بعد توحيد الله وشكره على نعماه، والمسارعة إلى تحسين الفضائل النفسانية، ومن ظن أن الإسلام عادى علماً من العلوم النافعة، أو فناً من الفنون المفيدة للعامة، أو صناعة تجعل الإنسـان يعـــيش مستريحاً، فقد جهل الإسلام، أو كذب على الحقائق، والجاهل إذا حكم فحكمه عائد عليه، والعدو إذا حكم فشره راجع إليه، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّـــيِّئُ إِلَّـــا بِأَهْلِهِ ﴾ (فاطر: ٤٣).

وقال العربى:

ومهما يكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

على من نرجع باللائمة ؟

أعلى أنفسنا لتقصيرنا فى تحصيل ما فرضه علينا الإسلام لنفوز بالسعادتين؟ ولإهمالنا فى تزكية أنفسنا واستخدام عقولنا كما أمرنا الإسلام، فأنتج التقصير والإهمال لقس النفس، ومرض العقل، وانحراف الخيال، وضعف الوهم، وانضواء الفكر، واضمحلال الإدراك، حتى صار الإنسان أضل من الأنعام، وشراً من الشيطان، فأصبح أهل التقصير والتساهل ممن يدعون الإسلام كالبهائم الراتعة، يقودهم العدو إلى مهاوى الهلكة، فيقلدونه تقليد الأعمى، ويتبعون كل ناعق، فإذا قال قائل: حرية أوربا وحضارتها وعدلها وعلومها وصناعتها، أنكروا ما هم عليه من الفضائل والكمالات، وسارعوا إلى التقليد.

أم نرجع باللائمة على الدين وهو براء من أعمالنا؟ وقد أثبتت سماحته الرحمة، فحفظت الأمم المخالفة للإسلام برحمة الإسلام، ورفعت علومه العقول إلى مستوى انكشفت لها فيه خواص المادة، وآيات قدرة الله وحكمته. اللهم إن دينك الحق، به الفوز بالخيرين، فأسألك يا رب العالمين أن توفقنا للعمل به والتعصب له رحمة بالمجتمع الإنسانى الذى أصبح كفئة من الناس على سفينة أحاطت بها الزوابع، وهاج عليها البحر؛ ببركة علوم أوربا الحديثة التى يفتخر بها من جهل دينه.

أخذت أوربا عن المسلمين نشاطهم فى الصناعة، ومسارعتهم إلى فتح كنوز المادة، وشجاعتهم، وتركت العقيدة الحقة، والعبادة التى تجعل المسلم ذا رحمة وعفو وإحسان، وإيثار لغيره، وتركت الأخلاق الفاضلة التى بها حياة المجتمع فى حرية ومساواة وأمن على النفس والمال والعرض، فخبثت النفوس، وانكسفت أنوار العقول، وتسلط الحس على النفس والعقل، فهبط الإنسان إلى رتبة البهائم شهوة وإباحة، والسباع جرأة ووقاحة، والشياطين كيداً وخبثاً، فاستخدم العقل والنفس لهذا القصد حتى انمحى شرف الإنسانية فى نظرهم، وحكموا أنهم قردة ارتقت كما قال دارون تكذيباً للكتب

السماوية، وكذلك تفعل العلوم التى يفاخرون بها، والعلوم- يا قوم- صور ترسم على جوهر النفس، تجذبها إلى الارتفاع عن الإنسانية إلى الفضائل الملكوتية، بل وإلى ما فوق ذلك من التخلق بأخلاق الله.

ما هى تلك العلوم التى تفاخر بها أوربا؟

كلنا نعلم أن كثيراً من أنواع الحيوانات أتقن فن تأسيس المنازل على قدر احتياجه، كالنمل، والنحل، والطيور، والأرانب، وغيرها.. وأتقنت تدبير المجتمعات كذلك، كالنمل والنحل والطيور والأرانب والقردة والأسماك، وأتقنت فن دفع العدو لتحفظ منه إما بحرب أو بهزيمة أمامه، وأتقنت طرق تحسين قوتها، وقد امتاز بعض الحيوانات بفضائل عجز عنها علم أوربا، كالوفاء فى الكلاب، والغيرة فى الديكة والطيور والسباع، وكالحياء من عمل المباح كالإبل التى تتستر فى أوقات ملامسة الذكر للأنثى، وبإتقان فن تدبير المنزل وحسن تربية ما يتناسل منها مثل الحمام والأرانب والنحل وغيرها.

إذا تقرر هذا فعلوم أوربا إنما هى فنون اقتضتها الحقيقة الإنسانية التى هى أكثر الأنواع الحية ضروريات وكماليات، ولا فخر لأوربا بما نسب إليها من الفنون أو العلوم، فإن الإنسان من خمسة آلاف سنة وأكثر أتقن من الصناعات فى تشييد القصور الفخيمة وإبداع الأثاثات المنزلية التى أعجزت كبار المخترعين فى الغرب، وها هى آثار الملك توت عنخ أمون التى اكتشفت بقبره فى الأقصر معجزة كبرى تدل على أن أوربا تفتخر بما يخجل.

يا قوم: هل تبرج النساء بالزينة، ولبس الثياب القصيرة، التى تظهر العورات وإباحة السفور للنساء، والتفنن فى آلات وأدوات الطعام والشراب واختراع المصبغات من الثياب، وصرع العقول تحت أقدام الشهوة البهيمية، وقتل الحياة الإنسانية الفاضلة بالخمور والمخدرات، ورجوع الإنسان إلى المرتبة البهيمية بحالة يخجل منها بعض أنواع

الحيوانات بجلوس النساء والبنات فى الأندية العامة، واشـــتراك الرجـــال والنســـاء فى الرقص، وقتل الغيرة بسيف البلادة الجمادية، واختراع ما يعين على ذلك، هـــذا هـــو العلم الذى تفتخر أوربا، ويتمشدق بمدحها عليه من لم يميز بين الفضـــيلة والرذيلـــة؟ اللهم رحماك ببنى الإنسان، يا قوم ارجعوا إلى الإســـلام، وتـــداركوا الأمـــر بتـــرك الاستسلام للعدو، وانظروا بعيون الفكرة، وحكموا العقول لتشرق أنوار الحق فتمحق ظلمات الباطل، فإن الحق أبلج، والباطل لجلج، والمؤمن يكفيه قليل الحكمة.

الفصل الثالث

سـلـفيــة

الدعوة بالتوحيد بين المسلمين

ما حكم من يدعو بالتوحيد بين المسلمين ؟

أقول: لا تحموا التوحيد أو تنصروا السنة بأخلاق الشياطين..

أولاً: ابدأ بتهذيب نفسك وتزكيتها.. فقد ورد فى الحديث قوله ﴿ﷺ وآله﴾: (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ثم هكذا وهكذا). والحديث وإن كان ورد فى النفقة، إلا أن كلام رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ حجة، يقتبس منها العلماء ما لابد منه فى سيرهم وسيرهم، فهذا الحديث يدل على أن كل مسلم يجب عليه أن يبدأ بنفسه فى تعلم العلم النافع، وتهذيب أخلاقه وتزكية نفسه، حتى إذا أنس من نفسه أنه إذا قام يدعو إلى الله تعالى؛ جمع القلوب على علام الغيوب بالحكمة والموعظة الحسنة قام يدعو، أما إذا جهل العلم النافع، بجهل وسعة السنة، وبجهل ما هى السنة، وقام يدعو كان كالشيطان الرجيم، الذى يغضب الله تعالى فى رضا نفسه وغضبها.

ثانياً: ادعوا إلى التوحيد أهل الجاهلية والشرك الظاهر.. وإنى أبين ضابطا بحجة من السنة.. بعث رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يدعو الناس إلى التوحيد، وكانوا فى جاهلية عمياء صماء، وفى شرك ظاهر فدعاهم إلى توحيد الله جل جلاله، ونبذ الأصنام والأوثان، وترك اعتقاد أنها تنفع أو تضر، وأن فلاناً ابن الله تنزه وتعالى، وأن الملائكة بنات الله، وأن.. وأن.. وأن، مما لا يجهله مسلم، كانت أحاديثه ﴿ﷺ وآله﴾ لنفى الشرك وما يتصل به بحسب عقيدة القوم، حتى أكمل الله لنا ديننا وأتم علينا نعمته، فعمر قلوبنا بالتوحيد الخالص، وألان جوارحنا للقيام بعبادته، وشرح صدورنا لتحصيل العلم النافع من أهله.

ثالثاً: أباح لنا ﴿ﷺ وآله﴾ ما كان حظره علينا من زيارة القبور، ومن الدعاء عندها، فزارها ﴿ﷺ وآله﴾ ودعا عندها، خصوصاً روضات الأنصار والصحابة وروضات شهداء غزوة أحد، وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا

فزوروها). وكانت حكمة النهى أن المشركين كانوا يزورون القبور لعمل المنكرات واعتقاد النفع والضر بها.

وكان أمرنا بخضاب لحانا، ثم أباح لنا ترك ذلك، وكان ذلك لنتميز عن اليهود حتى كثر المسلمون.

وكان ﴿ ﷺ وآله﴾ لا ينكر على العاكفين فى المساجد، ولا على التجار فى أسواقهم، ولا على الزراع فى مزارعهم، بعد أن بين لنا أحكام الله فى كل ذلك.

وكان ﴿ ﷺ وآله﴾ يمزح ولا يقول إلا حقاً، وكان إذا سمع عن أحد من الصحابة شراً لا يواجهه به، بل كان ينصح عمومياً ويقول: (ما بال بعض الناس يفعلون كذا) وما واجه أحداً بسوء قط، وقد سل بعض الأنصار سيوفهم على بعض وهو على المنبر، فنزل من على المنبر ونادى بأعلى صوته: (وأنا بين ظهرانيكم) أى: تفعلون هذا؟!.

وكان ﴿ ﷺ وآله﴾ يبش فى وجوه قوم- وهو يلعنهم بقلبه- تأليفاً لهم، وكفاه شرفاً قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤)، وقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

هذه ذرة من أخلاق رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وهو رسول الله، فهل ينصر السنة قوم بأخلاق الشياطين؟ وإن الرجل لو خالف السنة مراراً ولم يقع فى كبيرة لطمع أن يغفر الله له. ولو ادعى أنه ينصر السنة وأوقع نفسه والناس فى كبائر التفرقة والخصومة والجدل، فهو عدو لله تعالى ولرسوله ﴿ ﷺ وآله﴾.

والدعاة إلى الله تعالى يحببون عباد الله فى الله تعالى، وفى القيام بما أمر الله به وترك ما نهاهم عنه، وشر ما نهى عنه التفرقة فى الدين، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ (الأنعام: ١٥٩).

التوســــل

حكم التوسل :

قد ورد الأمر بالتوسل فى القرآن الكريم، قال تعالى آمراً المؤمنين بابتغـاء الوسـيلة إليه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ (المائـدة: ٣٥)، أى: وخالفوا اليهود الذين ينكرون الوسيلة كبراً وعتواً، واحتقاراً لمقام رفعه الله تعالى حتى أقام صاحبه مقام نفسه فى آيات كثيرة لا تحصى، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (آل عمران: ٣١)، وقـال تعـالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ﴾ (الفتح: ١٠). والوسيلة ما يتقرب به العبد إلى ربه، فكل مؤمن واسل.

وسبب نزول هذه الآية الشريفة، أن اليهود والنصارى بعد أن خـانوا مـواثيقهم، وادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وكذبوا الرسل عليهم الصلاة والسلام، وحـاربوا الله ورسوله ﴿ ﷺ وآله﴾، شنع الله تعالى عليهم وكذبهم، وأمر أهل الإيمان بأن يتقـوا الله تعالى ويطلبوا إليه الوسيلة.

الوسيلة بالحى :

قد ورد أن الصحابة كانوا إذا حزبهم أمر لجأوا إليه ﴿ ﷺ وآله﴾، وقام عمر بـن الخطاب رضي الله عنه ليصلى بالناس صلاة الاستسقاء فدعا العباس عم رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ وقال: كنا نتوسل برسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾، فنتوسل اليوم بعم رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ أن يغيثنا الله تعالى بالغيث النافع، أو كما قال.

الوسيلة بالميت :

إن المسلمين أجمعوا على أن الله تعالى أوجب علينا ابتغاء الوسيلة، وقد اختلفـوا فى أنه هل تصلح الوسيلة بالميت أم لا؟ وعلى فرض عدم صحة الوسيلة بالميت، فإن الميت

من مات فآل إلى سجين، وأما من مات فرفعه الله إلى عليين فليس بميت، قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ (المطففين: ١٨)، وقال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ (المطففين: ٧)، وقال سبحانه: ﴿ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (آل عمران: ١٦٩).

فصحت الوسيلة بمن انتقلوا إلى عليين مفارقين الدنيا، لأنهم أحياء عند ربهم، والمتوسل إنما يتوسل إلى الله الذى لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء، والوسيلة عنده هى طاعته سبحانه، أو عبد يهدى الناس إليه جل جلاله.

وقد ثبت أن الله أخبرنا سبحانه وتعالى عن الملائكة بقوله جل جلاله: ﴿ أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ (الإسراء: ٥٧)، ورحمته التى يرجونها معلومة فى قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، الذين منهم الملائكة.

إذاً ثبت أن الله أمرنا بابتغاء الوسيلة، وأخبرنا أن الملائكة يدعون يبتغون الوسيلة، وأنه لا خلاف بين المسلمين فى ابتغاء الوسيلة بالأحياء، أما الوسيلة بالأموات فهى مناط الخلاف.

حياة الشهداء :

أهل الإيمان يعتقدون أن الذين قتلوا فى سبيل الله أحياء عند ربهم يرزقون إكراماً له ﴿ﷺ وآله﴾، فكيف تكون حياة من أكرم الله تعالى باتباعه الشهداء بالحياة الدائمة؟ يجب أن تكون حياته ﴿ﷺ وآله﴾ عند الله لا عند الرب، لأن حياته المحمدية بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، حياة أنس بالله وقرب منه.

حديث الإسراء:

هنا أورد حجة تقصم ظهر كل معاند، وهى أنه ورد فى أحاديث الإسراء بالأسانيد الصحيحة، أن جبريل عليه السلام أنزل رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ عند بيت لحم، وقال: انزل فصلِّ فهذا بيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام، وأنزله ﴿ﷺ وآله﴾ عند قبر موسى، وقال له: انزل فصل فهذا قبر موسى عليه السلام، فنزل ﴿ﷺ وآله﴾ وصلى، أى: دعا متوسلاً إلى الله تعالى.

ومن أنكر الإسراء وما أكرم به الله حبيبه ﴿ﷺ وآله﴾ فيه، فهو عدو محارب يجب أن نتبرأ منه، لأن هذا الإسراء أمر معلوم من الدين بالضرورة.

سبب الخلاف :

لم ينتشر هذا الخلاف إلا فى زمان ابن تيمية- غفر الله لنا وله- وكان له العذر، لأنه ظهر فى زمانه بدع الرفض- قاتلهم الله- الذين يقولون بالحلول، وكان- غفر الله له- شديد الغيرة للسنة، فوقف موقفاً يدفع تلك البدع المضلة، حتى أثبت أن التوسل لا يكون إلا بالحى، ولم ينكر الوسيلة أبداً، والوسيلة لغة هى ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى مما ينفعه يوم القيامة، أو يدفع عنه فتن الدنيا ومحنها.

ولما كان المتوسل لا يتوسل بحق صحيح، إلا إذا توسل بقول رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، أو بعمله، أو بحاله، أو بجاهه العظيم عند الله تعالى، ولا ينكر على هذا

إلا من بلغت به الجهالة مبلغاً جعله ينكر الأسباب التى وضعها الله تعالى، فينكر التوسل الذى أمرنا به سبحانه، فالله جعل الماء يروى، والشمس تضئ، والهواء حياة للنفوس، وبعث رسوله ﴿ﷺ وآله﴾ رحمة للعالمين، وجعل اتباعه ﴿ﷺ وآله﴾ يجعل العبد محبوباً لله تعالى، وطاعتنا له ﴿ﷺ وآله﴾ هى طاعة الله تعالى، وجعل مبايعتنا له ﴿ﷺ وآله﴾ مبايعة لله تعالى.

مفهوم أهل الجهالة فى التوسل :

التوسل الذى ينكره أهل الجهالة بالله تعالى، هو ظنهم اعتقاد العامة أن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يدفع تقدير الله تعالى بحوله وقوته، أو أنه يعطى بحوله وقوته ما يطلبه المتوسل به حتى يكون فى حكم الشريك لله.

من ظن بأجهل مسلم هذا فقد باء بالخسران فى الدنيا والآخرة، فإن المسلم الذى يتوسل مثلاً بالحسين بن على عليه السلام تراه إذا ذكره يدعو على يزيد بن معاوية الذى قتله وقتل أولاده وأجاعه، وإنسان يعتقد قتل الحسين بن على عليه السلام، وأنه لم يستطع أن يدفع عن نفسه هذا الضر، كيف يعتقد أنه ينفع غيره أو يضر غيره؟! فيكون التوسل به بعد أن يتوسل بالعبادة والقربات، من صدقات وبر وصلة وتحصيل علم وتلاوة قرآن، تواضعاً لله كما أمرنا الله تعالى بقوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ (المائدة: ٣٥).

وهنا أشرح لك أيها السائل حقيقة الوسيلة فى كل مقام من مقامات الدين، لأن كل مؤمن واسل، ولكن الوسيلة تتفاوت بحسب مقام كل مؤمن وقربه من الله تعالى، قال الله تعالى مخبراً عن ملائكته: ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾ (الصافات: ١٦٤).

مقامات الوسيلة :

الوسيلة فى مقام الإسلام، غيرها فى مقام الإيمان، وغيرها فى مقام الإحسان، وغيرها فى مقام الإيقان، ومن جهل هذه الأسرار وجب عليه أن يحصلها قبل أن يتكلم منكراً

أو مثبتاً.

فإن المؤمن بالله تعالى مقامه الخشية من الله سبحانه، وهى التقوى والتقرب إليه بما يحبه ويرضاه، من المراقبة والمحاسبة والمسارعة إلى القيام بما أمره به سبحانه وترك ما نهى عنه.

والوسيلة عند أهل مقام الإحسان هى رعاية مشاهد التوحيد عند كل عمل وقول وحال، وهو مقام الجمع والفناء.

والوسيلة عند أهل مقام الإيقان هى رعاية الله تعالى فى كل لمحة ونفس، لأن أهل الإيقان يراقبون الله تعالى فى أنفاسهم حفظاً لها من أن ينصرف نفس فى غفلة.

والوسيلة عند أهل مقام الإسلام هى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، لأننا نتوسل به ليعرفنا الإيمان والتوحيد، فإذا عرفنا أنفسنا وعرفنا ربنا وآمنا، تزكت النفوس، واطمأنت القلوب بما تشهده من آيات منبلجات فى الكائنات.

والذى لم يسلك على هذه المعارج الشرعية، فيسلم أولاً لمن فوقه فى العلم، تسليماً كاملاً ليؤهل نفسه لسماع علوم الإيمان، ليعلم الحقائق التى يكون ناقص الإيمان بجهلها، لم يبلغ درجة الدعاة إلى الله تعالى حتى يقتدى به.

فالوسيلة التى يجب أن يتوسل بها فى مقام الإسلام هى ولا شك رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ الذى أخبرنا الله تعالى عنه بقوله: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران: ٣١).

وإنى أسأل الله العصمة من خطئى الذى هو من طبعى، ومن العجلة التى هي من فطرتي، وأسأله سبحانه الهداية والتوفيق لما يحب ويرضاه، إنه على كل شئ قدير.

حكم منكر الوسيلة :

منكر الوسيلة سالك على المدارج لا المعارج، وجاهل عند أهل العلم بالله، وإن كان عالماً عند نفسه، والواجب عليه أن يستر جهله ولا يفتح على المسلمين أبواب

الفتن العمياء، والحقيقة أن المنكر غره ما قرره المفسرون فى هذه الآية جاهلاً بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ (المائدة: ٣٥). وغافلاً عن أن كل آية من القرآن لها ظهر وبطن، ولها حد ومطلع، فظاهر الآيات لأهل مقام، وباطنها لأهل شهود، وحدها لأهل محبة الله تعالى، ومطلعها للمصطفين من خيرة الأمة المحمدية، فليتق الله من لم يتق الله فيعلمه الله كما قال سبحانه: ﴿ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، ولا يحقر صغير المسلمين، لأن صغير المسلمين عند الله عظيم، وفى الخبر، قال ﴿ ﷺ وآله﴾: (يا أبا بكر لا تحقرن أحداً من المسلمين، فإن صغير المسلمين عند الله عظيم).

وقال ﴿ ﷺ وآله﴾: (أمتى هذه كالمطر لا يدرى أولها خير أم آخرها) وحجة ذلك قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ﴾ (المائدة: ٥٤)، وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ ﴾ (الحجرات: ١١)، وقال ﴿ ﷺ وآله﴾: (إن الرجل ليقول الكلمة من الشر لا يلقى لها بالاً يهوى بها فى النار سبعين خريفاً، وإن الرجل ليقول الكلمة من الخير لا يلقى لها بالاً يرفعه الله تعالى سبعين درجة فى الجنة).

وهنا يكون الحكم على منكر الوسيلة- بالغلظة والفظاظة وإلقاء الشحناء والبغضاء بين المسلمين- أنه أوقع نفسه فى كبائر، حكم القرآن على مرتكبيها بالخلود فى النار:

أولاً: كذبه على الله

أنه كذب على الله تعالى بإنكار الوسيلة، وقد أثبتها الله تعالى فى القرآن بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ ﴾ (المائدة: ٣٥)، وقوله تعالى: ﴿ أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ (الإسراء: ٥٧)، والكذب على الله تعالى من أكبر الكبائر.

ثانياً : فتحه أبواب الفتن

الواجب على الداعى إلى الله تعالى، أن يعمل بمقتضى قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥)، فإذا نزعت به نفسه إلى العناد والشر، فتح أبواب الفتن العمياء على من يدعوهم، وارتكب كبيرة فى دفع بدعة على ظنه، وأوقع نفسه وغيره فى كبائر توعد الله عليها بنار جهنم، قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (الأنفال: ٤٦).

ثالثاً: فتحه أبواب الشر على العامة

منكر الوسيلة فتح على العامة أبواب الشر، فإنهم باعتقادهم فيه أهانوا جانب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ، وحكموا بأن السنة بدعة مضلة لجهلهم، حتى تركوا العمل بالسنن، وإهانة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ من الكبائر، قال تعالى: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾ (النساء: ٦٥).

رابعاً: تخلقه بالغرور والكبر

منكر الوسيلة حكم لنفسه بالكمال، وبلوغ درجة الدعوة والإرشاد، وفى ذلك من الغرور والكبر والكذب على الحقيقة، وهذا يكرهه الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا * الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ (الكهف: ١٠٣ - ١٠٤).

وقد ابتلى الله تعالى هؤلاء بسب وبلعن غيرهم- ولو كان مما سبقهم بالإيمان- وهذه من الكبائر، وقال تعالى: ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته..﴾ إلى قوله: ﴿كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾ (الأعراف: ٣٧ - ٣٨).

أقول ذلك لاعتقادى أن القوم ما بلغوا درجة الاجتهاد حتى يكون لهم أجر ولو أخطأوا، وكيف لا؟ والمجتهد أكمل الناس أدباً مع رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وأوسعهم علماً بالحقائق والمقتضيات التى تجعل الرجل يتوسل بالرجال فى مقام، وبالعبادات فى آخر، وبالتصورات فى حال، وبالمجاهدات فى آخر، وكلها وسائل للقرب من الله تعالى.

حالة منكر الوسيلة :

من جهل، وحكم- لجهله- بالكفر أو بالشرك أو بالمعصية، على قوم هم فى مقامهم أهل إسلام وإيمان، كان من أهل لعنة الله تعالى، لأنه كذب على الله جل جلاله، قال سبحانه: ﴿فنجعل لعنت الله على الكاذبين﴾ (آل عمران: ٦١).

إذا كان منكر الوسيلة يستر حاله عن الناس فشركه خفى، أما إذا كان يجاهر بالعناد والجدل خصوصاً فى أماكن العبادة والعلم فليس هذا من الإسلام فى شئ، قال الله تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شئ﴾ (الأنعام: ١٥٩)، وقال الله تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ (الأنفال: ٤٦).

وإن منكرى الوسيلة- وإن أساءوا الظن بالمتوسل- فإن التوسل لا يؤدى إلى شرك ظاهر ولا خفى، لأن المتوسل برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يعلم أنه عبد أوذى فى الله، وربط الحجر على بطنه من الجوع، ورمى بالحجارة حتى سال الدم من ساقيه، وأخبرنا الله تعالى عنه بقوله: ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين﴾ (الحاقة: ٤٤ - ٤٦)، وقال الله تعالى: ﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيرا﴾ (الإسراء: ٨٦- ٨٧).

فأقامه ﴿ﷺ وآله﴾ مقاماً لم يقم فيه أحداً من عالم عالين إلى مرتبة الإنسانية، وهو فى تلك المقامات العالية عبد متحقق بكمال العبودة، ثم أدبه جل جلاله فى القرآن المجيد، فأحسن تأديبه بآداب لم تخرجه عن أنه خير رسول بعثه الله.

وهنا أبين لك التوسل يا أخى: نحن مأمورون أن نتوسل إلى الله بما يقربنا إليه،

وينيلنا رضوانه الأكبر والحب لذاته، وأكمل وأجمل وسيلة نتوسل بها إلى الله هى أعمال وأقوال وأحوال من باتباعه يحبنا الله تعالى، وأدع الحكم على منكر الوسيلة- بعد هذا البيان- إليك أيها القارئ.

الواجب علينا سد باب الفتن :

الواجب علينا سد باب الفتن والتسليم للعاملين، حتى نعلم وجه الحق أو وجه الباطل فيما نعمل، فإذا علمنا عالجنا المرض بما نعلم من طب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾.

من هذا تعلم أن الوسيلة هى القربة إلى الله تعالى بما يحب من العقيدة والعبادة والمعاملة والأخلاق، التى لا تصل إليها إلا بمن يحبه الله تعالى، وهو الذى بعثه الله تعالى: ﴿شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا﴾ (الأحزاب: ٤٥ - ٤٦).

ونحن لابد أن نتوسل إلى الله تعالى بعمله ﴿ﷺ وآله﴾ وقوله وحاله وإقراراته وتلك المعانى لا تتحقق إلا بذاته ﴿ﷺ وآله﴾، فمنكر الوسيلة برسول الله﴿ﷺ وآله﴾ منكر للأسباب التى وضعها الله تعالى ليتعرف بها إلى عباده، وكفى منكر الوسيلة جهلاً أنه أشبه اليهود فعلاً وقولاً

التوسل وحكمه شرعاً :

أيا نفس هل لى فى الشريعة برهان	يقوم على أن التوسل إيمان
وإنى لأستفتيك يا قلب حيث قد	أمرنا بفتوى القلب والعبد حيران
أعاد رسول الله أهل التقى إلى	سؤال قلوب ملؤها الإيقان
ألا اصغ إلى حكم به سر حكمة	وفيه شفاء للنهى وأمان
	ليشهد فيها يظهر التبيان
	ضلال مبين قاله القرآن
	أواسط فيها الفضل والإحسان

لقد وضـــع الأسباب ربــك
حكمـــــــــــــــــــــــــة
فمن شهد الأسباب تفعل فهــو
فى
ومن شهد الأسباب تنبى بأنهـــا
وهـــذا شهـــــود العــــارفين
برهـــــــــــــــــــــــــم
فكن بين بين تفقه الحكم إن من
توســـل أسلاف كـــرام لـــربهم
و لم ينكرن هذا التوســـل عـــالم
وإن كـــان أهـــل الجهـــل لم
يتوســـــــــــــــــلوا
توسل بمحبـــوب إلى الله موقنـــاً
ولا تلتفت للمنكرين إذا ادعـــوا
يلبيك رب العرش عند ســـؤاله
إذا كان جبريل الأمين بحجــــة
إلا انزل على قبر الكليم وصل يا
وفى بيت لحم فانزلن صل داعيا
يقول لسانى ضارعــــا متبــتلا
دعا أهل بدر بل وفاروق قد دعا
توسلت بالمختار والقلب موقـــن

لقد خصـــــهم فضـــــلاً بـــه
الـــــــــــــــــرحمن
تطرف يهـــوى حظـــه الـــنيران
بأهل التقـــــى لبـــاهمو المنـــان
وكيف؟!! وقد وافى بـــه قـــرآن
بميت ولكن ما لهم برهـــــــان
بنيل العطايـــا يمنـــــح الحنـــان
عليك بشركٍ فالهـــوى خســـران
بصـــــفوته والمـــــنعم الـــــديان
دعا المصطفى فى قولـــه برهـــان
ضيا الأنبيا والأمـــر فيـــه بيـــان
وهل بعد هذا حجـــة برهـــان
وقلبى توسل صـــدق الفرقـــان
توسل بالعباس صح بيـــــــان
إذا قال وافى الفضل والإحســـان

الوسيلة

ما المقصود بقوله تعالى : ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ ؟!

معلوم أن التقوى هى التجريد مما يخالف الشريعة فى النفس والعقل والحس والجسم، وابتغاء الوسيلة هى المسارعة إلى محاب الله ومراضيه قياماً بما أمر، والانتهاء عما نهى سبحانه، والوسيلة إلى الله تعالى هو رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، واتخاذه وسيلة أن يعلى كلمته ويحيى سنته فى ثقة وغيرة عند الاستطاعة، ومن الوسائل أيضاً الاقتداء بأهل العلم والتقوى فى سلوكهم وأعمالهم وأخلاقهم مما تحقق فيه صحة الاتباع لرسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وليس من الشرك أن يتوسل رجل برجل صالح تقى قريب من الله فيسأله الدعاء، ودعاء التقى مجاب، ويتلقى منه الأدعية التى يقبلها الله تعالى، مع اعتقاد أن الضار النافع هو الله، وأن أحداً لا يضر ولا ينفع بذاته ولو كان نبياً مرسلاً، ولكنهم عليهم الصلاة والسلام هم وورثتهم رضى الله عنهم كالشمس والقمر والأنجم وكالماء والهواء، ينفع الله بهم من شاء من عباده، ويضر بهم من شاء، فمن عمل بالسنة اتباعاً لرسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ نفعه الله برسوله ﴿ﷺ وآله﴾، ومن خالف النبى ﴿ﷺ وآله﴾ أضره الله بسبب مخالفته، وكذلك من استعمل الماء والهواء والشمس والقمر والنجوم بالحالة الوسطى نفعه الله بها، ومن تعدى الحالة الوسطى أضره الله سبحانه بها، وليس هناك مسلم مؤمن كائن من كان إلا وهو يعتقد أن الضار النافع هو الله، وأن الله تعالى جعل أحبابه كالشموس المضيئة يهتدى بها الخلق إلى سبيله سبحانه.

مشروعية الاحتفال بمولده ﴿ﷺ وآله﴾

أصغر مسلم لا يغيب عنه رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، ما دام يعمل بالقرآن وبسنة سيد المرسلين ﴿ﷺ وآله﴾، فبشرى لنا بمولده ﴿ﷺ وآله﴾ الذى يذكرنا ما أكرمنا الله به من الخير والتمكين، نفرح بمولده ﴿ﷺ وآله﴾ فرحاً يفوق فرحنا بالعافية والمال، بل يفوق فرحنا بالملك، والعيال، نحيى لياليه بالفرح والمسرات، حبوراً بمولده الشريف الذى توالت به الخيرات، وأى مسلم لا يحيى تلك الليالى فرحاً مسروراً تجديداً لذكراه ﴿ﷺ وآله﴾ شكراً لله تعالى على نعماه وحبوراً.

وقد عين الله للخير أوقاتاً، وجعلها للعطايا آنات، كما جعل لغيث السماء أوقاتاً معينة، وجعل لزيادة النيل والأنهار الأخرى أياماً مبينة، فكذلك جعل أوائل ربيع أول، لتشرق فيها شمس الرحمة الربانية، وتفاض فيها أنهار الفضل الإحسانية، فطوبى لمن أحيا تلك الليالى حباً فى رسول الله، وقدم فيها الخير لينال ما يتمناه، بل وبشرى لمن بين للمسلمين شمائل الحبيب المصطفى، ووضح لهم ما نالته الأمة المحمدية من الخير والصفا، فتمثلت النفوس جماله المحمدى، وما تفضل الله به علينا من الخير بهذا النبى الأمى.

وإن كان ابن الحاج فى المدخل قد أنكر فإنه- غفر الله له- حكم ولم يتبصر، إن إحياء ليالى المولد النبوى الشريف وإن لم تظهر فى عهد السلف، فإن أنفسهم كلها كانت ذكرى له ﴿ﷺ وآله﴾ ومنه تحف، وكانت قلوبهم تتمثله فى كل همة وحركة، وتستحضره ﴿ﷺ وآله﴾ فى كل لمة وسكنة، وقد شغلت الدنيا وحظوظها القلوب، فاحتاجت إلى اليقظة لذكر شمائل الحبيب المحبوب، لتحيا فى رياض الشهود وتتناول من طهور المشروب.

وإنى أستحسن كل الاستحسان، ما يقوم به المسلمون من إحياء ليالى المولد فى هذا الزمان، تجديداً لذكرى من به أسعدنا الله بالإيمان، وإن ادعى من ينكر علينا بحصول المفاسد والبدع، فإن الخير العام الذى به كل إنسان انتفع، لا يمنع بحصول مفسدة بسببه إذا عم النفع به وسطع، ولو كان الأمر كذلك لكانت بعثة الرسل وشروق

الشمس وإنزال الأمطار أولى بالمنع ممن منع، فليتق الله من يمنعون هذا الخير فإن منعهم هو شر البدع، والله تعالى يهدى من سبق له الهدى، ويضل من سبق له الـــردى، وإن فقراء آل العزائم يفرحون برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، ويشهدون أنواره عند ذكراه.

اللهم إنا نسألك بحبيبك المصطفى أن توردنا موارد أهل الصفا، وأن تعيننا يا ربنـــا على القيام له ﴿ﷺ وآله﴾ بالوفا، وأن تجعلنا ممن يفرح بذكراه، وممن نصـــره والاه، وأن تحيى قلوبنا بإحياء ليالى مولد حبيبك الشفيع الأعظم ﴿ﷺ وآله﴾، وتعيننا علـــى شكرك سبحانك بما تفضلت به علينا بوسيلتنا العظمى وحبيبنا النبى الأكرم، ونتوجه يا إلهى إليك، بحِبك ﴿ﷺ وآله﴾ وجاهه لديك أن تجعلنا أنصاراً لحضرته المحمدية، عمالاً بسنته النبوية، مجددين يا إلهى لآثاره، فائزين فى الدنيا والآخرة بأنواره، وأن تمكن لنـــا بالحق فى الأرض، مع المحافظة على السنة والفرض، والقيام لك سبحانك بك بما تحبـــه وترضاه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

اللهم تنزل بإحسانك وعفوك وحنانك لكل من أعان، على تلاوة المولد الشـــريف واجعله يا إلهى فى حصون الأمان، وتفضل يا إلهى على السامعين بـــالتوفيق للتشـــبه بشمائل حبيبك ومصطفاك، وأجزل يا إلهى سوابغ آلائك ونعماك، لنا ولهـــم وامـــنح الشفاء والعافية، ويسر لنا يا إلهى من الخير القصود الداعية. وادفع عنا يا إلهى المصائب والبلايا، وفرحنا يا إلهى بتوالى الخير والعطايا، وأصلح بيننا، وهب لنا ذرية طيبة إنـــك مجيب الدعاء، وتوفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، إنك على كل شئ قدير.

واحفظ يا إلهى فقراء آل العزائم من الفتن والمحن، وهب لنا جميعاً المـــنح والمـــنن، وأهلك يا إلهى أعداءك وأعداءنا، وأعدهم عبيداً لنا، أذلاء كما كانوا، واجعل العمـــل بالسنة والقرآن، فى كل زمان ومكان، وأيد جماعة المسلمين، بروحانية سيد المرسلين، وكن لنا ومعنا كما كنت لسلفنا الصالح يا رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

زيارة روضات أولياء الله الصالحين

لِمَ يزور أهل الفرقة الناجية روضات أولياء الله الصالحين ؟

زيارة القبور :

تقرر أن زيارة القبور سنة، وكان قد نهى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ عنها فى صدر الإسلام قبل أن تشرق أنوار الحق جلية على القلوب، وتقرير أصول الإسلام، فلما أن انعقدت كل القلوب على الحق، وظهر أن الخلق جميعاً عبيد مقهورون، وعباد مربوبون، وعلم كل مسلم أن كل مسلم فى حاجة إلى رحمة الله، وعفوه وفضله وكرمه، اتسع الأمر بعد التشديد، وأمرنا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بزيارة القبور، وزارها ﴿ﷺ وآله﴾ وكان فى كل سنة يزور شهداء بدر مرة أو مرتين، ويزور شهداء أحد فى كل جمعة، وصار أنس السالكين فى المقابر، فكان سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنه يأخذ المصحف ويخرج إلى القبور، فيجلس بينها، وصارت سنة أهل السلوك بعده، وهو إمامهم رضي الله عنه فى هذا.

تفاوت سكان القبور :

لما كان سكان القبور يتفاوتون، فمنهم من هو فى حاجة إلى الاستغفار له، ومنهم من هو مقبول الشفاعة عند الله مرضى القول عنده كما قال الله: ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا﴾ (طه: ١٠٩).

ونحن لا اطلاع لنا على الغيب، ولكن الأحوال والأعمال وألسنة الخلق الأدلة على أن العبد مرضى القول عند الله، مقبول الشفاعة لديه سبحانه وتعالى، فإذا نحن زرنا المقابر فعلينا أن نستغفر وندعو لمن نظن أنهم فى حاجة إلى ذلك، ونسأل الله تعالى عند من نعتقد أنهم مقبولون عند الله قد رضى عنهم ورضى لهم قولا.

والسنة أن نتذكر الموت عند زيارة القبور، ونتذكر سكراته القوية، وآلام نزع

الروح وجهل العاقبة، فتصغر فى عيوننا الدنيا، وتقبح لذهما، ويزول ما فى نفوسنا من اللقس والرعونات، فنعمل للموت، ونستعد للقائه، ونلتفت عن الطمع فى الدنيا والغرور بزينتها الفانية.

زيارة روضات الأنبياء والأولياء والرد على منكريها:

شنع بعض من لا علم لهم بالسنة على زائرى روضات أولياء الله بلا حكمة، ولا قصد إزالة المنكر؛ بل بعناد أدى إلى ضياع الحق، وعناد المنكر والسامع، والحقيقة أن زيارة القبور سنة، وأن الدعاء عند رياض الصالحين الذين يظن الإنسان فيهم أهم رضى الله عنهم ورضوا عنه ورضى قولهم سنة عملية، دليل ذلك ما ورد فى حديث الإسراء، أن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ نزل عند بيت لحم، وعند قبر سيدنا موسى عليه السلام، ووقف فصلى، أى: دعا، وزار ﴿ﷺ وآله﴾ القبور، وخرج لزيارة شهداء بدر ووقف فدعا، وورد أنه ﴿ﷺ وآله﴾ صلى على قبر رجل من الصحابة.

والدعاء المأثور لزيارة القبور هو: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم رب هذه الأرواح الباقية والأجساد البالية أدخل عليها روحاً منك وسلاماً منى)، هذا وإن الأرواح لتنتفع بزيارة أهل الصلاح والتقوى، وتنزل الرحمات على أهل القبور، ويفوز الزائر بمغفرة الله إذا زار ولياً من أولياء الله تعالى فى قبره، فإن أولياء الله ليسوا موتى بل هم أحياء عند رهم يرزقون، لأهم ماتوا بالله ولله قبل موتة عزرائيل، قال الله تعالى: ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس﴾ (الأنعام: ١٢٢).

ومن أحياه الله لا يموت أبداً، وإنما ينتقل إلى دار البرزخ يرزق فيها بتجدد الأعمال الصالحات التى سنها فى حياته الدنيا، والخيرات التى يكتبها الله له بالعلم الذى أبقاه للمسلمين، والنعم التى تتوالى عليه من الله بما أجراه من الصدقات الباقية، فهذا حى عند ربه، له رزق بقدر أرزاق من يعمل بإرشاده، فقد يكونون أكثر المسلمين،

فيكون- وهو ميت فى قبره- له أجر كأجر الأحياء جميعاً لا ينقص ذلك شيئاً من أجورهم، فهل مثل هذا ميت؟ ومن ظن غير ذلك فقد جهل، هذا حى عند ربه يرزق، ومن زاره فاز من الله بخير، وسمع الله دعاءه واستجاب له.

هذا إذا كان الزائر كامل الإيمان متحققاً بمشاهد التوحيد، أما إن كان جاهلاً فالأولى- بدل الإنكار عليه- أن نعلمه آداب الزيارة، ونفهمه أسرار التوحيد، ونترك التشنيع عليه لأنه مؤمن مسلم والمسلم قابل للعلم، إلا إذا كان ممن يعمل تلك الأعمال لعاجل الحياة الدنيا، وهم قطاع طريق الله ولا يخفون على المؤمنين.

زيارة روضات الأنبياء والأولياء مرغب فيها:

زيارة روضات أولياء الله الذين رضى لهم قولا مرغب فيها، والدعاء عندها مستجاب، والتوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وبالعمل بكتابه، والعمل بسنة نبيه ﴿ﷺ وآله﴾، وبرسوله ﴿ﷺ وآله﴾، وبأوليائه المقربين مما يدل على مزيد إيمان المؤمن وتواضعه، وسوء ظنه بنفسه واعتقاده أنه صغير فى نظره، وأن المقام الإلهى علىّ عن أن يكون مثل هذا الداعى مقبولاً لديه سبحانه، فيتشفع بغيره ممن اجتباهم الله وأحبهم واصطفاهم واختارهم، قال الله تعالى مخبراً عن ملائكته: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ (الإسراء: ٥٧)، وقال سبحانه: ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ (المائدة: ٣٥)، وقال سبحانه: ﴿الرحمن فاسأل به خبيرا﴾ (الفرقان: ٥٩).

وكم من حاجة قضاها الله تعالى، وكربة فرجها الله تعالى، وشدة أزالها الله تعالى، وفاقة أبدلها الله يسراً، ومرض أبدله بعافية بدعاء أوليائه، أو بزيارة روضاتهم ودعاء الله فيها.

أسباب إنكار الجاهلين بالسنة لزيارة القبور:

وإنما أنكر الجاهل بالسنة زيارة القبور، لجهله باليقين الحاصل فى قلوب عامة المسلمين من كمال التوحيد، واعتقاد أن الضار والنافع هو الله، ومتى انعقد القلب على

كمال الإيمان، وحقيقة التوحيد؛ فالأمر واسع لا شبهة فيه، وهل يعتقد مسلم أن مسلماً يأكل ويشرب ويتغوط ويمرض ويموت ينفع أو يضر؟ ولكن لله رجالاً أحبهم وأحب لأجلهم من أحبهم، وقد أثنى الله تعالى على أنصار نبيه ﴿ﷺ وآله﴾ فقال: ﴿يحبون من هاجر إليهم﴾ (الحشر: ٩) فحب المؤمن للمؤمن دليل على كمال محبة الله، وعناية المؤمن بالمؤمن دليل على حسن الثقة بالله، فإذا كان المسلمون لا يحبون أولياء الله أحياء وأمواتاً، فمن يحبون؟ أيحبون الملوك والأغنياء؟ لعل المنكرين يحبون الملوك والأغنياء، فإذا ماتوا تركوهم، ويعتقدون أن ذلك هو الحق (لا).

ولكنا والحمد لله نحب أولياء الله، ونقتدى بهم فى حياتهم، ونبذل ما فى وسعنا لإكرامهم ابتغاء مرضاة الله، فإذا ماتوا دام حبنا، وكثر دعاؤنا لهم وزيارتنا لقبورهم.

الرسول وخلفاءه يزورون قباء وشهداء أحد :

كان ﴿ﷺ وآله﴾ يزور مسجد قباء كل يوم سبت، ويزور شهداء أحد، وعمل بسنته من بعده أبو بكر وعمر وغيرهما رضى الله عنهم، وقد أمرنا الله تعالى بشكر الوالدين، وأمرنا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بالصلاة عليهما بعد موتهما فى حديث حسن، والعلماء أنفع من الوالدين، ومن برهم المسارعة لما فيه نفع المسلمين من إحياء ذكرهم، ونشر علومهم، وإدامة الدعاء لله أن يلحقنا بهم، أو يجعلنا من المتشبهين بهم، فإنما أحببناهم حباً لله ورسوله، ولما جملهم الله به من جمال حبه سبحانه، ومعرفته جل جلاله، والمحافظة على العمل بكتابه وسنة نبيه، وما وهب سبحانه لهم من الحكمة والبيان، فهم نور رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ المشرق على أمته، نحبهم أحياء وأمواتا، ونفديهم بأنفسنا وأموالنا، ولا نصغى لما يقوله الجاهل لما تفضل الله به علينا على ألسنتهم وأيديهم رضى الله عنهم، ونفعنا بهم.

هذا مذهبى، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يشرح صدور إخوتى المؤمنين للعمل به، حتى يكون أولياء الله محبوبين، ومتى كان أولياء الله محبوبين سارع المسلمون إلى

الاقتداء بهديهم، والعمل بما كانوا عليه، وتلقى علومهم النافعة، فهم كما قال ﴿ﷺ وآله﴾: (سرج الدنيا ومصابيح الآخرة) فتراهم- وهم أحياء بين الناس- مجهولين غرباء، فإذا انتقلوا إلى الدار الآخرة أحيا الله ذكرهم بين عباده الصالحين، وسارع عباد الله فى تأسيس المساجد، والصدقات، وأوقفوا الأعيان على مساجدهم كل ذلك من إكرام الله لهم فى الدنيا، فكيف يكون إكرام الله لهم فى الآخرة؟ وما من بلد من بلاد الإسلام إلا وبها مسجد باسمهم، أو زاوية بها فقراء المسلمين الذين أقعدهم الجهد يرزقهم الله من حيث لا يحتسبون.

فهم رضى الله عنهم فى حياتهم نور وبركة للمسلمين، وبعد موتهم كنوز وخيرات لفقراء المسلمين، يزورهم منقبض الصدر فيشرح الله صدره، والعاجز عن التكسب فيرزقه الله، وكم من فقراء لا عمل لهم إلا ما يجريه الله لهم على أيدى أهل العقيدة الإيمانية من أغنياء المسلمين.

أكتب هذا، وأنا أستغفر الله منه إن كان عن حظ وهوى، غير أنى- والحمد لله- أعتقد أنه مقصود به وجه الله تعالى، والخير لإخوتى المؤمنين جميعاً، وهو رأى رأيته أعتقد فى نفسى أنه الحق، اللهم إن كان حقاً فانفعنى به وانفع به إخوتى المؤمنين، وإن كان غير ذلك فأسألك أن تحفظنى وإخوتى المؤمنين من عجلتى الفطرية، وإعجابى برأيى، واتباع هواى، إنك غفور رحيم تواب كريم.

إحياء ليلة النصف من شعبان من نوافل البر

عناية الرسول وصحابته والسلف الصالح بهذه الليلة:

أجمع المسلمون جميعاً أن الله خص بفضله أفراداً من عباده الصالحين، وأمكنة خاصة، وأزمنة خاصة، فجعل فى الأسبوع يوماً وهو يوم الجمعة، وفى السنة شهراً للصيام، وأربعة أشهر حرم، وخص ليلة الإسراء بحبيبه، فلا حرج على فضله أن يخص ليلة النصف من شعبان فى كل عام بفضيلة استجابة الدعاء، وقبول التوبة ممن يتوب، والعفو عن كثير من المذنبين، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، لا يمنع هذا الفضل العظيم إنكار من أنكر فقد ذكر فضلها الإمام أبو طالب المكى- وهو من أئمة السلف الصالح الصادقين فى الفضل والرواية فى كتابه (قوت القلوب)- أن ليلة النصف من شعبان كان يعتنى بها أصحاب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ويجتمعون لصلاة النوافل جماعة، إحياء لها والتماساً لخيرها؛ فقد ورد أن فيها ترفع الأعمال وتقدر الأرزاق والآجال، وقد ورد فيها الدعاء المأثور الذى يلتمس فيه الداعى خفى اللطف فى قدر الله، ولله تعالى فيها نظرات إلى خلقه: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ (الرعد: ٣٩)، كما أورد الإمام أبو طالب المكى أن السلف الصالح رضى الله عنهم كانوا يحيون ليلة النصف من شعبان، وكانوا يصلون فيها مائة ركعة يأملون فيها الخير.

وقد ورد فى إحيائها أحاديث، وإن كان سندها لم يبلغ درجة الصحاح فيكون على شرط البخارى أو مسلم إلا أنها فى فضائل الأعمال والأخذ بها أحسن، والأحاديث الواردة فى الفضائل الأولى للمسلم أن يسلم بها من غير تدقيق فى سندها لأنها ليست أحكاماً شرعية، ولأن أحاديث الفضائل كان يخص بها رسول الله أفراداً من أهل الصفة الذين أقبلوا على الله بالكلية وهم الذين أمر الله حبيبه ﴿ﷺ وآله﴾ أن يصبر نفسه معهم.

وإنكار من أنكر على أحاديث الفضائل لأنها لم تثبت عنده بسند يقبله هو بحسب

مرتبته، كسند الإمام البخارى ومسلم رضى الله عنهما، وهذان الإمامان جمعا ما يتعلق بالأحكام التى يجب أن يلزم بها كل مسلم وينفذها الخليفة وعماله، وأما الأحاديث المتعلقة بتزكية النفس وطهارة القلوب ومعاملة علام الغيوب وعلوم الإيمان والإيقان والإحسان: فحملها رجال فروا من الكونين إلى الله تعالى، ولزموا الصفة، إيثار للعلم والعمل لله على غيرهما، أو حفظاً لأنفاس رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فى الليل والنهار.

أحكام فقهية

ما حكم الأذان على المنارة ؟

الأذان على المنارة من السنة وإنكاره بدعة مضلة، وبرهان ذلك ما ورد من الآثار بسند الإمام أبي داود فى صحيفة ١٥٠ على هامش الموطأ فى باب الأذان فوق المنارة، عن امرأة من بنى النجار قالت: كان بيتى من أطول بيت حول المسجد، وكان بلال يؤذن عليه الفجر، فيأتى بسحر فيجلس على البيت ينظر إلى الفجر، فإذا رآه تمطى ثم قال: (اللهم إنى أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا دينك) ثم يؤذن.

وبسنده من الحديث الطويل قال: قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (وحتى هممت أن آمر رجالاً يقومون على الآطام- الجبال- ينادون المسلمين بحين الصلاة).

من تلك الآثار الشريفة يتضح أن حكمة مشروعية الأذان إعلام المسلمين بحين الصلاة، ليجتمعوا فى المسجد، ولتلك الحكمة يسن شرعاً كل عمل يتوسل به لهذا الجمع، والمقاصد تبرر الوسائل.

ولما كان الأذان على المنارة المرتفعة- والميكروفونات- يسمع القريب والبعيد عن المسجد من المسلمين، كان من السنة أن ترفع المنارات فى الأمصار، وأن يؤذن فوق المساجد وفى غيرها كما كانت السنة فى عهد رسول الله، أما الأذان أمام المسجد، فتلك السنة التى كانت فى عهد رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بعد جلوسه على المنبر، ليتنبه الحاضرون للجمعة، فيسارعون إلى دخول المسجد لسماع الخطبة.

ورجل يفتح باب التفرقة بين المسلمين بجعل البدع المضلة سنناً، والسنن المجمع عليها بدعاً حكم على نفسه أن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ليس منه فى شئ بدليل قوله تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شئ﴾ (الأنعام: ١٥٩).

وهو شر شياطين الإنس لأنه يترك أكبر الكبائر تفعل جهراً أمام المسلمين فيقرها،

ويذهب إلى مسجد الله تعالى فيحدث شر البدع فيه، وشرها الخصومة والجدل، قال الله تعالى: ﴿ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون﴾ (الزخرف: ٥٨)، فحكم على كل مجادل أنه خصم الله تعالى وخصم رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ والمؤمنين.

أما الأذان بجوار المنبر فهو بدعة أيضاً، وإنما الأذان أمام الخطيب يكون على باب المسجد، حيث تكون المساجد بعيدة عن الأسواق والغوغاء من السوقة الذين لا يشهدون الجمعة، فإذا كان المراد به يقظة قلوب المصلين لسماع الخطبة- خصوصاً الذين يجلسون فى الزوايا الملحقة بالمسجد بجوار محل الطهارة لزحام المسجد- كان الأذان بصوت ندى والخطيب على المنبر مما يعين على اليقظة لسماع الخطبة، قال ﴿ﷺ وآله﴾: (إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله..) الحديث.

والحقيقة أن المسلم إذا وعظ كما أمرنا القرآن المجيد بقوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾ (النحل: ١٢٥)، لفاز الواعظ والموعوظ برضوان الله الأكبر، ودليل ذلك من الأثر الشريف ما رواه الإمام محمد أبو الحسن عن الإمامين البخارى ومسلم قالا: قال السائب بن يزيد: (كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر فى عهد رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما، فلما كان عثمان ﷺ وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء) فصح أن النداء فى يوم الجمعة نداء أول للتذكير، ونداء ثان عند وجوب الظهر، ونداء ثالث عند جلوس الخطيب على المنبر.

ما حكم الصلاة والسلام على الرسول بعد الأذان ؟

إن القرآن، الشريف والآثار النبوية تصرح بالصلاة والسلام على الرسول بعد الأذان، أما القرآن فقوله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ (الأحزاب: ٥٦)، هذه الآية الشريفة حجة قائمة على

أن الله تعالى أمرنا بالصلاة والسلام على رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ من غير تقييد بعمل ولا بوقت ولا بحال ولا بشأن، وأخبرنا سبحانه أنه يصلى عليه هو وملائكته مؤكداً الخبر بـ (إن)، والمؤذن وسامعوه أولى الناس بشكر رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ على نعمة الله علينا به، كما قال تعالى: ﴿واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً﴾ (آل عمران: ١٠٣)، وأى نعمة أعظم وأجل من سماع الأذان الجامع لتعظيم الله تعالى وتوحيده سبحانه، والإقرار برسالة حبيبه ومصطفاه سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾؟.

هذه النعمة العظمى توجب علينا عقلاً أن نصلى ونسلم عليه وعلى آله وصحبه وأنصاره، خصوصاً عند الاعتراف له بالرسالة بعد الإقرار بتوحيد الله فى كلمة واحدة. وقد طلب ﴿ﷺ وآله﴾ ممن سمع المؤذن أن يقول مثل ما يقول، وأن يصلى ويسلم عليه، وأن يسأل الله تعالى له الوسيلة، وإذا كان هذا مطلوباً ممن سمع المؤذن، فكيف بالمطلوب من المؤذن؟.

هذا وعلى فرض أن الصلاة والسلام من المؤذن بعد الأذان الشرعى ليس من الأذان، فهو ذكر يتقرب به المؤذن إلى الله تعالى وليس فيه من الكراهة شئ، والمؤذن هو إنسان مسلم يتقرب إلى الله تعالى بعد أن يتم سنة الأذان بما يحبه الله ورسوله ﴿ﷺ وآله﴾، ولا تكون الكراهة فى هذا إلا إذا اعتقد أن هذا من الأذان الشرعى.

ومما يقيم الحجة على أن المصلى والمسلم على النبى ﴿ﷺ وآله﴾ بعد الأذان يعتقد أن قوله هذا ذكر فقط، اختلاف العبارات التى يقولها المؤذن، إذ لو كان يعتقد أنها من الأذان للزم ألفاظاً معينة، ولكن الشيطان- لعنه الله- يلقى فى قلوب إخوانه من الإنس ما يفتح به أبواب الفتن المضلة والآراء المفسدة، أعاذنا الله تعالى من فتح أبواب الفتن فى المساجد والمجتمعات الدينية.

ولم يبق بعد البيان والحجة من الآثار النبوية، والعقل الذى يعقل عن الله تعالى وعن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، إلا التروع إلى بذر بذور التفرقة بين عمار المساجد وأهل

التقوى من المؤمنين، أعاذنا الله من ذلك.

ما حكم صلاة التراويح ؟

من الصحاح بسند الإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوى المشهور بالفراء بسنده عن الإمام البخارى ومسلم بصحيحيهما قال زيد بن ثابت: إن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ اتخذ حجرة فى المسجد من حصير فصلى فيها ليالى من رمضان، حتى اجتمع إليه ناس، ثم فقدوا صوته ليلة وظنوا أنه قد نام، فجعل بعضهم يتنحنح ليخرج إليهم فقال: (ما زال بكم الذى رأيت من صنيعكم حتى خشيت أن يكتب عليكم ولو كتب عليكم ما قمتم به) وهذا الحديث حجة قاطعة لدعاوى المنكرين صلاة التراويح فى المسجد، فإن هذا الحديث بين لنا أن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ صلى بالناس ليالى فى رمضان فى المسجد، وقد أقام رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ الليالى الفردية من العشر الأواخر فى المسجد.

وبسنده عن الإمام البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن أبى هريرة قال: كان رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يرغب فى قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة فيقول: (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) وانتقل رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ والأمر على ذلك، ثم كان الأمر على ذلك فى خلافة أبى بكر وصدرا من خلافة عمر رضى الله عنهما.

وبسند الإمام مالك بن أنس فى موطئه عن عبد الرحمن بن عبد البارى أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب ﵁ فى رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلى الرجل لنفسه، ويصلى الرجل فيصلى بصلاته الرهط، فقال عمر ﵁: والله إنى لأرانى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، فجمعهم على أبى بن كعب ﵁، قال: ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم، فقال عمر ﵁: (نعمت البدعة هذه والتى تنامون عنها أفضل من التى تقومون) يعنى آخر الليل، وكان الناس

يقومون أوله.. وبسنده أيضاً عن السائب بن يزيد أنه قال: أمر عمر بن الخطاب أبى بن كعب وتميماً الدارى رضى الله عنهما أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة، قال: وكان القارئ يقرأ بالمئين حتى كنا نعتمد على العصى من طول القيام وما كنا ننصرف إلا فى بزوغ الفجر.

وحدثنى عن مالك عن يزيد بن دومان أنه قال: كان الناس يقومون فى زمان عمر بن الخطاب ﷺ فى رمضان بثلاث وعشرين ركعة.

هنا نخاطب العقل الذى يعقل عن الله تعالى، وعن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وعمن أمرنا رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بالاقتداء بهما وهما أبو بكر وعمر رضى الله عنهما. هل ظهر نبى بعد سيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾ أو ظهر رجل يبلغ من العلم أن يستظهر على عمر بن الخطاب وعلى خيرة الصحابة والأنصار رضى الله عنهم؟ أظنها فتنة يريد به فاعلها صرف المسلمين عن المساجد إلى المقاهى والملاهى، والواجب على أهل الإسلام فى عصرنا هذا أن يتداركوا المجتمع الإسلامى من الوقوع فى مهاوى دعاة النصرانية واليهودية ودعاة الفسوق والإنكار، ويتركوا أهل الصلاح والتقوى وعمار المساجد يعملون بسنة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ المجمع عليها فقد كفى المسلمين تفرقة.. وأعمال هذه الطائفة من الناس كأعمال الإباحيين من غلاة الشيعة.

أسأل الله أن يتدارك المسلمين بهداية أهل الضلال، أو بعاجل نقمة تشغلهم عن القيام بالفتن فى المساجد ومجالس الذكر وزيارة موتى أولياء الله تعالى، ليتذكروا بها الموت وما بعده، وليقتدوا بآثارهم التى يحبها الله تعالى ورسوله ﴿ﷺ وآله﴾ وأتقياء المسلمين.

ما حكم قراءة القرآن يوم الجمعة ؟

أنا لا أنكر أن قراءة سورة الكهف قبل صلاة الجمعة فى المساجد بدعة، ولكنها بدعة حسنة بالنسبة لعصرنا هذا.

إن الناس بحسب العادة فى هذا الزمان يجتمعون لصلاة الجمعة فيجلس الأشباه والشكول بجانب بعضهم، جاهلين بآداب المسجد، يتكلمون فى خصوصياتهم تارة، وفى ذكر أحداث مضت آونة، حتى إذا استوى الخطيب على المنبر فمنهم من يقطع حديثه ومنهم من يتمم كلامه والخطيب يخطب- وقد ورد فى خبر أن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ رغب الناس فى قراءة سورة الكهف يوم الجمعة من غير أن يعين وقتاً، وقد رأيت فى بعض مساجد بلاد الشرق سورة الكهف مكتوبة بخط يد فى مجلدات كثيرة، فإذا جاء الناس للصلاة قبل الخطبة صلوا تحية المسجد، وتناول كل رجل مجلداً من تلك المجلدات وقرأ سورة الكهف-.

فقراءة قارئ لهم وإن كانت بدعة إلا أنها تمنع ضلالات وكبائر من وقوع بعض المصلين فى الغيبة والنميمة، أو الكذب فى المسجد فى وقت الذكر والصلاة، وخصوصاً إذا كان القارئ يتغنى بالقرآن بصوت ندى وأصغى إليه المصلون يسمعون ما فى السورة من أسرار الحكمة وغرائب القدرة، فخشعت قلوبهم وصلوا حاضرى القلوب، وتكون بهذه الحكمة بدعة حسنة، وأما ما ورد فى قوله تعالى: ﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾ (الأعراف: ٢٠٤)، فإنما ذلك فى الصلاة، فالقريب من الإمام يسمع، والبعيد عنه ينصت وإن لم يسمع، حفظاً لقلوب المصلين الذين يسمعون القرآن.

هذا والله تعالى لم يأمر أهل الجهالة أن يدعوا إلى الله تعالى، ولكنه أمر أهل العلم بالله تعالى بذلك، قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ (آل عمران: ١٠٤).

يشير سبحانه بقوله: (منكم) إلى البعض، لأن (من) هنا للتبعيض، وكل من دعا إلى الله تعالى أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر، فوقع فى الكبائر بتفرقة المسلمين وإلقاءه العداوة والبغضاء بينهم فذلك من شياطين الإنس لا محالة، والواجب عليه أن يهذب أخلاقه ويتعلم طريق الدعوة إلى الله تعالى، قال ﴿ﷺ وآله﴾: (ألا أخبركم بأحبكم إلىّ

وأقربكم منى مجالس يوم القيامة؟، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أحاسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون)، وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (ألا أخبركم بأبغضكم إلىّ وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الثرثارون المتفيهقون الذين لا يألفون ولا يؤلفون).

وعجباً لرجل ينفر أمة سيدنا محمد ويبغضها فى مساجد الله، ويبلغ من حماقته أن يقع فى الخصومة بالسب واللعن والحرب، كيف يحكم لنفسه أنه مسلم؟ ورسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يقول: (المسلم من سلم الناس من يده ولسانه، والمؤمن من أمن جاره بوائقه).

ما حكم التبليغ وراء الإمام ؟

معلوم أن الضرورات تبيح المحظورات، وفى الخبر: (ما رآه المسلمون حسناً فهو حسن) والمسلمون قد يكون فيهم الأصم والأعمى، ومعلوم أن مسجد رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فى عصره- مع ما كان عليه- إذا رفع صوته أسمع من فيه جميعاً، أما مسجد كالأزهر، أو كمسجد عمرو بن العاص، أو كمسجد السيد البدوى بطنطا، ومسجد سيدى إبراهيم الدسوقى- خصوصاً فى أيام موالدهم- فإنه يتعذر على المصلين جميعاً أن يسمعوا صوت الإمام، خصوصاً إذا كان الإمام خافت الصوت، وكان الناس ممن يرفعون أصواتهم خلف الإمام، فلدفع ما يحصل من الاختلاف فى الصلاة- خصوصاً من الأعمى والأصم- يكون التبليغ فى حكم السنة، وما رآه المسلمون حسناً فهو حسن.

سؤال السابقين

هل المسلمون الذين يتمسكون ببعض الرجال الموتى ولا ينتفعون بأهل العلم بالله من الأحياء، يناهم قسط من هذه الآية التى تدل على أن اليهود كفروا بعيسى عليه السلام وبرسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وأن النصارى كفروا برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بقولهم: ﴿كونوا هوداً أو نصارى هتدوا﴾ ومنعوا المسلمين عن أن يتلقوا العلم النافع تمسكاً بما كانوا عليه قبل أن يظهر الله فى الوجود رجلاً عارفاً به؟

الجواب: أهم إن كانت عقيدهم تدعو إلى إنكار فضل الله تعالى على من يشاء من خلقه، وأنه سبحانه وتعالى لم يقدر أن يوجد عالماً يقيم الحجة لله تعالى، ويبين سنن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، فإن الآية تشملهم، حفظنا الله وإخوتنا المسلمين من دعاة الجهالة ومن علماء الدنيا.

وإن كانت عقيدهم أهم لا يحبون أن يعادوا أهل العلم من السابقين، فإذا ظهرت لهم الحجة وعلموا أن المراد كله إحياء سنن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فلهم أجران، والواجب على الدعاة إلى الله أن يتمسكوا بقوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ (النحل: ١٢٥)، حتى يقتلوا الشيطان من الإنسان، بل الواجب عليهم ألا يتعرضوا إلى ذم الشيوخ السابقين، فإن ذلك يؤجج نار الفتنة، قال تعالى: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾ (الأنعام: ١٠٨)، هذا كلام فى المشركين، فكيف يكون فى المسلمين، يجب أن يكون بلطف وإحسان وتمنِ أن يكون الداعى إلى الله خادماً للأئمة السابقين لو أدركهم، ولكن أين هم ورسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يقول: (أمتى أمة مرحومة مغفور لها، لا يدرى أولها خير أم آخرها)؟.

تكفير المسلمين

انتشرت ظاهرة التكفير بين جماعات التمسلف مستدلين على ذلك بقوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ (المائدة: ٤٤)، وقوله: ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ (المائدة: ٤٥)، وقوله: ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ (المائدة: ٤٧)..

فهل هذه الآيات المقصود منها ما تفعله هذه الجماعات؟.

المراد بهذه الآيات كلها اليهود، وقيل: الآية الأولى للمسلمين وهى قوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ والثانية وهى قوله تعالى: ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ لليهود، والثالثة وهى قوله تعالى: ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ للنصارى.

وتحقيق الأمر فى هذه الآيات أن من حكم بغير ما أنزل الله جاحداً حكم الله تعالى فهو كافر، ومن حكم بغير ما أنزل الله مؤمناً بالله ورسوله ولكن هواه وطمعه دعياه لذلك فهو كافر بالحكم فقط، ومن حكم بغير ما أنزل الله تعالى جاهلاً بالحكم فهو كافر أو ظالم أو فاسق أو آثم إثماً عظيماً، وكفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق.

أما الكفر الذى هو مفارقة الإسلام فلا يحكم به إلا على من كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وإلا فهو ارتكاب كبيرة جعل لها القرآن حداً مطهراً لا توقع فى الكفر، أما المرتد فقتله ليس مطهراً فإنه يقتل كفراً، ومن هذا قوله ﴿ﷺ وآله﴾: (آية ما بيننا وبين المنافقين شهود العشاء والصبح)، أى: فى الجماعة، وليس كل مسلم لم يشهد العشاء والصبح فى جماعة يكون منافقاً ويكون فى الدرك الأسفل من النار، بل المراد هنا بالنفاق العملى لا العلمى، وكذلك المراد بالكفر والظلم والفسوق المحكوم بها على من حكم بغير ما أنزل الله المراد بها من أهل الإيمان بالله

ورسوله واليوم الآخر كفر بالحكم، والخلاف بين العلماء فى هذه الآية لفظى. فإن من أراد بالكفر والظلم والفسق على الجاحد حكم بأنه الكفر الذى يخلد صاحبه فى نار جهنم، ومن أراد بها الكفر بحكم الله تعالى كما هو الواقع من بعض أهل الإيمان الذين يحكمون بغير ما أنزل الله للعاطفة أو للهوى مع كمال الإيمان بالله فهو مؤمن مرتكب لكبيرة، قال تعالى: ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ (الزلزلة: ٧-٨) الحساب يوم القيامة بمثقال الذرة.

الفصل الرابع

صــــوفيــــة

علم التصوف

تعريف التصوف:

هذه الكلمة اصطلح عليها أهل المجاهدة، والذى أستحسنه فيها أنها مأخوذة من الصفاء. فالصوفى من جاهد نفسه فى ذات الله بتوفيق الله حتى صفا قلبه ووقته وحاله، فصافاه الله تعالى، فسمى صوفياً، وهو فعل ماض مبنى للمجهول بشرى له، وهى كلمة ينشرح صدر الموصوف بها لما دلت عليه، وهو مذهب قديم، ومنهج سابق، وفق الله له المقربين، وقد تحمل بهذا المذهب كثيرون من الصحابة فى عصر رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وهم أهل الصفة من أئمة الصحابة كأبى ذر ﵁، وصهيب، وسلمان، وسعيد بن خزيمة، والعبادلة، وبلال، وأبو رافع مولى رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، ورضى الله عنهم أجمعين.

ولولا أن اللفظ مضبوط بالرواية لقلت: إنه صُفِّىْ نسبة إلى أهل الصفة الذين أقبلوا بكليتهم على الله ورسوله ﴿ﷺ وآله﴾ مجاهدين أنفسهم فى ذات الله.

الصوفية :

هم الذين صفت قلوبهم من شوائب الكون، وتطهرت نفوسهم من رجس الشهوات، وتعلقت هممهم بالله تعالى ففنوا عن كل ما سواه، ووجهوا وجوههم شطره، لم تحجبهم الكائنات عن شهود مبدعها، ولم تشغلهم الآيات الجلية عن فهم إشاراتها وذوق معانيها، هم عبيد الله السائرون على منهج نبيه ﴿ﷺ وآله﴾، وهم الذين تلقوا أسرار التوحيد وأنوار الحكمة بقلوب واعية ونفوس صافية عن العلماء العارفين بالله، ورثة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾.

وصف رجال التصوف :

وهم فى كل عصر وزمان أئمة الهدى، وسرج الدلالة، ومصابيح الظلمة، وهم أهل

الله الذين فرغت قلوبهم مما سواه، وصفت لطائف قلوبهم، فأشرفت على الملكوت الأعلى، وظفروا بأسرار العلوم وحقائق الفهوم، وهم المحدثون الذين أخبر رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ عنهم الذين تتلقى قلوبهم عن ربهم، وهم الذين أمرهم رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بأن يستفتوا قلوبهم لصفائها وإن أفتاهم المفتون، ولكنهم قليل، وقد دخل فيهم الدخيل من المتمصوفة، ولكن ماء ولا كصدى، ومرعى ولا كالسعدان، فالمخلصون تسبق أنوارهم أقوالهم، وتهجم أحوالهم على القلوب فتجذبها لعلام الغيوب.

موضوع علم التصوف وأهله:

حد علم الباطن وحقيقته المصطلح عليه بأنه هو علم التصوف: فهو علم يعرف منه أحوال النفس فى الخير والشر، وكيفية تنقيتها من عيوبها وآفاتها، وتطهرها من الصفات المذمومة، والرذائل والنجاسات المعنوية التى ورد الشرع باجتنابها، والاتصاف بالصفات المحمودة، وهى الصفات التى طلب الشرع تحصيلها، وكيفية السلوك والسير إلى الله تعالى والفرار إليه.

فائدته وثمرته:

هى النجاة فى الآخرة، والفوز برضا الله تعالى، ونيل سعادة الأبد.

موضوعه :

الباطن أعنى القلب من ناحية ما يعرض له من اللمحات، والخواطر، والهواجس، والوساوس، والعلوم، والنيات، والقصود، والعزائم، والاعتقادات، وحديث النفس، وغير ذلك.

مسائله :

الأحكام المتعلقة بهذه الخواطر، والهواجس، والنيات، والقصود، والعزائم، وسائر

أحوال النفس.

جلالة هذا العلم :

جلالة هذا العلم وشرفه وعظم قدره وبيان أن أهله هم الصفوة من بنى آدم بعد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

اعلم: أن علم الباطن هو علم طريق الآخرة، وهو العلم الذى درج عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهو العلم الذى لم يبعث الله الأنبياء إلا لأجله، وقد سماه الله تعالى فى كتابه فقهاً وعلماً وضياءً ونوراً وهدى ورشداً، وهو مستخرج من القرآن والسنة، ومدلول عليه منهما نصاً وتصريحاً وتلويحاً وكتابة وإشارة وغير ذلك من أصناف الدلالة.

قال الغزالى: علم الباطن هو علم يقين المقربين، وثمرته الفوز برضا الله تعالى ونيل سعادة الأبد، وتزكية النفس وتطهيرها، وتنوير القلب وصفاؤه، بحيث يكشف بذلك النور أموراً جليلة، ويشهد أحوالاً عجيبة، ويعاين ما عميت عنه بصيرة غيره من المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى، وبصفات الله التامات وبأفعاله وحكمته فى خلق الدنيا والآخرة، والمعرفة بمعنى النبوة والنبى، ومعنى الوحى، ومعنى لفظ الملائكة، والشياطين، وكيفية معاداة الشياطين للإنسان، وكيفية ظهور الملك للأنبياء، وكيفية الوحى والمعرفة بملكوت السموات والأرض، وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين، ومعرفة الفرق بين لمة الملك، ولمة الشيطان (اللمة: الأتباع والرفقاء)، ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب، ومعرفة معانى المتشابهات ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (العنكبوت: ٦٤)، ومعنى لقاء الله تعالى والنظر إليه، ومعنى القرب منه والنزول فى جواره، ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملك الأعلى، ومرافقة الملائكة والنبيين، ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدرى فى جو السماء، كما ورد ذلك فى صحيح البخارى، إلى غير ذلك مما يكثر شرحه ويطول تفصيله.

وهذه هى العلوم التى عناها نبى الرحمة ﴿ﷺ وآله﴾ الذى لا ينطق عن الهوى بقوله: (إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى) [رواه أبو منصور الديلمى عن أبى هريرة].

امتزاج علم الفقه بعلم التصوف :

وكان اسم الفقه فى الزمن الأول يطلق على علم طريق الآخرة، ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال، وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة الذى أشار إليه الحق بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة: ١٧)، وأشار إليه نبيه ﴿ﷺ وآله﴾ بقوله: (إن الله أعد لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) [رواه الشيخان]، إلى غير ذلك من دقائق علم القلب، وإنما أرباب العلم الظاهر تصرفوا فى هذا اللفظ بالتخصيص والقصر لا بالنقل والتحويل، كما تصرف أهل العرف فى لفظ الدابة، ويدلك على هذا قوله تعالى: ﴿ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ ﴾ (التوبة: ١٧٢)، وما به الإنذار والتخويف هو المتعلق بإصلاح القلب واستقامته، والفقه الذى به تزكية النفس وتطهيرها دون تعريفات السلم والبيع والإجارة والطلاق، فإن ذلك لا يحصل به إنذار وتخويف، ولا ينجى النفس من مهلكاتها، ولا يخلصها من ورطاتها.

قال السادة الأئمة أرباب البصائر، وأهل اليقين: المعرض عن علم طريق الآخرة وما به النجاة والفوز مع إقباله على العلوم الظاهرة والعمل بها أيضاً يعلم ظاهراً من الحياة الدنيا، وهو عن الآخرة من الغافلين.

وعلماء الآخرة يدورون مع الأعمال الظاهرة بتطهير الباطن، وقطع مواد الشر والآفات والأمراض بإفساد منابتها، وقلع مغارسها وهى فى القلب.

قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (ألا إن فى الجسد لمضغة إذا صلحت صلح الجسد

كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب) [أخرجه البخارى].

أهل التصوف هم الصفوة :

أما بيان أن أهل العلم بالله وبطريق الآخرة هم الصفوة من بنى آدم بعد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام فنقول: إن أرباب هذا العلم، هم الذين ورثوا علوم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، واقتفوا آثارهم، وسلكوا طريقهم فرفضوا الدنيا، وفرغوا عنها، واجتهدوا فى جهاد أنفسهم، قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (العنكبوت: ٦٩)، وصبروا على مرارة الطريق ومشاق السير فكابدوا وحشة الطريق، وصبروا على وعثاء السفر حتى وصلوا إلى مقصودهم وظفروا بالقرب من معبودهم، فهم الفارون إلى الله عندما سمعوا أمره بالفرار بقوله تعالى: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ (الذاريات: ٥٠)، وهؤلاء هم عباد الصحابة وزهادهم من أهل الصفة وغيرهم من التابعين وتابعيهم، فمن الصحابة حارثة وحذيفة وسلمان وبلال وأبو بكر وعثمان وعلى وغيرهم، وهم قريب من ألف عارف، زهاد عباد قائمون لله بالعبودية باذلون له حقوق الربوبية، ومن التابعين: على بن الحسين زين العابدين وابنه محمد الباقر، وجعفر الصادق وأويس القرنى والحسن البصرى وغيرهم من كُمَّلِ الرجال عليهم رضوان الله، ومن أراد أن يطلع على أكثر من ذلك فعليه بالمطولات.

بداية فقهية ونهاية صوفية:

واعلم أن الصوفية دخلوا مع الفقهاء المفسرين والمحدثين والمتكلمين فى علومهم فسمعوا الحديث، ونظروا فى الأحاديث، وقرأوا القرآن، واشتغلوا بتدبره ونظروا فى أصول الدين، وعلم الفقه، فالبداية فقهية والنهاية صوفية، ومن لم يبلغ من الصوفية مبلغ الفقهاء وأصحاب الحديث، ولم يحط بما أحاطوا به فإنه يرجع فيما وقع له من المسائل إلى العالمين بأحكام أفعال الجوارح الظاهرة، وهم أصحاب العلوم الظاهرة،

والصوفية يلزمون أنفسهم بالأخذ بالأغلظ والأشق، ثم إنهم خصوا مع ذلك بعلوم عالية، وأحوال شريفة، ومقامات رفيعة، فتكلموا فى علوم المعاملات، وعيوب النفس، وآفات القلب، وشريف المقامات مثل اليقظة والتوبة والزهد والخشية، والمراقبة واليقين والشرك الخفى والعوارض، والأذكار وتجريد التوحيد ومنازل التفريد، وغير ذلك فهم حماة الدين وأنصاره وأعوانه، وهم ورثة الأنبياء: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر: ١٨).

أول التصوف علم، وأوسطه عمل، وآخره موهبة، فالعلم يكشف عن المراد، والعمل يعين على المطلوب، والموهبة تبلغ غاية الأمل.

طبقات أهل التصوف:

أهله ثلاث طبقات، طبقة مريد طالب، ومتوسط سالك، ومنتهى واصل، فالمريد صاحب وقت، والمتوسط صاحب حال، والمنتهى صاحب نفس، وعد الأنفاس من أفضل الأشياء عندهم، فالمريد الطالب متعب فى طلب المراد، والمتوسط السالك مطالب بآداب المنازل، وهو صاحب تلوين، لأنه يترقى من حال إلى حال، وهو فى الزيادة، والمنتهى الواصل محمول قد جاوز المقامات وهو فى محل التمكين لا تؤثر فيه الأهوال، فمقام المريد المجاهدات، والمكابدات، وتحمل المشاق، وتجرع المرارات، ومجانبة الحظوظ، ومقام المتوسط ركوبه الأهوال فى طلب المراد، ومراعاة الصدق فى الأحوال واستعمال الأدب فى المقامات، ومقام المنتهى الصحو، وإجابة الحق من حيث دعاه، قد استوى فى حقه الشدة والرخاء، والمنع والعطاء، والعافية والبلاء، قد فنيت حظوظه، باطنه مع الحق وظاهره مع الخلق، وكل ذلك منقول معلوم مشهور من أحوال النبى ﴿ﷺ وآله﴾، وحركاته وسكناته فى ابتداء أمره، ومن أحوال الصحابة والعلماء الحكماء أرباب البصائر واليقين، مثل حارثة وبلال وصهيب وسلمان وغيرهم من أصحاب الصفة، وأصحاب البيعة، والخلفاء، والمهاجرين، والأنصار.

كان النبى ﴿ﷺ وآله﴾ قبل نزول الوحى عليه وبعده مختلياً فى غار حراء، ثم صار مع الخلق ولا فرق عنده بين الخلوة والجلوة، كذا أصحاب الصفة، صار جماعة منهم بعد التمكين أمراء، لأنهم تمكنوا من الإيمان بالله والمعرفة والإخلاص له، فلم تؤثر المخالطة بالخلق فيهم، ولا فى أحوالهم، وهذه أحوال المشايخ من بعدهم.

ظاهر التصوف وباطنه :

والتصوف له ظاهر وباطن، فظاهره: استعمال الأدب مع الخلق بالأخلاق الحسنة معهم، وباطنه: منازلة الأحوال والمقامات مع الحق، فالظاهر علامة الباطن، والباطن حقيقة الظاهر، ألا ترى لقوله ﴿ﷺ وآله﴾ لما نظر إلى المصلى وهو يعبث فقال: (لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه) [أخرجه الحكيم الترمذى فى النوادر]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (الحجرات:٣).

وإلى هنا نكتفى بما فصلناه من تعريف علم التصوف، وشرح فضل أهله، وإن كان محتاجاً إلى بسط وإطناب، ولكنى أوجزت لأن المؤمن يكفيه قليل الحكمة.

التداوى والادخار لا يتعارضان مع التوكل

أولاً : التداوى

نظر الإمام ﷺ إلى التداوى تحققاً من اسم الله تعالى: (الشافى العافى)، وتوكلاً صادقاً فى الأخذ بأسبابه، فهو سبحانه الذى خلق الداء وخلق الدواء، وقد استهدى فى ذلك بحديث رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ حينما سئل عن الدواء والرقى: هل يرد من قدر الله؟ فقال: (هى من قدر الله) [رواه الترمذى]، ومعنى ذلك أنه سبحانه أنزل الداء وأنزل معه الدواء، فإذا أصيب المتوكل، وجب عليه أن يبحث عن دوائه، فهذا أمل للمتوكل، لأنه السنة العملية والقولية.

وقد عاب الإمام على بعض المتوكلين الذين يرون أن التداوى قدح فى التوحيد، بل يرى عكس ذلك وهو أنه من التوحيد لأن المريض- كما سبق- يشهد فى الدواء سر اسم الله الشافى العافى.

ومن حديث الإمام أبى العزائم عن التوكل يتبين الملاحظات التالية:

١ - فهمه لمدلول التوكل وحقيقته من خلال آيات القرآن المجيد وما جاء عن الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ فى التوكل، وقد أدى ذلك إلى الاعتدال فى كل جوانبه، فجاء حديثه سهلاً ميسوراً يجذب السالك إلى العمل بمقام التوكل.

٢ - ناقش فى هذا المقام، قضيتين من أهم القضايا التى يود أن يتعرف عليها كثير من الناس، ويعرفون موقف السلف الصالح منها، وقد بين موقف السلف الصالح منهما عندما قسم المتوكلين إلى ثلاثة أنواع، فرغب فى النوع الأول وهو توكل رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ومن تبعه من أصحابه والتابعين، وهو النوع الذى يفضل فيه السعى على طلب العيش ثم التوكل على الله تعالى.

٣ - عالج فى مقام التوكل قضية التداوى وبين أنه لا يقدح فى التوكل على الله، بل رأى عكس ذلك عندما ذهب إلى أن التداوى فيه إعلان وتحقيق سر اسم الله الشافى.

وبالجملة فإن نظرته اتسمت باليسر والاعتدال فى الحديث عن التوكل وذلك لأنها مستنبطة من الكتاب والسنة، وقد ساعد ذلك أن يكون حديثه قريباً إلى النفوس، ومساعداً على تحقيق هذا المقام عند كل مسلم قبل أن يكون متحققاً عند كل مريد.

ناقش الإمام أبو العزائم عليه السلام فى مقام التوكل قضيتين من أهم القضايا التى أثيرت حول هذا الموضوع وهما: التوكل والادخار، والتوكل والتداوى، وقد ذهب الإمام أبو العزائم عليه السلام إلى ما ذهب إليه المكى فى كل من القضيتين، وهو جواز الادخار والتداوى، ولا يقدح ذلك فى حقيقة التوكل عند السالك.

ثانياً : الادخار

ويبين الإمام أبو العزائم عليه السلام فى الادخار أن المتوكل فى ذلك إما أن يكون ذا عيال أو منفرداً، فإن كان منفرداً يصبح الادخار حسناً له إذا ادخر مالاً أو طعاماً أو ملبساً، بعد إخراج ما له من فرض ومندوب، ويرى أن ادخاره هذا خزانة لله تعالى، وهو خليفة الله على خزانته، ينفق منها إذا أمره مالك السموات والأرض، أى أن ما يدخره المسلم من مال وملبس وغير ذلك يعتبره من خزائن الله تعالى التى ينفق منها حين يحتاج المدخر أو يحتاج إخوانه من المسلمين، وهذا يحقق المنفعة للمدخر وللمسلمين جميعاً، وخاصة إذا تعرض المدخر أو غيره من المسلمين لأمر جلل قد يطيح به أو بدينه وما أكثر هذه الأمور التى تعترض المسلم.

وهو لا يميل إلى هذا الادخار الذى يؤدى إلى البخل والشح فتصعب الحياة على الأهل والأولاد، وإنما يجب أن يكون الادخار وسطاً فلا يمتد إلى الإسراف، ولا يمتنع صاحبه عن نفسه فيكون من المقصرين فى حقها وإنما يكون وسطاً بين ذلك، وهذا هو الاعتدال.

واستشهد على ذلك بقول الله تعالى: ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً ﴾ (الإسراء: ٢٩)، فنهانا الله تعالى عن كل البسط الذى ينفذ به كل ما فى أيدينا، وعمل رسول الله هو الحجة البالغة والمحجة الواضحة فقد ادخر ﴿ﷺ وآله﴾ لأهله قوت سنة، وانتقل إلى الرفيق الأعلى وله ثوبان ينسجان.

واتخاذ الإمام أبى العزائم رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ قدوة فى الادخار جعله من المعتدلين فيه، وليس من المسرفين أو المقترين، وهذا ما يجب على كل مسلم أن يقوم به.

خدع أهل الطرق الصوفية

تميز هذا العصر بانتكاسة لعلم التصوف، حيث تعرض كسائر العلوم الأخـــرى إلى ظهور أفكار منحرفة، وظواهر غريبة كالدجل والشعوذة والتواكل وتـــرك التســـبب، وتصدر للمشيخة من ليس لها أهلاً من علم وتقوى وعرفان، الأمر الذى دعا الإمام أبا العزائم إلى الغيرة والتنبيه على هذه الأخطاء والانحرافات فيما يلى:

١ – ما يزخرفونه لأهل التسليم من أن فلاناً من الأوليـــاء ينفـــع ويضر:

لأهل النفوس الخبيثة تأثير على أهل التسليم من الصبيان والنساء والأتقيـــاء مـــن الرجال، ممن صفت جواهر نفوسهم، وظنوا أنه لا يوجد من المســـلمين مضـــل ولا خبيث، فينخدعون لأول عارض يعرض لهم من ضال جمل ظاهره للخلق ممن قـــال الله تعالى فيهم: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ (المنافقون: ٤)، وقال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نبيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإنسِ وَالْجِـــنِّ يُـــوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً ﴾ (الأنعام: ١١٢)، فـــأعظم خـــدعهم مـــا يزخرفونه لأهل التسليم مما يوهموهم به فيبتدئوهم بذكر ولى مشهور ويثبتون له أشياء بزخرف كلامهم، حتى يعتقد أهل التسليم أن فلاناً من الأوليـــاء يضـــر وينفـــع، ثم يستدرجوهم إلى أن يتمكنوا من قلوبهم فيتصرفون فى أموالهم ويلعبون بعقائدهم، فتارة يمنعوهم عن الحق، وتارة يأمروهم بالباطل، والقلوب صاغية والأبدان لينة، وكم أضل الضلال بأهل المقامات العلية من أفراد الوجود أمماً، هذا سيدنا عيســـى عليه السلام الـــذى غضب عندما ناداه رجل: أيها المعلم الصالح، فقال: أنا لست المعلم الصالح!! المعلـــم الصالح هو الله. كيف جعله إلهاً يعبد من دون الله لأربعمائة مليون من الناس، وانظـــر إلى اللعين إبليس لعنة الله عليه كيف زخرف القول لآدم فأخرجه من الجنة.

٢ – ما يزخرفونه لأهل السلوك من مدح كل فريق الولى الـــذى يتبعه والتعصب له:

وكم ترى السالكين من المسلمين فى أرقى مقامات التسليم يعلمون أن عداوة الأخ المسلم ضلالة، يعادون بعضهم للتعصب لولى من الأولياء، وكم بـــين أهـــل الطـــرق المختلفة من خصومات لا تكون إلا بين المختلفين فى الدين، قـــال الله تعـــالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ (الأنعام: ١٥٩)، وما تفـــرق أهل السلوك المسلمين على بعضهم إلا من زخرفة أهل الضلالة لهم، ومدح كل فريق الولى الذى يتبعه ليدوم إقبال جل الخلق عليهم وهم دعاة إلى جهنم نعوذ بالله منـــهم. وكم أبعدوا قلوب المسلمين عن الله تعالى وعن رسوله ﴿ ﷺ وآله﴾ وعن الحق وعـــن الصريح البين، وأولياء الله برآء منهم كما تبرأ المسيح من أعدائه الذين جعلوه إلهاً.

٣ – ما يترنمون به بألحان شجية بمواجيد أهل الصدق:

ومن خدعهم أن يحفظوا مواجيد أهل الصدق ممن وقع بهم العلم عن عين الـــيقين، وهجمت عليهم صولة الحق فأفنتهم عنهم بالحق، فيترنمون بألحان شجية بتلك المواجيد أمام النفوس الطيبة الطاهرة، ومعلوم أن السماع كما قررنا من أكمل أنواع تزكيـــة النفوس، فإذا أصغت الآذان إلى تلك المعانى القدسية بالألحان الشجية زكت الـــنفس، وقبلت وأحبت من تغنى ورسمه الخيال فقلده تقليد الأعمى، واتسع القلب فتقبل، فإذا دامت تلك النغمات على النفس ربما أفسدت القوة المدركة فحصل الخلل فى التوازن، فجعل للسامعين زيغ عن الحق، فيظنون أنها أحوال سامية، وأنوار عالية، ويقرون الناس بهذا وهم ضلال.. أعاذنا الله منهم.

٤ – إيهامهم لأهل التسليم أن الجن يحضرون مجالسهم:

ومن خدعهم أن يصنعوا نفيراً من الورق يطوى على بعضه ويطول عند اللـــزوم،

فيختفون فى خلوة ويتكلمون فيه بأصوات مختلفة فيسمعه الجالسون من بعد ويوهموهم أن الجن يحضرون مجالسهم، وهى خدع تقبلها النفوس الطاهرة المفكرة بعد أن تختل قوى التوازن بالمقدمات السابقة.

٥ – إيهامهم لأهل التسليم أن يرسلوا لهم هواتف:

ومن خدعهم أنهم يوهمون الناس أن يرسلوا لهم هواتف، ويقوم دعاتهم الضالون فيوهمون المسلمين بتلك الأوهام، والعقيدة قوية على القلب فتجعل محاكاة الأصوات فى الآذان فيظن السالك أن هذا كلامهم، وهم بعيدون عنه ويتخيل لهم معانى اقتضاها الحال.

٦ – إيهامهم لأهل التسليم أن من علامات القبول أذية الناس:

ومن خدعهم أنهم يوهمون المسلمين أن من علامات القبول أذية الناس وإنكارهم عليهم بخروجهم عن جادة الطريق المستقيم، ويوهموهم أن ذلك حصل للأنبياء والأولياء. نعوذ بالله من خدعهم فإن ذلك حصل للأنبياء حال دعوتهم إلى الحق وقيامهم بما أمر سبحانه، وحصل للأولياء حال تجديدهم لسنة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ومعاداة الأمراء المخالفين للسنة، أما اللوم على مخالف السنة فهو من أكمل السنن المحمدية قال ﴿ﷺ وآله﴾: (اذكر الفاسق بما فيه يحذره الناس) [رواه ابن أبى الدنيا وابن عدى والطبرانى والخطيب وأبو يعلى]، وقال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (لا تزال طائفة من أمتى قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله) [رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى].

٧ - إيهامهم لأهل التسليم أنهم أبدال الأولياء وأبوابهم والعارفون بمقاماتهم:

ومن خدعهم أنهم يوهمون المسلمين أنهم أبدال الأولياء وأبوابهم والعارفون بمقاماتهم، والنفوس الطاهرة مشتاقة إلى القرب من الله والوصول إلى حضرة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وإلى نيل السعادة بصحبة الوارث لرسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، فيتبعون هؤلاء الضلال طمعاً فى نيل هذه الخيرات، وهم يعتقدون أنهم على الحق حقاً. ولما كان الله تعالى سبق فى أزله العناية بأمة حبيبه ومصطفاه لم يجعل للباطل سلطاناً على أمة حبيبه ومصطفاه، فلا يلبث هذا الباطل إلا ريثما يظهر الحق وتتضح للسالكين الحقيقة فينيبون إلى الله تائبين.

٨ - المتصوفة هم خلف الخوارج :

ومن قرأ تاريخ الخوارج وما كانوا يزخرفونه من القول حتى حاربهم أمير المؤمنين سيدنا علىّ بن أبى طالب، فجمعوا عليه جموعاً وحاربوه، ورموه بالكفر والضلال، ولا يزال قرن الشيطان فى كل زمان ومكان، لأن إبليس لعنة الله عليه أخبر الله عنه فقال: ﴿ لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ {١٦} ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ﴾ (الأعراف: ١٦). أعاذنى الله وإخوانى المؤمنين من الشيطان الرجيم ومن أعوانه من الإنس والجن.

٩ - ما يأمرون به أهل التسليم من ترك العلم والتعليم والوظائف والرواتب بل وترك الأعمال الشرعية:

ومن خدعهم أن يأمروا المسلمين بالرياضات النفسانية لينالوا غرضاً من أغراض

الدنيا، فينقلون من الإيمان إلى الشرك، وتكون عباداهم لغرض سافل، ومنهم من يأمر تلاميذه بترك العلم والتعليم وترك الوظائف والرواتب بل وترك الأعمال الشرعية موهماً أن ذلك يحجب عن الأنوار، ونعم فإنه يحجب عن الأنوار الإبليسية، وقد رأيت رجلاً فى آخر صعيد مصر ازدحم عليه الطلاب لا شغل له إلا شرب التبغ، وسألت أحد أتباعه لِمَ لم تصل على النبى ﴿ﷺ وآله﴾؟ فقال: إن صليت عليه ذهب نورى.

وانصرف إلى شيخه فأعطاه عصا طويلة وقال: امض بتلك العصا واسلب حاله، فجاءنى وأنا جالس مع بعض أهل العلم فى أسوان ووقف أمامى بالعصا وتمتم بكلمات، فاسترسلت فى مذاكرتى حتى انتهيت منها، ثم نظرت إليه ففهمت خبث نفسه فقلت له: ﴿ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾ (الإسراء: ٨١)، فصدرت الكلمة إلى نفس خبيثة ذات همة فسقطت العصا من يده وجلس على الأرض ودنا منى فأسمعته بعض آى القرآن الكريم وشرحت له معناه، فتاب إلى الله وأقبل عليه سبحانه، وأخبرنى أن شيخ شيخه بمصر وأنهم يتركون الأعمال الشرعية ليزيد حالهم فتحققت قوله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً ﴾ (مريم: ٧٥)، وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) [رواه البخارى ومسلم وابن ماجة]. وسألت الله تعالى أن يحفظ المسلمين جميعاً من دعاة الجهالة إنه مجيب الدعاء.

١٠ – ادعاؤهم علم الكيمياء والآفاق، وفتح الكنوز وفك الرموز:

وكم لهم من خدع يستعملوها لكل نفس بحسب ما تميل إليه، فمنهم من يدعى علم الكيمياء والآفاق، ومنهم من يدعى فتح الكنوز وفك الرموز، ولما كان الصبيان والنساء وأهل التقوى من الرجال أشوق إلى الحق وأقرب إلى التسليم كان تأثيرهم على هؤلاء أكثر، وكم يظنون أن هذا حال، وحقيقة الحال قهر النفس على ما لا يلائمها وعمل عظائم الأمور فى طاعة الله مما لا يتحمله إلا أهل العزائم كالخروج من الأسباب ثقة بالله، وكبذل ما فى يده للطيور والكلاب والفقراء واشتغاله بواجب الوقت مع تألمه

من العمل، وخروجه من المعتاد له كهجر النساء وترك ملاذ المأكل والمشرب والمنكح، وكابتذاله بين الناس بعمل المهن الدنيئة ليصغر فى عين الناس، وكالمبالغة فى صلة الرحم وبر الوالدين وإكرام الجار وإكرام الضيف، وكالصبر على عظائم الأمور، والرضا عن الله فى كل مقدور، ومراعاة الأدب الكامل فى كل معاملاتـــه القلبيـــة والجســـمية، والإحسان إلى المسئ فطرة، وصلة من قطعه عزيمة، والمسارعة إلى تأليف القلوب وإزالة الشحناء منها، والتجمل بمحاسن الأخلاق المحمدية، وحفظ الجوارح من الغفلة فى كل أنفاسه وسيره على الصراط المستقيم الذى هو أدق من الشعر وأحد مـــن الســـيف، واستواء الناس فى نظره لا فرق بين غنيهم وفقيرهم، وحبهم جميعاً لله وبغض من يبغضه الله، فيحب الطائع ولو حرمه وخاصمه، ويبغض العاصى ولو أطاعه وأكرمه، ويخاف الله فى خلقه، ولا يخاف الخلق فى الله، ويحب الله فى الخلق، ولا يحب الخلق لغير الله.

هذه أحوال أهل العزائم وليس منها ما يدعيه أهل الجهالة.

أهل البدع

ما الحكم على أهل البدع من دعاة السلفية وأدعياء الصوفية ؟

معلوم أن الحكم على أهل الفساد فى الدنيا أن يقتلوا كالحكم على المحاربين والخوارج، والإفساد فى الدنيا أقل من الإفساد فى الدين، والحكم على أهل البدع المضلة الذين ينكرون ما علم من الدين بالضرورة، مثل إنكارهم أن الله كلم موسى تكليماً، أو إنكار الإسراء، أو إنكار الوسيلة التى هى التقرب إلى الله تعالى اقتداء بمن يحبه المنعم سبحانه، وقياماً بما يحبه جل جلاله من الجهاد فى سبيله، ومن الأخذ بالعزائم فى دينه.

فالحكم على أمثال هؤلاء أن يستتابوا، فإن تابوا ورجعوا فإخواننا، وإن لم يتوبوا ولم يرجعوا عن مذهبهم المضل- خصوصاً إذا أوقعوا العداوة والبغضاء بين المسلمين- كان الحكم عليهم بالقتل.

ومن تلك البدع القول بالحلول أو بالإباحة، أو القول بإنكار ما خص الله به رسله عليه الصلاة والسلام بعد بيان القرآن لما تفضل الله به عليهم، قال تعالى لحبيبه ومصطفاه سيدنا محمد ﴿ ﷺ وآله﴾: ﴿ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً ﴾ (الإسراء: ٧٩)، وقال سبحانه: ﴿و لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ (الضحى: ٥)، وقال عن موسى عليه السلام: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ (النساء: ١٦٤)، وقال فى حق عيسى بن مريم: ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ (النساء: ١٧١)، وما أشبه ذلك من الآيات التى يجب التسليم لها والإيمان بها.

وقد حكم الله تعالى على قوم من أهل الجهالة فى قوله: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (الإسراء: ٨٥)، وقال سيدنا علىّ رضي الله عنه لابنه الحسن رضي الله عنه: يا بنى كل ما جهلت إلى جهلك الأول. يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً ﴾ (النحل: ٧٨).

وعندى أن تلك البدع المضلة فتحتها الشياطين على المسلمين بأبواق المضلين، الذين يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، وعلة ذلك الرفعة فى تلك الدار الدنيا، وإكبات الخصوم ولو كانوا على الحق، وتحصيل المشتهيات كما ورد فى الحديث: قال ﴿ﷺ وآله﴾: (ملعون ملعون ملعون، قالوا من يا رسول الله؟ قال: من طلب الدنيا بعمل الآخرة) وقد بين الله تعالى لنا بقوله سبحانه: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ {١٧٥} وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ (الأعراف: ١٧٥ – ١٧٦).. وسبب نزول هذه الآية خاص وحكمها عام، لأنها خبر عن بلعام بن باعوراء مع الكليم عليه السلام.

فليحذر كل مسلم من مؤاخاة أهل البدع، أو التقرب إليهم بمساعدة أو بزواج ولا بالجلوس معهم، قال الله تعالى: ﴿ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنعام: ٦٨)، أى: الذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله أو بمخالفة إجماع الأمة، وقد فصل الحكم على هؤلاء القاضى عياض فى (كتاب الشفا) نقلاً عن الأئمة الثقات.

رأى القاضى عياض فى أهل البدع :

أما من أضاف إلى الله تعالى ما لا يليق به، ليس على طريق السب والردة وقصد الكفر، ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ المفضى إلى الهوى والبدعة، من تشبيه أو نعت بجارحة أو نفى صفة كمال.

فهذا مما اختلف السلف والخلف فى تكفير قائله ومعتقده، واختلف قول مالك وأصحابه فى ذلك، ولم يختلفوا فى قتالهم إذا تحيزوا لفئة، وأنهم يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا، وإنما اختلفوا فى المنفرد منهم، فأكثر قول مالك وأصحابه ترك القول بتكفيرهم، وترك قتلهم، والمبالغة فى عقوبتهم وإطالة سجنهم، حتى يظهر إقلاعهم وتستبين توبتهم، كما فعل عمر رضي الله عنه بصبيغ.

وهذا قول محمد بن المواز فى الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون فى جمع أهل الأهواء، وبه فسر قول مالك فى الموطأ، وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم فى القدرات: يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا.

وقال عيسى بن القاسم فى أهل الأهواء من الأباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من أهل البدع والتحريف فى تأويل كتاب الله: يستتابون أظهروا ذلك أو أسروه، فإن تابوا وإلا قتلوا وميراثهم لورثتهم.

وقال مثله أيضاً ابن القاسم فى كتاب: (محمد فى أهل القدر وغيرهم) قال: واستتابتهم أن يقال لهم: اتركوا ما أنتم عليه، ومثله فى المبسوط فى الأباضية والقدرية وسائر أهل البدع، قال: وهم مسلمون، وإنما قتلوا لرأيهم السوء. وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز.

قال ابن القاسم: من قال إن الله لم يكلم موسى تكليماً استتيب، فإن تاب وإلا قتل، وابن حبيب وغيره من أصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير أمثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة، وقد روى أيضاً عن سحنون مثله، فيمن قال: ليس لله كلام، أنه كافر.

واختلفت الروايات عن مالك، فأطلق فى رواية الشاميين أبى مسهر ومروان بن محمد الطاطرى الكفر عليهم، وقد استشير فى زواج القدرى فقال: لا تزوجه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ ﴾ (البقرة: ٢٢١).

وروى عنه أيضاً: أهل الأهواء كلهم كفار، وقال: من وصف شيئاً من ذات الله تعالى وأشار إلى شئ من جسده كيد أو سمع أو بصر، قطع ذلك منه لأنه شبه الله بنفسه، وقال فيمن قال القرآن مخلوق: كافر فاقتلوه، وقال أيضاً فى رواية ابن نافع: يجلد ويوجع ضرباً، ويحبس حتى يتوب.

والرأى عندى لسد باب الذرائع :

يبين هنا ما يخفى على كثير، من أنواع الخروج على حدود الشريعة التى لابد من العلم بها، ومتى يحكم على المسلم إذا ارتكب تلك الأنواع بالكفر، أو الكبيرة، أو الفسق، أو الضلال، أو البدعة السيئة، أو الغفلة، أو البهتان.

أولاً : الكفر

لا يحكم على مسلم بالكفر شرعاً، إلا إذا خرج مما دخل به فى الإسلام وهو إنما دخل الإسلام بتوحيد الله تعالى، وتصديق رسوله ﴿ﷺ وآله﴾، والإيمان بما أخبر به القرآن من أخبار القيامة والرسل عليهم الصلاة والسلام. أو إذا أنكر فرائض الله تعالى ونواهيه مما علم من الدين بالضرورة.

ومن كفر مسلما بفعل الكبائر، أو بعمل زائد عما جاء فى السنة من نوعها بنية ذكر الله، يجب أن نقهره على أن يتوب أو نهجره فى هذا الزمان، والكفر والإيمان من أعمال القلوب، فليس لأحد أن يحكم على أحد بالكفر إلا إذا تظاهر به شرعاً.

ثانياً: الكبيرة

هى كل قول أو عمل توعد الله تعالى فاعله أو قائله بالنار، وهى سبع عشرة كبيرة محصورة فى كبائر القلب واللسان وباقى الجوارح، وتفصيلها كما بينتها فى كتابنا (شراب الأرواح) ولكنا لا نخلى هذا الكتاب من فائدة، ولو بالإشارة إلى قليل من كثير:

١ – كبائر القلب :

أ) وأكبرها الشرك، وهى الكبيرة التى يخلد الله مرتكبها فى النار ويحكم عليه بالكفر، وهو أن يتخذ لله ولداً أو نداً أو صاحبة أو شريكاً.

ب) الإصرار على المعصية فى نفسه أو فى غيره، بإقرار مرتكب الكبيرة من غير أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر، وهذا مرض من أمراض النفس يدعو إليه جهل المرء بنفسه مع عمى بصيرته، حتى يحرم مراقبة الله تعالى ومحاسبة نفسه، فيغضب الله تعالى بعمل ما تدعو إليه شهوته وحرصه، غير هياب ولا وجل مما توعد الله به مرتكبى الكبائر، غير قابل النصح من النصوح، أو أنه بين فئة جهلوا ما يجب على المسلم.

وتكون تلك الكبيرة شنيعة جداً إذا كان المصر على الكبيرة يفرح بوقوعها من غير أن يراه أحد، ناسياً من لا تخفى عليه خافية، وغافلاً عن التحرز من الشيطان الذى أخبرنا الله عنه بقوله: ﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ ﴾ (الأعراف: ٢٧).

والإصرار على الكبيرة يسرع بنقمة الله من العبد، فالمصر على السرقة يصاب بالفقر والذل، والمصر على الزنا يصاب بمرض جلدى أو تناسلى والفقر والعياذ بالله، والمصر على شرب الخمر يتمزق كبده، والمصر على تعاطى ما يقوى الجماع يصاب بالسل الرئوى وبارتخاء المجموع المنوى.

ج) القنوط، وهو فساد فى جوهر النفس يجعل الإنسان غير قابل عن الله تعالى ولا متعقل لخطابه، ويكون اعتماده على الأسباب التى جعلها الله وسطاً بينه وبين عباده، ليتعرف بها إليهم وليعرفوه جل جلاله بها، وليعرفوه ظاهراً فاعلاً مختارًا، والأسباب وسائط إذا فقدها الإنسان الجهول من صناعة أو زراعة أو تجارة أو حرفة- بسب ضعف أو غيره- يئس يأساً يبلغ ببعضهم مبلغ الانتحار، ولا يكون ذلك إلا من أهل الكفر بالله تعالى، فالقنوط هو اليأس من رحمة الله تعالى، أعاذنا الله من السلب بعد العطاء، ومن كفران النعمة وحرمان الرضا.

د) أمن جانب الله تعالى، وهو من شر الكبائر، وتعريفه هو فقد مراقبة الله تعالى ثقة بنفسه من أن يصيبه مكروه فى المستقبل، ويكون لأن النفس عنادية لا تقبل الحق لطمأنينتها من جهة المستقبل، فتقدم إقدام من لا يخاف، ولا يقع هذا إلا من أهل

الجهالة بالله تعالى وبجانب الله ووعيده، الذى توعد به أهل الضلال من المنافقين الكافرين، وهو من المكفرات التى لا نجاة منها إلا بالتوبة النصوح، لأنها من أعمال القلوب التى لا يطلع عليها إلا الله تعالى، وتظهر آثارها بعلامات ودلائل، شرها إباحة ما حرم الله، والتساهل فيما فرضه الله سبحانه وتعالى، والحرص على ما لا ينفع، والتساهل فيما ينفع.

٢ – كبائر اللسان :

أ) شهادة الزور.
ب) اليمين الغموس.
ج) قذف المسلم البالغ.
د) السحر.

٣ – كبائر البطن

أ) شرب الخمر وكل مسكر.
ب) أكل مال اليتيم ظلماً.
ج) أكل الربا مع العلم به.

٤ – كبائر الفرج :

أ) الزنا.
ب) عمل قوم لوط.

٥ – كبائر اليدين :

أ) القتل.
ب) السرقة.

٦ – كبيرة الرجلين :

الفرار يوم الزحف بغير وجه شرعى.

٧ – كبيرة الجسم كله :

كبيرة واحدة وهى عقوق الوالدين، فإن كل جزء من أجزاء الجسم عليه حق للوالدين،

فعقوقهما كبيرة لكل الجسم.

وهذه الكبائر معلومة لا تحتاج إلى بيان.

ثالثاً : الفسق

وهو النوع الثالث من الأنواع التى أشرنا إليها سابقاً، يقال: فقست الدجاجة، أى: أخرجت فراخها من البيض، وفقست الثمرة، أى: خرجت من قشرها، هذا فى اللغة.

وأما فى الشرع: فالفسق الخروج مما دخل به فى الإسلام، من جحد الصلاة أو الصيام أو الزكاة أو الحج، ومن ظلم الغير بغير وجه شرعى، ومن إباحة ما حرمه الله تعالى، أعاذنا الله من الفسق ومن أعمال الفاسقين. ومن أنواع الفسق الغلو فى الدين مع الجهالة، وفتح أبواب الجدل والخصومات باسم الدين.

رابعاً : الضلال

وله معان كثيرة فى اللغة، ونحن نتكلم عليه من حيث معناه شرعاً، أى: اصطلاحاً شرعياً، والضلال هو العدول عن الطريق المستقيم، لجهل أو بقصد قد يكون فى العقيدة والعبادة والمعاملة والأخلاق، أما فى العقيدة فتلقى العقيدة بالبحث عنها بالعلوم النظرية وهذا من الضلال، لأن تلقى العقيدة بطريقة النظر لا يوصل إلا إلى شئ واحد هو إثبات وجود الله بالدلائل التى أقامها فى مكوناته من الآيات والخصوصيات.

أما عدا ذلك من كماله وجماله وجلاله وبهائه ونوره سبحانه فقد بينه القرآن وفصله رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، بالبيان الجلى الذى لابد منه للمسلم، وعلمنا الله بقوله: ﴿ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، أى: يعلمنا من غوامض أسراره ما لم نكن نعلم بعقولنا وجوارحنا، وما على المؤمن الكامل إلا أن يتلقى ما لابد منه من العلوم التى يقوم بها عاملاً بأمره تعالى، فإن العلم بلا عمل وبال، والعمل بلا علم ضلال، ومن أضاع عمره فى الجدل والبحث والتنقيب عن خالقه ومبدعه متى يتوب

إليه بالعمل حتى يعلم ما لم يكن يعلم، وإنما العلم للعمل به، وقد أغنانا الله بالكتاب والسنة عن صرف العمر فيما لم يكلف، والعلم النافع لا يكون إلا من الله تعالى، واللسان لا يطهر القلوب، بل يطهرها علام الغيوب.

خامساً : البدعة

والبدعة ما استحدث بعد رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وهى نوعان: بدعة حسنة، وبدعة سيئة.

١ - أما البدعة الحسنة: فهى كل عمل يوافق أو ينطوى تحت ما أمر الله تعالى به أو سنه رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وكل عمل من أعمال الخير أو الإصلاح مما استحدثه الصحابة بعد رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فهو بدعة حسنة تؤيدها السنة، مثال ذلك: ما سنه عمر بن الخطاب ﷺ فى صلاة القيام جماعة بالمسجد فى شهر رمضان، فإن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ لم يسنها لنا، ولم يأمر أحداً من الصحابة بها، وإنما كان ﴿ﷺ وآله﴾ يصليها فى ليالى متفرقة ولم يدع إليها، فهذا العمل من عمر ﷺ بعد رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بدعة، ولكنها بدعة حسنة كما قال ﷺ: (نعمت البدعة)، وهو يدخل تحت قول رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة).. الحديث.

٢ - وأما البدعة السيئة: فهى كل عمل مستحدث خالف ما كان عليه رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، أو ما ورد عنه نص صريح وهو ما عناه ﴿ﷺ وآله﴾ بقوله: (وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار) وقوله ﴿ﷺ وآله﴾: (ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها).

ويقابل هذا قوله ﴿ﷺ وآله﴾: (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها) كما سن الإمام عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ الذكر فى جماعة قعوداً وقياماً، بدليل أنه صلى العيد فى صحراء خارج المدينة، ثم جلس مع الصحابة رضوان الله عليهم

يذكرون الله تعالى. فقال عروة بن الزبير ﷺ: خالفت ربك يا عبد الله، فقال: فيم يا أخى؟ فقال: قال الله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً ﴾ (النساء: ١٠٣)، وأنت تذكره قاعداً، فأسرع بالقيام وذكر مع الجماعة قائماً، فأخذ أئمة الطريق بسنته ﷺ.

وبعد أن أنزل الله سبحانه قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ (المائدة: ٣)، توسع الصحابة والتابعون فى عمل القربات، وكان بعض أئمة الصحابة رضى الله عنهم يذهبون إلى القبور، ويجلسون هناك لتحضر قلوبهم فارغة من الشواغل ومن محادثة نسائهم وأولادهم، وكما عكف عثمان بن عفان ﷺ فى المسجد وفرشه وأتم جمع القرآن، وكما ترك الصحابة رضى الله عنهم خضاب لحاهم بعد أن أمروا به لعلمهم الحكمة، وذلك لأن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ أراد أن يتميزوا عن اليهود الذين يتركون الشيب فى لحاهم، فلما نشر الدين أطنابه ودق أوتاده ترك الناس خضاب لحاهم، وكما أمرهم بزيارة القبور بعد أن نهاهم عن زيارتها.

ومن تتبع كتب السير والسنن يرى أن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ نهى عن أشياء كثيرة فى فجر الإسلام ثم أباح العمل بها لمن شاء، كل ذلك لحكمة يعلمها الراسخون فى العلم، ومن فكر فى تحريم الخمر مخففاً ثم فى تحريمه مشدداً يعلم حكمة الناسخ والمنسوخ.

فكل داع يدعو إلى الله تعالى لم يكن محيطاً بمراد الشارع فى أمره ونهيه وإباحته وحظره، يجب عليه أن يحصل العلم قبل أن يدعو غيره، حتى يكون على بينة من أمره، ومن أراد المزيد فليقرأ كتابنا: (مذكرة المرشدين والمسترشدين).

وقد فصلنا مجمل تلك الأوامر والنواهى فى كتبنا وكلها معلومة للخاصة والعامة.

ولما كان للمخالفين ما هو كالعذر بالنسبة لما يرونه من البدع المضلة المنتشرة الآن من المشعوذين الذين دعاهم الطمع الأشعبى إلى إفساد العقائد والعبادات والأخلاق، كان الأولى بهؤلاء المخالفين المنكرين، أن يجاهدوا هؤلاء المضلين والذين مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية بكل أنواع الجهاد، ويشجعوا عمار المساجد المطيعين

لأمر الله فى الصلاة والسلام على حبيبه ومصطفاه فى أى مكان وأى زمان. وسأبين فى رسالة أخرى إن شاء الله تعالى الفرق التى ذكرها ﴿ﷺ وآله﴾ فى قوله ﴿ﷺ وآله﴾: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة، وتفرقت- وفى رواية: تفترق- أمتى على ثلاث وسبعين فرقة- وزيد فى رواية: كلها فى النار إلا واحدة).

والذى عليه المسلمون المقتدون بسلفهم هو ما كان عليه رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وأصحابه، وما عليه المنكرون المخالفون الذين يلقون الشحناء والبغضاء مخالف كل المخالفة لهدى السلف الصالح، ولو تتبعنا ما عليه الناس فى هذا الزمان لقامت الحجة على صدق كلام رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾.

سادساً : الغفلة

وهو ما يغشى القلب من دواعى هم أو حظ وشهوة، فيجعل المبتلى بهذا المرض تاركاً ما أوجبه الله عليه ساهياً، وهى من أعراض أمراض النفس التى تحجب العبد عن مطالعة الغيب المصون، الذى فرض على كل مسلم أن يؤمن به تسليماً، وأكثر حصول هذا المرض لأهل النفوس اللقسة، التى جواهرها لا تقبل عن الله، ولا تعقل عنه سبحانه، فإذا سمكت غشاوة الغفلة، أوقعت فى الفسق لغفلة القلب عن وعد الله ووعيده، ومتى وقع القلب فى ظلمة الفسق، هوى به إلى سافلين القطيعة، أعاذنا الله تعالى من شر هذا.

سابعاً : البهتان

وهو إنكار الرجل قوله وعمله، أو إنكار قول الغير وعمله وعطاياه، وهو مرض يعترض القوة العضلية، لأن من معانيه الكذب والتحيز، وقد سأل رجل رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فقال: (ما الغيبة يا رسول الله؟ فقال: هو ذكرك أخاك بما يكره. فقال:

ولو كان فيه ما أقول؟ قال: نعم، فإن لم يكن فيه فقد بهته) أى: ارتكبت إثم البهتان، وهو أن تنكر قوله وعمله، أو تنسب إليه ما لم يقله وما لم يعمله.

والبهتان بحسب ما ينتج من الوقوع فيه، وقد يؤدى إلى تحقير إنسان، أو إلى فتنة تضر، أو إلى خصومة تنتج حرباً بين قوم، وبقدر تأثيره تكون العقوبة، والفتنة نائمة لعن الله من أيقظها.

أسأل الله تعالى أن يمكن لنا فى الأرض بالحق، وأن يحفظنا من الفتن المضلة، ويوفقنا للعمل بمحابه ومراضيه.

الفصل الخامس

إســـلاميــة

الإسلام والسياسة

السياسة الحقة قوة للإسلام خادمة له، ما دامت مآخذها مـن أحكامـه بحسب استنباط أهل التقوى القائمين لله بالحجة، فإن مداراة الناس سياسة، والخديعة فى الجهاد سياسة، وكشف غور الحقائق بالرأى والتدبير سياسة، واستنتاج بعض الوسائل المبلغة للقصد سياسة، كما أن كل عمل يعمله الداعى إلى الله تعالى لرجوع الناس من المعصية إلى الطاعة سياسة حسنة (بدعة حسنة). أما السياسة التى أسسها أرسطو وشيعته وهى جعل الباطل حقاً، والمكر السئ لسلب الأخلاق الفاضلة من الأمم والأموال والأملاك بالقوة القاهرة، فهى السياسة المقبوحة التى هى ضد الإسلام، ومحو السـلام ومحاربـة الملك العلام، وإظهار الفساد فى البر والبحر للتكبر فى الأرض بغير حق.

حالة المسلمين

هل حالة المسلمين فى الشرق يقرها الإسلام؟ أم هى غفلة وضياع للوقـت فى غير فائدة؟

إن دين الإسلام هو دين الله سبحانه وتعالى الذى يجـب أن يرفـع الإنسـان إلى مستوى لا يكون فوقه فيه إلا الله سبحانه وتعالى، فلا يعبد غيره، ولا يعامل إلا بأمره، ولا يتخلق إلا بأحسن الأخلاق، ولا يرجو غيره، ولا يسأل غيره، ولا يذل لغيره، ولا يخاف غيره، قال سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (المنافقون: ٨)، وقال سبحانه: ﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمـران: ١٣٩)، فالمسلم لا يرى فوقه غير الله تعالى، بمعنى أنه لا يطيع أباً ولا حاكماً ولا قوياً إلا إذا كان منفذاً لأمر الله تعالى، وهذا معنى قول: لا يرى فوقه إلا الله. ومحـل نظـر المسلم أن هذه الدنيا دار فانية، يجب فيها على كل مسلم أن يعمـل لينـال النعـيم والسعادة بعد الموت عند الله تعالى، وإنما تلك الدار الدنيا قنطرة يمر عليها السالك إلى

دار أهله، فمن عظمها تعظيماً أنساه الآخرة ذل لغير الله، وخاف غير الله، وحرص على حياته الدنيا فضحى بدينه وآخرته، فعاش عمره المحدود فى خزى وذل وعبودية لكل ذى قوة، وأورثت ذريته مهانة تدوم لهم.

فاليقظة التى قامت بالقلوب الآن مما يأمر بها الدين، وإنى بصفتى أفتى هذه الفتوى أقول: إن أوربا هى سبب تلك اليقظة التى أرخصت الحياة فى أعين الشرقيين، حتى أصبحوا يضحون بكل رخيص وغال فى سبيل رد ما سلبه منهم المستعمرون بقوة الحديد والنار. هذا والحق أن أوربا تهدم كل مجد سلبته من الشرق بمعاول الطمع، والأولى أن الأمم الأوربية تتدارك هذا الخطر بالضرب على أيدى أهل المطامع منها، قبل أن تصبح مدنية أوربا أثراً بعد عين كما قال تعالى: ﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ﴾ (الأحقاف: ٢٥)، والتاريخ يعيد بعضه بعضا، وصدق الله العظيم قال سبحانه: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (محمد: ٢٢).

تردد العلماء على غير المسلمين فى رمضان

إن بعض العلماء يترددون فى أيام رمضان على من ليسوا بمسلمين، وإن ترددهم فى رمضان على المسلمين نتأوله لهم أنهم يعظون أو ينصحون، لأن العلماء أطباء، والطبيب يغشى أماكن المرضى.

فهل زيارة العلماء لغير المسلمين إذا تحقق أنهم لا يدعون للإسلام ولا يأمروهم بالعدل والإنصاف يكون من الدين فى شئ؟.

اعلم أيدك الله وإيانا بروح منه، أن العلم الذى يسمى علماً معلوماً من الشريعة هو العلم بالله تعالى، وبأيامه سبحانه، وبأحكامه جل جلاله، وبحكمة أحكامه. والدين الإسلامى لم يحكم لمسلم بالعلم إلا إذا تحققت فيه خشية الله تعالى، قال سبحانه: ﴿

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء ﴾ (فاطر: ٢٨). ومن حصل أمثال الجبال من العلم ولم يتفضل الله عليه بالخشية منه سبحانه فليس بعالم عندنا.

وإنى لا أستحسن أن تسأل هذا السؤال، لأن الحكم على الشئ فرع عن تصوره، والجواب عليه فتح لأبواب الفتن العمياء، لأن زيارة العلماء لغير المسلم فى رمضان تعظيماً له واعتماداً عليه تسلب الإيمان من القلوب، وشهرة هذا الأمر بين العامة تثير الخواطر وتحقر العلماء فى أعينهم، وصريح القرآن بين لا يجهله العامة، قال سبحانه: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (المجادلة: ٢٢). ولا شك أن غير أهل الذمة يحادون الله ورسوله والمسلمين، وقد جاهر كثير ممن أقامتهم الجامعة المصرية لتدريس الآداب بمحاربة الدين مثل طه حسين وغيره.

وإنا لنعجب كل العجب على المنتسبين للشرف النبوى وللعلوم الدينية كيف يخفون ما الله مبديه؟ ويعينون من حرم الله عليهم مودتهم، وفى الوقت نفسه يظهرون محبتهم وولاءهم لولاة المسلمين!! فترى الرجل منهم يزور الأمراء والوزراء ليستر عيوبه ويساعدهم فيما يرضى أئمته، وقد كنا نظن أن زيارة قاضى قضاة مصر لمكة (سنة ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥م) فى زمن الهرج والمرج بين الإمام بن سعود وعلى بن حسين للصلح، وإرجاع الأمن والسلام للحرم الشريف، لأنا كنا نعتقد كمال الإيمان فى فضيلته، ولكن تحققنا أن زيارته كانت مقدمة لمفاوضة صديقه السيد مكماهون مع عاهل نجد.

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

وإلا فمن الذى أعطاه الإجازة للسفر وترك الأعمال الشرعية الواجبة عليه التى بها سيادته وغناه؟ ويا ليتهم يكاشفون الأمة بنواياهم لتحتاط منهم، بل نراهم يخفونها والله يبديها، وياليتهم وقفوا عند هذا الحد، ولكنهم يريدون أن يقبضوا بيد من الحديد والنار على ينبوع الدين الإسلامى ومصدر علومه (الأزهر) والله تعالى يقول: ﴿ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ (النساء: ١٤٢)، وقد انخدع المستعمرون فغرهم ما يرونه من قوم

يبيعون دينهم وشرفهم لأغراض المستعمرين، وجهلوا، لأن الذى يبيع دينه الغالى وشرفه العزيز عليه لهم، يطمع فيما اغتصبوه، سيبيعهم إذا دعته دولة أخرى ومنته كما منوه، ولكنهم إذا نالوا أغراضهم من أمثال هؤلاء أذلوه وطردوه شر طردة، فليتذكر المسلمون، وليحتاطوا من الذين كشف الله الستر عنهم ومن أمثالهم، والله لا يهدى كيد الخائنين.

خصال الزعماء المصلحين

الذين يعيدون للأمة مجدها

الخير مطلوب كل حى، وأكمل الحياة وأشرفها وأعلاها الحياة الإنسانية، ومن أجل ذلك فزعامة المجتمع الإنسانية يجب ألا تنحصر إلا فيمن جمعت فيه أربع خصال:

أولها: أن يكون الرجل نشأ من أسرة عريقة فى المجد والشرف، فتغذى من طفوليته بلبان الفضائل والآداب وكرامة النفس، ونمت قواه النفسية بغذاء الهمة والعزيمة بتلقى العلوم النافعة، وشهود ما يقوم به أولياء تربيته من الفضائل، وما يدعونه إليه من المسارعة إلى الأخذ بالأجمل من كل شئ، وإلى التحفظ من الوقوع فيما تدعو إليه النفوس المهملة، مما تقتضيه أحط الهمم وأدنى النفوس، مما يقع للناس فى شبابهم، أى: فى سن التقليد، فإن الولد فى شبابه الأول يرتسم على جوهر نفسه ما يرى والديه وأقاربه يعلمونه، فينشأ خبيثاً ردئ التصور، ميالاً بطبعه للمفاسد بسبب ما يتلقاه ممن تولوا تربيته، وكم من رجل تصدر فى العالم وقاد الأمم، ولكنه يوقع من وثقوا به وجعلوه زعيماً فى هاوية الرذائل والأغلاط الاجتماعية، وتكون زعامته عليهم شراً مستطيراً، وذلك لأنه نشأ على حب الانتقام والحرص والإيثار لنفسه، فتدعوه تلك الخصال الذميمة إلى أن يترك الحق جانباً وينفذ ما حسنه له هواه وطمعه وحرصه على نيل المشتهيات، وهذا لا يكون زعيماً.

الخصلة الثانية التى يكون بها الزعيم نافعاً: أن يكون واسع الصدر، عالماً بأن اتحاد الأمة وإصلاح ذات بينها هو القوة التى تغنيه عن ملء الأرض جيوشاً جرارة كاملة العدة والعدد، فيغض بصره عما يراه من موجبات التفرقة فضلاً عما يسمعه من ذلك.

الخصلة الثالثة : أن يصطفى أهل التقوى والصلاح الذين يألفون ويؤلفون، الذين يجمعون له الأمة ويداووها من أمراض التفرقة والحسد، فإنه إن اصطفى أهل النفوس الخبيثة الذين يجعلونه قنطرة الفوز بمشتهياتهم كالانتقام من أعدائهم ونيل

الرياسة وتحصيل حطام الدنيا أرداه فى هاوية سحيقة.

الخصلة الرابعة وهى ملاك الأمر: أن يكون تقياً عاملاً بأصول الدين وفروعه، مراقباً أن فوقه قوة الله تعالى التى تحسن إليه إن أحسن، وتنتقم منه إن أساء، فيكون الله معه، ومن لم تجمع له تلك الصفات فذله أقرب إليه من ظله.

الزعيم هو من يحسن إلى من أساء، ويصل من قطعه، ويعفو عمن ظلمه، وبذلك يكون كالشمس نفعاً، لأن خيرها عام لك موجود، وكالليل ستراً، فإن المعاصى تكثر فيه، ولا يعلم بها أحد، وكالأرض تواضعاً، وإذا وجد هذا فهو السيد الذى يلجأ العالم إليه بعد الله تعالى، وأين هذا والمجتمع الإسلامى أحوج ما يكون إلى مثله فى هذا الوقت العصيب؟ ولعمرى إنه ليفدى بالأرواح، فليتدبر من دعته نفسه لأن يكون زعيماً عظيماً. قال العربى :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ... ولا ينال العلا من طبعه الغضب

على أنى لا أيأس من روح الله، فإن الله لا يخلى الأرض من قائم له بحجة، والليالى حبالى يلدن كل عجيبة، وطالب الحق لا يعدم نصيراً، والواجب كله منصب على الأمة، فإن لها الغنم، وعليها الغرم، وما توفيقى إلا بالله.

أخلاق الولاة فى عهد السلف الصالح :

لما قدم عمر بن الخطاب إلى الشام وفد عليه أهل حمص يشكون إليه واليه عليهم، سعيد ابن حزيم، فناجت عمر نفسه بأنهم إنما يشكونه بطراً وأشراً، وأرسل فى طلب سعيد بن حزيم ليخرج من شكايتهم، فلما قدم عليه قال عمر: اللهم لا تخيب فراستى فى أهل حمص، ثم طلب إليهم أن يبسطوا شكواهم لينظر فيها ويسأل الوالى عنها فقالوا:

١) إنه لا يبكر بالخروج إلينا كل يوم، بل يصبر إلى ضحوة النهار، فقال عمر: أجب

يا سعيد. فقال: إن أهلى ليس لهم خادم، فأنا فى كل يوم أعجن عجينى وأصبر إلى أن يختمر ثم أخبزه وألبس ثيابى ثم أخرج إليهم.

٢) إنه لا يجيب من دعاه بليل. فقال عمر: أجب يا سعيد. فقال: أما هذه فما كنت أحب أن أجيبهم عليها، فإنى قسمت اليوم بينهم وبين ربى فجعلت النهار لهم والليل لربى. فقال لهم عمر: فالثالثة.

٣) يوم فى كل شهر لا يخرج إلينا فيه، فقال عمر: أجب. فقال: إنه ليس لى سوى ثوب واحد فأنا أغسله فى كل شهر مرة، ثم أنتظر إلى أن تنشفه الشمس فيكون قد ذهب أكثر النهار فلا أخرج إليهم.

فقال عمر: الحمد لله الذى لم يخيب فراستى فيكم يا أهل حمص، اذهبوا بواليكم وأعينوه على خير ما هو فيه. ثم إن عمر أرسل إلى سعيد بن حزيم بعشرة آلاف درهم ليستعين بها على إصلاح شأنه، ففض تسعة أعشارها فى الأيتام والفقراء وأهل الحاجة، وأبقى منها ألفاً لعله يجد من هو أحوج إليها منه، وظل محافظاً على سيرته الأولى.

هذا نموذج مما كان عليه ولاة السلف الصالح رضوان الله عليهم، وكان فوق ذلك الإمام أبو عبيدة بن الجراح ﵁ وهو أمير المجاهدين، وأبو هريرة ﵁، وسيدنا معاذ بن جبل وهو والى اليمن، وأبو موسى الأشعرى ﵁، وغيرهم من الولاة، فكانوا كالنجوم المشرقة فى الآفاق، تضئ نهاراً على الناس، وتضئ ليلاً فى ملكوت السموات بما يقومون به من ترتيل كلام الله تعالى، كان الرجل منهم يخدم نفسه فى مترله، ويعلف دابته، ويكرم ضيفه ولا خادم له، مع ما ملكهم الله فيه من الملك ونفوذ الكلمة، ساروا فى الناس بسيرة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، حتى كأن المسلمين لم يفقدوه ﴿ﷺ وآله﴾، فأشرقت بهم أنوار الحق فى جميع الخلق، وإنا لفى شوق شديد إلى أن يوجد الله تعالى للمجتمع الإسلامى ولاة يتشبهون بالسلف الصالح، حتى يعيد الله لنا هذا المجد، ويكون

معنا كما كان معهم.

المتعين الآن بعد إلغاء الخلافة

أن ينتخب أهل الشورى والرأى والعصبة الإسلامية خليفة من أتقى المسلمين وأورعهم إن تيسر، ودليل ذلك من آثار السلف الصالح أن عمر بن عبد العزيز ﷺ طلب من أستاذه محمد بن سهل أن يبين له صفات عمر بن الخطاب ليعمل بها، وأن يدله على أهل التقوى فيوليهم أعمال المسلمين، فكتب إليه: يا عمر، إذا أنا بينت لك ما كان عليه أمير المؤمنين وقمت بها، فأين الرجال الذين كانوا مع عمر؟ يا عمر، سر فى الناس بقدرهم فى زمانهم، ولكنى أدلك على خير: ولِّ أمور المسلمين ذوى البيوت والشرف والمجد، فإنهم إن لم يمنعهم عن الدناءة دينهم؛ منعهم شرف أنفسهم.

والخليفة إنما هو حصن المسلمين ووالدهم، والشريعة لم توجب تعيينه من بيت مخصوص، ولو كان كذلك لتولى الأمر بعد رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ العباس بن عبد المطلب، أو علىّ بن أبى طالب، وهما من يعلم المسلمون قرابتهما من رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وتولاه رجل من بنى تميم أمره رسول الله أن يصلى بالناس فى حياته، فلما تبين للمسلمين أن رسول الله اختاره لدينهم اختاروه لدنياهم، وهو أبو بكر الصديق ﷺ، فالخليفة مختار الأمة، وأمينها ووليها بعد رسول الله، فالحق فى تعيينه للأمة.

الأولى بالمسلمين الآن :

الأولى بكل مسلم أن يشكر الله، ويتقرب إليه سبحانه بالصدقات والقربات على ما أولانا من النصر على أعدائنا، وأن يؤيد أهلاً ومحلاً. وتستقبل الأمة الإسلامية كل ما رآه المسلمون خيراً لنا بقلب هاش باش حرصاً على الاتحاد وحفظ المجتمع الإسلامى.

وإنى أسأل الله تعالى أن يجعل الرجال القائمين بتجديد الإسلام والسنة من الذين بشرنا الله بهم بقوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ

فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة: ٥٤).

الحرية والعولمة والجات

بم تنال الأمة الحرية ؟ وما هى نتائجها ؟

إن الحرية عبارة عن خلوص حركات النفس وتصريفها بالإرادة فى وجوهها المشروعة، فإذا وجدت هناك ضواغط تمنع الاختيار بتاتاً، أو تخرج به عن خلال الاعتدال، فقل على الحرية السلام، وحينئذ يجب على الفرد أو الأمة التى فقدت هذا المجد وذهب عنها هذا الشرف أن تتخذ أنجع الوسائل فى الحصول عليها، والسعى فيما يقرب إليها، وهذه الأسباب وتلك الوسائل أهمها ما يأتى:

١) حب الفضائل وبغض الرذائل والمحافظة على حقوق الله تعالى حسبما فى الإمكان والاستطاعة.

٢) الاتحاد بين الأفراد والجماعة.

٣) تحسين الصناعة، وترويج البضاعة، وتخصيب الزراعة.

٤) الاستغناء بمحصولات البلاد ومصنوعاتها ومنتجاتها عن الأشياء المجلوبة من الخارج، وإنى أعجب ممن يدعى أنه يحب وطنه، ثم تراه يستحسن صناعة غير أهل وطنه، ويعامل فى تجارته غير أهل وطنه، حتى تصبح ثروة الوطن فى أيدى غير أهله، فتخرب بيوت مواطنيه من الصناع والتجار والملاك، ويصيرون عالة يتكففون، وهو يصيح: أنا ناصر للوطن، ثم تمر فى الأسواق فتجد أعمر المحال وأكثرها وفوداً مصانع الأجانب، وحوانيتهم، وأنديتهم، حتى صار الصائح بنصرة الوطن يرى معه يروج تجارات الوطن وصناعاته ليس متمدناً، ويرميه بالتعصب والخمول، وكم بيت عامر بالتجارة والصناعة أصبح خاوياً على عروشه، حتى أصبح الوافد على الوطن يفد فقيراً لا يملك نقيراً، فيصبح له من الأطيان والبيوت والمصانع والشركات ما به

يكون مثرياً، وليس هذا بمحتاج إلى دليل.

٥) استعمال قوة الاختراع فى الماديات التى لا تستغنى الأمة عنها غالباً.

ووسائل الحرية الخمسة التى حددها الإمام أبو العزائم ﷺ هى فى الحقيقة العلاج الناجع لمشكلة العولمة واتفاقية الجات (تحرير التجارة)، لأن الأمة لا تعد حرة مستقلة إلا إذا كان لها تصرف عام فى جميع شئونها، وتدبير خاص فى أحوال معاشها، ومتى كانت كذلك نالت بغيتها وبلغت أمنيتها، وحق لها أن تنافس غيرها من الأمم المجاورة لها والنائية عنها.

ثم يضيف الإمام قائلاً: أما إذا فقدت هذا المجد الميسور باستسلامها لعدوها وتسليمها إياه قيادة أمورها، فقل أن تبلغ أملاً من آمالها، أو تنال غرضاً من أغراضها، بل إنها تعيش عيشة مرة تسام فيها الخسف والجور، وتعدم بسببها العزة والنعمة.

وبئس هذه الحياة. فإن الإنسان الذى خلقه الله ليعيش حراً يتحرك بإرادته ويسكن بإرادته، ظلم نفسه وغيره، فسلط الله عليه أشر أشرار خلقه، فسلبوا منه حريته، وضيقوا عليه جولته، فأصبح ذليلاً بعد العزة، ضعيفاً بعد القوة، وضيعاً بعد الرفعة، فرحماك اللهم رحماك.. أنت يا مولاى خلقت الإنسان ضعيفاً ولا حول ولا قوة إلا بك، فكيف تكله إلى نفسه حتى تمكن منه عدوه وتنصره عليه وتخذله أمامه؟ فاللهم رحمة منك بعبادك الضعفاء، وحناناً من لدنك بعبيدك الأذلاء، فأنت المعز وأنت المذل، وأنت على شئ قدير.

نتائجها :

نتيجة الشئ عبارة عما يؤول إليه من خير أو شر، ولا تنتج الحرية إلا خيراً محصناً يكاد أن ينحصر فيما يلى:

١) الفرد أو الأمة متى كانا حرين أمكنهما أن يعملا بجد ونشاط فيما يحسن به أمر معاشرهما، وتحصل به سعادتهما ويعم به الخير لبلادهما.

٢) إغلاق باب الشرور والمفاسد، فإن الأمة المستعمِرة تعمل دائماً على إيقاع الضرر بمن استعبدهم وأذلتهم، ولا سبيل لدفع هذه المصائب ورد هذه المحن إلا باستقلال النفوس وجولانها فى ميدان الحرية، وسيرها على مقتضى الطبيعة البشرية، فإن الذل أمر على النفس من الحنظل، وأثقل عليها من الجندل.

(٣) إذا أطلقت النفوس من قيود استعبادها؛ وصارت لها الخيرة فى تصريف حركاتها وسكناتها، فلا غرو أنها تعمل أعمالاً يبتسم لها الدهر، وتمجدها الأيام، ويسجلها التاريخ، ويكون لها الفخر على سائر الأمم بما ينالها من العز والمنعة والقهر والسلطان، وتصير أيضاً قدوة ومثالاً حسناً للأمة المجاورة لها والنائية عنها، بل يضرب بذكرها المثل فترتفع بذلك فوق عنان السماء، وتناطح بشرفها ورفعتها الجوزاء، ونعمت أمة هذا حالها.

فيا معشر المسلمين: إنى لكم ناصح أمين، فاستيقظوا من غفلتكم، وتنبهوا من رقدتكم، وشمروا عن ساعد جدكم، وسيروا على منهج سلفكم، حتى تعيدوا مجدكم والله ولى المؤمنين.

الاختلاف المفيد

متى يكون اختلاف الآراء مفيدا؟

الاختلاف كله ضرر إذا تعددت القصود، والتفرقة كلها شرور إذا اختلفت المطالب، ومتى تعين المقصد وتحقق المطلب، وجبت الشورى، واختلاف الآراء لتتضح الوسيلة لنيل القصد بالحجة والبينة، فاختلاف الآراء فى هذا الموضع خير، خصوصاً إذا تجرد رجال الشورى من العلل النفسانية والغايات الدنية وحب الأثرة، فإن رجال الشورى وإن قل عددهم كالأعضاء العاملة للجسد الطويل العريض، لأن كل عضو فى الجسد يعمل لنفعه العام، وليس بعد فادح الحادث وطول التجربة إرشاد لمسترشد، والقوة فى كل شئ بقدر تماسك أجزائه.

ومعلوم أن أعظم القصود ينال إذا اجتمع على طلبه فئة من الناس وإن قلت، وما ضاع حق أجمع أهله على طلبه، وما نيل حق تفرق أهله فى طلبه، والرزق نوعان: رزق النفوس، ورزق الأجسام، فمن شغله رزق جسمه من مأكل ومشرب وملبس ومأوى،عن رزق نفسه من العلم والشرف والتمتع بالحقوق الإنسانية التى بدونها لا يكون الإنسان إنساناً، بل يكون حيواناً مسخراً لغيره لا يعد من النوع الإنسانى، وإن الحرص على طلب قوت النفوس أولى للإنسان من الحرص على نيل قوت الأشباح، وكيف يرجو الإنسان أن يحيا حياة البهائم مفقوداً لذة الضمير كالآلة المسخرة فى يد غيره، والله خلقه حراً مريداً ليس فوقه إلا هو سبحانه وتعالى، أو من قام له مقام الوالد الشفيق يسير به محسناً ليبلغ به درجة الرشد، قال الله تعالى: ﴿ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (النساء: ٥٩).

تجديد سنن ديننا

لماذا ننهزم اليوم ؟

نحن الآن قد كثر عَددنا وعُددنا ومالنا ولكنا صرنا تبعاً أذلاء، لا لقلة العدد أو لضعف الأجسام، أو لأن بلادنا قاحلة لا تنبت، أو لأن ديننا دين الكسل والبطالة وترك الدنيا وعدم الرقى والاختراع، لا، بل ديننا دين العلم والعمل للدنيا والآخرة، دين البحث فى الآثار والفكر فيما أودعه الله تعالى فيها، وإظهار مكنون أسرارها المنطوية عليها للنفع العام. دين المجاهدة. دين الأخلاق الطاهرة. دين المعاملة الحسنة. دين التوحيد والاتحاد والائتلاف. دين الرحمة والشفقة. دين العمل النافع والسعى فى النفع العام لجميع خلق الله- سبحانه- والرحمة حتى بالنباتات والحيوانات فضلاً عن بنى الإنسان. دين العدل والإنصاف. ليس رهبانية وخراب للدنيا وترك للعمل فيها كالنصرانية. ولا تعصب وبغض لغير أهله والعمل لخاصة أهل الدين كاليهودية. بل هو الدين الذى أوجب على المسلم معاملة الذمى كنفسه. أوجب على المسلم أن يسعى ويجد ويجتهد. فرض الزكاة ليعمل المسلم فى جلب المال. فرض الحج ليسعى المسلم وينتقل ويسافر. فرض الصيام ليرحم المسلم الفقير من أى دين كان. جعل المنازل فى الجنة بالعمل الصالح وعمل الإصلاح والصلح. حث على الزراعة وعلى التجارة والصناعة، وأمر بإعداد العدة بقدر الاستطاعة، كل ذلك لا يتوفر إلا بالتجارة والصناعة والزراعة، وفضل المتصدِّق على المتصدَّق عليه والرجل على المرأة بما أنفقه عليها. كل ذلك حث على العمل. أمر بالاقتصاد وتوفير المال وأخبر أن من أسرف يعاقب بالفقر. حث على الطب حتى جعل من يعالج نفساً مريضة كأنه أحياها، هذا وكل خير وفضيلة وسعادة فى الدنيا والآخرة لا يمكن نوالها إلا بالتمسك بالسنة، ومع ذلك فإنا تركنا السنة وأهملنا العمل بها حتى رمانا أعداء ديننا بأن ديننا دين الخمول والتأخر، ذلك منا لا من ديننا. وإلا فمتى تمسك قوم قليلون بالدين على حقيقته

وتأخروا؟ فهلم بنا نجدد سنن ديننا، وذلك لا يكلفنا أن نبذل أموالنا ولا أن نقتل أنفسنا ولكن نأتمر بما أمر، وننتهى عما نهى، ونوالى من والى الله سبحانه ونعادى من عادى الله سبحانه، ونقتصد فى زمننا ومالنا، فلا ننفق الزمن إلا فى كسب علم أو فن أو رزق أو محمدة أو قربة أو صلة، ثم نحب إخواننا حباً يجمعنا. ولا يكون ذلك إلا بالزهد فى الأمل وفى الجاه عند الناس، وفى الشهرة بينهم، بأن نعطى كل أخ حقه فى غيبته كحضوره، وننشط العمال ونستر الزلات، ونعامل الله تعالى فى خلقه، ونجعل معاملتنا خفيفة على إخواننا حتى تنحصر الأموال والصناعة والفنون فينا، فإن حصر المعاملة فينا تنشطنا وتجدد ملكة الاختراع والجد فى العمل، ونبغض من أبغضهم الله تعالى من المجرمين والفساق والعصاة ولو كانوا آباءنا أو أبناءنا. ونحب من أحبهم الله تعالى ولو كانوا غرباء فقراء بغضاء. والله الموفق لا غيره.

الدِّينُ إِيمانٌ وصِدْقُ طَوِيَّةٍ   وعُلُوُّ نَفْسٍ عَنْ هَوًى وَدَنِيَّةٍ
وَيَقِينُ حَقٍّ صَادِقٍ بِتَحَقُّقٍ   بِالْحَقِّ فِى حَالِ صَفَا أَوْ شِدَّةٍ

ثِقَةٌ بِرَبِّكَ عَنْ شُهُودٍ خَالِصٍ   وَعَزِيمَةٌ فِى مَحْوِ كُلِّ ضَلاَلَةٍ
وَتَوَجُّهٌ لِلهِ مِنْهُ بِهِ لَهُ   فِى نصْرَةٍ وَتَوَكُّلٍ بِعَزِيمَةٍ
الدِّينُ إِقْدَامٌ عَلَى الْمَعْرُوفِ فِى   مَرْضَاتِهِ بِظَوَاهِرٍ وسَرِيرَةٍ
حَتَّى يُجَاهِدَ نَفْسَهُ وَهَوَاهُ بَلْ   وَيُجَاهِدَ الأَعْدَاءَ بَعْدَ طَهَارَةٍ
وَيَبِيعَ لِلَّهِ النُّفُوسَ وَغَيْرَهَا   مَحْوًا لِكُلِّ غَوَايَةٍ وَضَلاَلَةٍ
فَإِذَا تَطَهَّرَ كُلُّ فَرْدٍ مُسْلِمٍ   جُمِعَتْ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ بِحِكْمَةٍ
وتَأَلَّفَتْ وبِجَمْعِهَا يَبْدُو الْهُدَى   وَيَلُوحُ نُورُ الشَّرْعِ (يَهْدِى لِلَّتِى)
وَيَسُودُ جَمْعُ الْمُسلِمِين وَفَرْدُهُمْ   وَيَذِلُّ أَهْلُ الكُفْرِ بَعْدَ مَعَزَّةٍ

مجتمع المدينة المنورة

هل يمكن أن يعود مجتمع المدينة المنورة ؟

إن المجتمع الإسلامى الذى يمثل رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وأصحابه لا يعدم أبداً إلى أن تقوم القيامة ولكنه قد يكون ظاهراً مشهوراً، أو خافياً مغموراً، وقد يكون كل مسلم عضواً من أعضاء هذا الجسد المحمدى المبارك، وقد يكون أكثر عدد من يدعى الإسلام خارجاً عن المدينة، قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) [أخرجه البخارى ومسلم]، وقال الله تعالى فى وصف أهل المدينة: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح: ٢٩)، وإذا قلت المدينة فإنما لا أعنى الأسوار أو البيوت كما يقال بيت هاشم وبيت قريش، يعنون الأسرة ولا يعنون الجدران، وإن العقل لقد أثبت بعد الحجة القوية أن أول مدينة بمعناها الحقيقى أسست على وجه الأرض هى المدينة المنورة، وهذا أمر جلى لأحقر العقول ما لم تكسفها الحظوظ والأهواء، والعلل الخفية والأدواء، وكيف لا؟ وقد أشرق هذا النور فى ظلمات متكاثفة، وجهالات متوالية، والإنسان بين ظالم أو متظالم. ومعلوم أن كل رسول من رسل الله صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم الصلاة والسلام قام فى قومه فلم يتمكن من تأسيس المدينة على الوجه الذى يحبه الله تعالى ويرضاه، وهذه بطون التواريخ.. وعلى فرض وجود مدينة كما كان فى زمن سيدنا موسى عليه السلام مع بنى إسرائيل فلم تكن كاملة شاملة لكل ما يحتاج الإنسان ليكون معافى آمناً ميسراً له قوته إنساناً حقاً. هذا وكل مدينة أسست لم يكن أسسها رسول الله فليست بالمدينة المنورة مهما بلغت من الترف والصناعات، لأن الإنسان له لذتان: لذة الجسم ولذة النفس، ولا كمال للإنسان إلا ببهجة النفس الناطقة التى لا تبتهج إلا بالفضائل الحقة التى أساسها محبة الله تعالى، والرغبة فيما عنده، والرحمة الواسعة لجميع بنى الإنسان، حتى يرى عليه من الحقوق لغيره أكثر مما يرى على غيره فى البر

والإحسان وطمعاً فى نيل العفو والرضوان من الله تعالى، وهذا المبدأ هو أساس الدين الإسلامى. وإنما سميت المدينة المنورة بهذا الاسم لبيان تلك الحقيقة وإعلانها لجميع المسلمين ويؤيد ذلك قول رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً) [البخارى ومسلم]، فلا ميزة لأرض على أرض إلا بما يجعله الله تعالى فيها من هداية أهلها وقيامهم بمحاب الله سبحانه ومراضيه، ولذلك فإنه ﴿ﷺ وآله﴾ هاجر من مكة إلى المدينة وهى بلد جده الخليل عليهما الصلاة والسلام وأحب البلاد إليه، وبها حرم الله وبيته، ولكنه ﴿ﷺ وآله﴾ هاجر منها ليثرب بعد أن هدى الله تعالى به ﴿ﷺ وآله﴾ كثيراً من أهلها، وعاهدوه على أن ينصروه، ويعملوا بما جاء به فهاجر إليهم ﴿ﷺ وآله﴾ وكون بهم المجتمع الفاضل الذى أحبه الله ورضى عنه وعندها سماها ﴿ﷺ وآله﴾ المدينة المنورة بياناً لتلك الحقيقة ولم يكن على وجه الأرض مدن فاضلة بل ولا قبله ﴿ﷺ وآله﴾. وللمعترض أن يقيم الحجة على وجود مدينة فاضلة كالمدينة المنورة جمع الله لأهلها الكمال الإنسانى علماً وعملاً. وهذا أول إنسان وجد على الأرض لم يتمكن أن يكون مدينة مع أولاده من صلبه، وقصة هابيل وقابيل حجة لنا، ومن قرأ تاريخ أصحاب رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وما كانوا عليه قبله وما نالهم من الكمال الإنسانى الروحانى به ﴿ﷺ وآله﴾ يعتقد أن الله على كل شئ قدير، ويتحقق أن لا مدينة إلا المدينة الإسلامية، وأن كل مدينة أسست على غير المبادئ الإسلامية فليست بمدينة فى الحقيقة ونفس الأمر، فإن القوانين الوضعية حتى لو وضعها من كملت قوته العلمية والعملية من غير أن يعرف نفسه ويعرف ربه لا تحصل لهم السعادة التى أهل لها الإنسان، ولا يدرك العقل حقيقة الخير المنشود للإنسان، لأن الإنسان من حيث هو إنسان يحب الله تعالى وذلك لأنه يشتاق إلى خير لا شر فيه، وإلى نفع لا ضرر فيه، وإلى أمن لا خوف فيه، وذلك لا يكون إلا بالله ومن الله ومع الله تعالى، وما أضر الإنسان إلا أئمة السوء الذين أخفوا عنه طريق الله تعالى الموصلة إليه لنيل شهواتهم وملاذهم، وإلا فالإنسان لا ينجذب بالكلية إلا بما فيه من الشوق إلى الله تعالى، وحب التدين. وهنا أبين لك أن المدينة لا تكون مدينة كاملة بمعناها إلا إذا

استكمل أهلها المعانى التى يكونون بها مسارعين إلى نيل محاب الله ومراضيه، وعاملين لنيل الخير الذى به يعيشون فى عافية وأمن ووسعة فى مساواة وحرية، متنعمين بما تفضل الله به عليهم من الخيرات السماوية والأرضية.

حقيقة الجار الجنب

قدر أهل العلم أن الجار الجنب من بيتك إلى أربعين بيتاً شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً، وعندى: أن كل مسلم جار جنب ولو كان بمياه الهند أو مياه مراكش، لأن الإسلام وطن والمسلمون أسرة واحدة، قال ﴿ﷺ وآله﴾: (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى) [متفق عليه]، فيبين الله تعالى لنا أن المسلم جار جنب، ثم سن لنا رسول الله أن كل مسلم لكل مسلم كالعضو فى الجسد، وأن كل المسلمين لكل مسلم كالجسد للعضو، وهم المسلمون حقاً الذين وصفهم الله بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ ﴾ (الفتح: ٢٩)، الآية، والقرآن المجيد صراط الله المستقيم الذى من تجاوزه هلك، وسنة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ المقام الأكمل الذى من تجاوزها سقط فى النار، قال تعالى: ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التوبة: ١٢٨)، فمن جاءه هدى من رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فقال: إن وجدته فى القرآن آخذ به فقد هلك وأهلك غيره، فإن رسول الله أوتى القرآن وأكثر من القرآن.

أهمية التجديد فى الإسلام

لقد فكر أعداء الإسلام الألداء من المستعمرين والصهاينة والشيوعيين والمشركين، فى سر نهضة الإسلام ومبعث وحدة المسلمين وقوتهم.

فكروا وقدروا.. فقتلوا كيف قدروا، ثم قتلوا كيف قدروا.. لقد وضعوا أيديهم على السر.. فأجمعوا على أن سر نهضتنا إنما يكمن وراء ديننا، وأن الإسلام هو مبعث وحدتنا وقوتنا وانطلاقنا فى الحياة، فدبروا كيدهم بمحاربة الإسلام فى نفوسنا، وإضعافه فى قلوبنا، نفروا منه شبابنا وأبعدوهم عنه وشغلوهم بمبادئ أخرى. فتفرقت الكلمة، وتشتت الشمل، وكان هذا كفيلاً بسيطرة الغرب علينا واستيلائه على ديارنا، فتعرضت بلاد الإسلام جميعها لغزو الاستعمار الأوربى، وأخذت جحافل الغرب تعد

العدة لهدم الشريعة السمحاء التى هى سر عظمتنا.

أجمعوا أمرهم على هذا وثاروا على الإسلام، ثم انطلقوا يضعون المخططات ويرسمون الخطط لتنفيذ ما اتفقوا عليه.

فتحوا المدارس الأجنبية فى ديار المسلمين، أرسلوا البعثات التبشيرية، ونشروا الكتب العابثة المضللة، لشغل شبابنا المسلم عن التفكير فى مصالح أمته وحرية أوطانه.

بعثوا شباب المسلمين إلى ديارهم لينهلوا من ثقافتهم المسمومة، سيطروا على اقتصادنا، وتحكموا فى أسواقنا لامتصاص ثروة المسلمين.

نشروا القوانين الوضعية ودرسوها، وشوهوا حقائق الإسلام وتاريخه المجيد.

وجهوا الأدب والأدباء والصحافة وجهة علمانية لا دينية، أنشأوا المذاهب والمبادئ الهدامة، كالماسونية، والبهائية، والقديانية، وغيرها.

عملوا على إلغاء الخلافة الإسلامية، وتفريق كلمة المسلمين، أفسدوا المرأة المسلمة باسم الثقافة والحرية والديمقراطية، فخرجت سافرة متبرجة.

حاربوا اللغة العربية الأصيلة، ودعوا إلى العامية، وإلى الكتابة بالحروف اللاتينية لتنقطع الصلة بين المسلمين وحاضرهم.

اتفقوا على وضع قدم الصهيونية العالمية فى فلسطين، وحولوا قضية فلسطين من قضية إسلامية مقدسة، إلى قضية قومية لا ارتباط لها بالإسلام.

دعوة الإمام المجدد أبى العزائم بعث لتجديد الإسلام

وهكذا أصبح المسلمون اليوم فى مسيس الحاجة إلى التكاتف لبناء هـذا المجتمع الإسلامى الذى يتطلب رجالاً مخلصين، قد جعلوا الله غايتهم ليبدأوا كفاحاً من الأهواء والمطامع، لم يشبهم عرض زائل أو مغنم دنيوى.

فجاءت دعوة الإمام منارة ومحجة للسالكين إلى الله، وعزماً وبأساً وإرادة منتصرة للمجاهدين فى الحياة، وأفقاً أعلى للفكرة الإسلامية، وقوة إيجابية تحمى الإسلام، وتصون عقائده، وتنشر دعوته، وتناضل تحت رايته، وتحمى جماهيره وتفكيره، من الضعف والانحلال، والغبار الوثنى، والزيغ الإلحادى.

جاءت دعوته تقدم لأبنائها وروّاد مناهلها، زاد الإيمان ولباس التقوى وروح الإسلام وأفقه الأعلى، وتلهمهم قوة النضال وعزيمة الجهاد، وتضفى عليهم أخلاق الأنبياء، وآداب المرسلين، وروح الكتاب المبين.

إن دعوته دعوة العاملين بطريق الآخرة، والمتأسين بالمرسلين فهى المصابيح لمن استضاء بها، والهداية لمن استرشد بها.

فإلينا أيها المجاهدون المخلصون، حتى يقوم فى كل ناحية من نواحى العالم الإسلامى، فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى فتهب روائح الجنة، وتهب نفحات- وا شوقاه إلى إخوانى- ضعوا أيديكم فى أيدينا أيها الأخوة فى الله، على الطريق السوى والصراط المستقيم، ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٤).

أثر الإمام أبى العزائم

فى الحياة الاجتماعية فى عصره

لقد حفل عصر الإمام المجدد أبي العزائم- قدس الله سره- بكثير من الأحداث الاجتماعية، فاتسم المجتمع فى عصره بسمات متنوعة، وتأثرت الحياة الاجتماعية تأثراً وثيقاً بالحياة السياسية فى عصره، خاصة إذا علمنا أن النصف الثانى من القرن التاسع عشر شهد نهضة فى الحياة الاجتماعية المصرية، وحدث تطور اجتماعى ملحوظ، وحدث خلاف بين أنصار الجديد الآتى من الغرب وأنصار القديم الذى يخشى التطور ويقف ضده.. أما الإمام المجدد أبو العزائم عليه السلام فقد كان يحبذ الأخذ بالوسط فى كل شئ، بمعنى عدم الإسراف فى التجديد حتى نصير كالغربيين فى تقاليدهم، وكذلك عدم الإسراف فى التمسك بالقديم فيصاب المجتمع بالجمود.. وكانت أهم آثار الإمام المجدد على الحياة الاجتماعية فيما يلى:

أ - دوره فى الدعوة إلى الله تعالى.
ب - دوره فى العلم والتعليم.
ج - موقفه من قضية المرأة ودوره فيها.
د - موقفه من الآداب والفنون.
هـ- رؤيته فى كيفية النهوض بالمجتمع الإسلامى.
و - استحسانه محدثات عصره.
ز - إقراره للتداوى.

وقد تناولنا آثار الإمام الاجتماعية من النقطة (ج) حتى (ز) فى الفصول السابقة، وبقى لنا دوره رضي الله عنه فى الدعوة إلى الله تعالى، وكذلك دوره فى العلم والتعليم.

أولاً : دور الإمام أبى العزائم فى الدعوة إلى الله تعالى

كان عمل الإمام أبي العزائم بالتدريس، عنصراً هاماً فى تحقيق هدفه الذى تمثل فى الدعوة إلى الله، فقد حول خطابات التوظيف الحكومى التى توعزه بالانتقال من مكان إلى آخر، إلى سياحات روحية دعا فيها العشرات من الناس إلى الله تعالى، وواقع الحال يشهد أن تأسيسه لجماعة آل العزائم إنما كان الهدف الأول له هو إعداد جيل من الدعاة الواعين المتسلحين بالعلم الكامل، والمعرفة الحقة بالإسلام، عقيدة وشريعة وآداباً

وسلوكاً، وحساً أرهفته قوة الإيمان، ومن ثم كانت وسيلته فى ذلك حلقات العلم فى جماعته، يأخذون فيها عنه وعن المرشدين الذين رباهم.

وقد ساعد الوقت الذى قضاه الإمام أبو العزائم ﷺ فى مجال الدعوة، فى رسم صورة صحيحة يجدر بالوعاظ والمرشدين أن يقفوا عندها ويتعرفوا على معالمها، فليس من صفة الداعية عنده أن تقصر دعوته على أهل إرادته وبنى ملته، بل يرى أنه مكلف بالدعوة العامة التى تجمع بين من يحب ومن يقلى، فقد جاءوا جميعاً فى ثوب واحد هو ثوب المدعو.

وقد أدى هذا المنهج الذى سار عليه الإمام أبو العزائم ﷺ وحث عليه تلاميذه من بعده إلى اتساع رقعة الأتباع وتواجدهم فى - معظم- مدن وقرى مصر، بل تعدى الأمر إلى خارج مصر أيضاً، حيث يوجد له أتباع وتلاميذ فى السودان ينشرون علمه وآدابه فى الخرطوم وأم درمان وغير ذلك من مدن وقرى السودان، وتلاميذ فى ليبيا، والعديد من البلدان العربية والإسلامية، بل وتعدها إلى البلاد الأوربية والأمريكية.

كما بين الإمام ﷺ الأساليب العلمية والتربوية الصحيحة التى تساعد الداعى إلى الله تعالى فى مخاطبة طبقات الناس المختلفة، وتهديهم إلى الله تعالى، وقد ورد هذا فى أكثر من كتاب للإمام أبى العزائم؛ فينقسم الدعاة عنده إلى أربعة أنواع:

١ - الوعاظ.   ٢ - النساك.
٣ - خطباء المنابر.   ٤ - الزهاد.

وقد جمع بين أنواع الدعاة عندما وضع لهم آداباً عامة يرى أن يأخذوا بها أثناء دعوتهم الخلق إلى الله تعالى، فالدعاة إلى الخير إذا تحققوا علماً بما عليه أنواع الخلق وما فطروا عليه وأريد بهم علموا كيف يدعون؟. لأن الداعى لا يدعو ليهتدى جميع الخلق، وإنما يدعو ليظهر الحق، فيتبعه أهله، وينكره أعداؤه، فتكون السعادة لمن اهتدى، والشقاوة لمن اعتدى، وهذه سنة الله فى خلقه.

ومن هذه الآداب التى يراها الإمام أبو العزائم ﷺ واجبة على الدعاة: الحرص على

عباد الله من أن يقع أحدهم فيما يغضب الله، الرأفة والرحمة بالمؤمنين، لين الجانب، الخلق العظيم، الصبر على جفوة من تدعوهم، دعوة الخلق كل على قدر عقله، مداراة الناس، الغضب لله والرضا لله، الحب فى الله والبغض فى الله، الإحسان إلى المسئ، وصلة القاطع، وتأليف النافر، ترك الجدل مرة واحدة، إلا ما كان لبيان حكم من الأحكام الشرعية مختلف فيه، ويكون بالتى هى أحسن.

ومن الآداب الأخرى التى يحث عليها الدعاة: البعد عن نية السوء، أو قصد الشر والعزم عليه، أو التكلم بما لا يليق من قبيح الكلام فى غيبة الناس أو فى مواجهتهم، التباعد عن سماع الشر فى حق الناس، الزهد فيما فى أيديهم، بذل ما فى اليد لهم تآلفاً لهم، المسارعة إلى فعل الواجبات والفضائل والمكرمات ومنافستهم فى ذلك حتى يقلدوا الداعى، الشفقة عليهم والاجتهاد فى رفع المصائب عنهم، وتخفيف آلامهم ومشاركتهم فى مهماتهم مشاركة عملية بالمال والنفس، ذكر محاسنهم وستر عيوبهم فى غيبتهم، الاجتهاد فى تنبيههم لترك المعاصى التى يقع فيها بعضهم، وعمل الفضائل التى تركها بعضهم بطريق محفوظ من أن يتوهم أحدهم أنه مقصود بالذات خشية من التنفير، بل يكون بتنبيه عام يبين فيه قبح المعصية وسوء عاقبتها، وحسن الفضيلة وجميل مآلها.

فهذه الآداب التى ذكرها الإمام أبو العزائم عليه السلام تدلنا على جمعيته الكاملة مع رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم وآله﴾، فمن كلامه عن آداب الدعوة يظهر مدى تحققه بالوسائل والأدوات التى تساعد الداعى على النجاح فى دعوته.

ويضيف الإمام أبو العزائم عليه السلام جملة أخرى من الآداب تؤكد علمه بأمراض النفوس، وتكشف فى نفس الوقت عن أنه القائد الحكيم فى ميدان الدعوة إلى الله تعالى.

فيشير إلى أن بعض العلماء قد يكون داعياً إلى الخير قبل أن تزكو نفسه، فيكون سبباً فى تفرقة جماعة المسلمين بعد اجتماعهم، لأنه إما أن يخرج على الأمراء ويقبح أعمالهم أمام العامة ويعتقد أنه يعمل لله، وهو إنما يعمل للشيطان، لأنه بعمله هذا قد

يفرق الجماعة فيضرب بعضهم وجه بعض. ويرى أن مثل هذا من شر الدعاة.

كما يحذر الدعاة من فئة خرجت تدعو إلى الله على غير بصيرة ترمى من يجادلهم بالكفر، وتقذف من يبين خطأهم- من العلماء- بالجهل والضلال، فإذا قام عالم وبين وجه خطئهم، أعجبوا برأيهم وقاموا فكتبوا الرسائل فى الرد عليه، ورأوا أنفسهم أكبر من أن يخطئوا- وأعظم من أن يقبلوا النصيحة من غيرهم، ونظروا فى أنفسهم الكمال المطلق الذى يوجب على كل موجود أن يتبعهم ويخضع لهم، ولو كانوا على ضلال بين من تنفير الناس ووقوع العداوة بينهم.

وقد نبه الإمام أبو العزائم ﵇ إلى خطورة هذه الفئة على الدين، فحاول أن يستهديهم ويبين لهم ما ينقصهم من أدوات الخطيب، ويكشف لهم بالحجج والبراهين الخطأ الذى يسيرون عليه، فهذا سيدنا أبو بكر الصديق ﵁ كان إذا حكم حكماً وجاء عمر وقال الحكم كذا، أخذ بحكم عمر وترك حكم نفسه.

كذلك كان أمير المؤمنين عمر ﵁ يحكم، ويحكم سيدنا على بن أبى طالب ﵇ بغير ما حكم به فيعمل بحكم سيدنا على، لأنهم يرون الحق أكبر منهم، وهكذا سنة الهداة الراشدين المرشدين.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الفئة زادت رقعتها، وخرجت منها جماعات تكفر الناس بل ويكفر بعضهم بعضاً، ويقتلون الأبرياء ويأكلون أموال الناس ظلماً، كل ذلك باسم الدين. ويزيد الإمام أبو العزائم ﵇ الدعاة وصية أخرى تتعلق بإقبال الناس عليهم أو إدبارهم عنهم فقد يحصل للداعى بإقبال الخلق عليه، بعض السكون إليهم فيؤدبه الله بما يشاء حتى يرجع إليه، وقد يلم الحزن ببعض الدعاة إذا خرج عليه أحد من الناس، أو أدبر عنه الخلق، فينتابه الحزن والألم، وينزل فى صدره الشك والريبة من قدرته على الدعوة إلى الله.

وقد يحصل للداعى من خروج الخلق حزن يؤدى إلى شك فيورثه انزعاجاً وعدم صبر، لولا أن يثبته الله تعالى، فيتحقق أن الظالمين ما كذبوه، ولكن كذبوا بآيات الله،

فليطمئن قلبه.

وهكذا كل داع إلى الله، لا يسلم من أهل الغرور والمنافقين، فعليه بالصبر والعزيمة والإخلاص لله رب العالمين، والإقبال عليه بكليته، والاجتهاد فى نوال مرضاته، رضى الخلق أم سخطوا.

و لم يقف عند إسداء النصيحة للدعاة، بل راح يبين لهم كيفية مداراة هذه النفوس، وطرق العلاج لها.

فيوجب على الداعى أن يداوى تلك النفوس بالتآلف والتحابب، ومخاطبتها بما يناسبها من العلم والعمل والحال، بقدر مراتبها، ويخفى عنها ما لا قوة لها على تلقيه، ولا طاقة لها على تحمله، حتى لو جلس الداعى بين ألف من أهل الإحسان، وواحد ممن مرضت نفوسهم، يلزم الداعى أن يؤلفه ويؤانسه ويتكلم معه بما يناسبه حتى تزول رعونات نفسه، ويحصل له الأنس، ولديها يدعوه بقدره، بحيث لا يبيح سراً، ولا يشرح حالاً، ولا يبين مقاماً لرجل من العارفين أمامه، ولو ضيع لأجله ليلة كاملة، فإنه بذلك يكون سد باب شر، وجذب إليه أخاً، أو سد باب شر، ورد عنه شيطاناً، فيدوم صفوه، ويطيب أنسه، ويحفظ قلوب إخوانه من دسائس الشر، وسعى الأشرار.

ويوصى الداعى إلى الله إذا دخل بلداً أن يخفى أحواله، واسم المرشد، وأن يبتدئ بالترغيب إلى الله ورسوله، وذكر ما يناسب أهل البلد من الحكمة والموعظة، ثم يصبر عليهم حتى يعلم أحوالهم وما هم عليه، ويتحقق من أمراض نفوسهم.

فيبدأ بعلاج تلك الأمراض مرغباً لهم نوال الخير والمثوبة من الله تعالى والمغفرة والجزاء الحسن عنده سبحانه، كاشفاً لهم نعمته سبحانه، مبيناً فضل رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله﴾ حتى إذا أنس منهم الإقبال يشرح مبادئ طريقه، ويبين لهم مآخذها وسيرها وأساساتها بدون تكليف منه لهم بأخذها، حتى إذا طلبوا منه الطريق لم يسرع إلى ذلك حتى يشهد الرغبة منهم، وإذا ذكروا مشايخهم أثنى وترضى عنهم، حتى يكونوا هم المميزين بين المسيرين والمتحدثين بأقرب الطريقين، وهو يخفى عنهم ذلك، فإذا أنس

منهم بذلك، أخذ يشرح لهم علوم الرجل، وهو يخفى عنهم مواجيده سراً، حتى إذا تمكن منهم الوجد مع السكينة والهدوء، إما أن ينيب عنه أحد إخوانه أو أحدهم، ويتركهم بعد أن يجعلهم على حالة مرضية من القيام بالعبادات.

ثم ينصح الإمام أبو العزائم ﷺ واعظه أن يتركهم بعد أن يجعلهم على حالة مرضية من القيام بالعبادات وحسن الأخلاق والتحاب والاشتغال بالعلم النافع، وعلم النوافل، وإذا زاره أحد منهم يجمله بكمالات الأخلاق، وبعد ذلك يبين لهم بعض المعايب عموماً فى مذاكراته.

ويتبين من جملة الآداب التى أرشد إليها الإمام أبو العزائم ﷺ الوعاظ والدعاة إلى الله أنه على علم بطبائع النفوس، ومتحقق من العلاج الناجع الذى يشفى ما قد يعتريها من داءات.

كما يتضح من هذه الآداب أنه على وعى كامل بالدور الذى يقوم به الدعاة وهو تعريف الناس بالإسلام وعرض حقائقه كما أنزل على صاحب الرسالة ﴿ ﷺ وآله﴾، دون أن يزيد على ذلك شيئاً.

ثانياً : دور الإمام أبى العزائم فى العلم والتعليم

لعل أبرز ما يدل على دور الإمام أبى العزائم فى العلم، تلك الآثار العلمية التى تتسع لكثير من العلوم الدينية والفكر الدينى.

فمن هذه الآثار ما يتعرض للعبادات، وبعضها يتناول المعاملات، والبعض الآخر يناقش قضايا التصوف وبعض الفرق الإسلامية الأخرى.

كما اشتملت هذه الآثار على مؤلفات تعالج القضايا الإسلامية، وتقدم لها العلاج الناجع لشفائها.

ودور الإمام أبى العزائم فى العلم والتعليم يبرز فى تحديده آداباً للعلماء والمتعلمين.

أما آداب العلماء التى يرى أن يتحلى بها كل عالم فهى:

١ - التواضع لله ورسوله.　　　　٢ - الحلم والآناة.

٣ - إخفاء الحكمة إلا عن أهلها.　　　　٤ - السكينة والرحمة.

٥ - العمل بالعلم.　　　　٦ - الحكم بالعلم لا بالهوى.

٧ - سد باب الذرائع والفتن.

وقد بين كل واحدة منها بصورة تعين القارئ على العمل والتطبيق.

أما آداب الطالبين للعلم، فيرى أنها ممثلة فى مصاحبة أهل العلم، وعلى هؤلاء أن يعلموا- حق العلم- أن العلماء تصحب لثلاثة أمور:

١ - المحافظة على تحصيل علومهم وفهمها فهماً حقيقياً يطمئن به القلب، والسؤال منهم عن كل ما وقف عن إدراكه الفكر، أو قصر عن فهمه العقل، ليبينوه بمثل يقربه، وكشف ما لا يستبين للعقل بحجة تقرره، أو برهان يؤيده.

ويرى الإمام أبو العزائم عليه السلام أنه يلزم على طالب العلم فى هذا القسم أن يقيد ما يتلقاه فى بطون الدفاتر خشية من ضياعه أو نسيانه.

٢ - التشبه بالعلماء الروحانيين فى أساليب عباراتهم وطرق تعليمهم، وفنون استدلالاتهم، وجميل أخلاقهم، ولطيف سمتهم، وظريف هديهم حتى يكون نسخة كاملة طبق الأصل.

٣ - العمل بما علمه من غير تأن، ولو كان فى العمل عناء لنفسه، أو ضياع لماله وجاهه، أو فقد لعضو من أعضائه إذا اقتضى ذلك العلم (كحد السرقة).

وكان من بين الدور الذى قام به الإمام أبو العزائم عليه السلام فى العلم، نظرته التقويمية التى شملت المعلم والجهات المختصة بالتعليم.

فيرى أن المعاهد والجامعات التى تخرج المعلم قد أهملت فى اختيار المعلمين فى أخلاقهم وآدابهم وفضائلهم، واكتفوا بورقة تعطى من معهد من معاهد العلوم تشهد لحاملها بالتحصيل، فتكون تلك الورقة التى هى شهادة من أفراد لا يتجاوز عددهم

أربعة أشخاص أجلسوه أمامهم دقائق وطرحوا عليه مسـائل بعـد أن استحضـرها وحصلها، فأجابهم عليها، فشهدوا له بالتحصـيل، ولا يهمهـم آدابـه، وفضـائله، وأخلاقه، وآرائه، وعقيدته، وكمالاته النفسية.

ويعد ما أشار إليه فى هذا الموضع قضية هامة يعانى منها التعليم الآن فى مصر والعالم الإسلامى.

وقد جنت مصر والعالم الإسلامى ثمار هذه المشكلة عندما انحدر مستوى التعلـيم، وقل الفهم والتحصيل عند التلاميذ، ووجد- بين الطلاب والتلاميذ- من يصدر أقوالاً وأعمالاً لا يقرها الدين ولا الأخلاق العامة التى يلتقى عليها الناس جميعاً.

ومن هنا فقد نادى الإمام أبو العزائم عليه السلام فى أهل العلم: أيها العلماء الأتقياء أنـتم ورثة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وسرج الدنيا ومصابيح الآخرة، يأمن الناس يوم القيامـة وأنتم تخافون لأنكم مسئولون، ويفزع الناس فى الدنيا وأنتم حصون الأمـن، لأنكـم النور المبين الماحى للظلام، الملوك ملوك على الناس وأنتم ملوك عليهم، إليكم يرجعون وبكم يقتدون وبمشورتكم يعملون، فعظموا العلم بالزهد فى الدنيا وتحقيرها، والرغبة فى الآخرة والعمل لها، ولا تتشوقوا إلى السيادة الفانية والرياسة المفسـدة، وارضـوا بالقليل من الدنيا، لتتمكنوا من عمل الخير العام للمسلمين، فـإنكم إذا عظمـتم الله ورسوله ﴿ﷺ وآله﴾ وعظمتم شعائر الله سبحانه، وأقبلتم بكليتكم على الحق محتقرين لزهرة الدنيا وبهجتها، جملكم الله بحلل العزة والجلال والهيبة والوقار، فخضعت لكـم الأمراء، وأطاعتكم الرعية، فكنتم حجة الله على عباده بكم تعلو كلمته وتجدد سنته.

وبعد أن بين لهم حقيقة الدور الملقى على عاتقهم؛ حذرهم من الدنيا ومن حظوظ النفس والهوى، فخاطبهم بقوله: إذا غرتكم الدنيا، وقادكم الحظ والهوى، هوى بكم إلى هوة الذل، فخلت الأرض من قائم لله بحجة، وعملتم بالرأى والهـوى وأضـللتم وهلكتم وأهلكتم، وكان إثم ذلك عليكم.. فاحفظوا الله يحفظكم، احفظوا الله تجدوه أمامكم، كونوا مع الله تروا الله معكم.

كما كان له دور فى توجيه مناهج التدريس التى تدرس للطلاب فى المعاهد الدينية والكليات المتخصصة، فيرى أن تهتم هذه المعاهد والكليات بعلم القلوب كعلم التوبة، والخشية، والرغبة، والرهبة، والخوف، والرجاء، والتوكل، والتفويض، وعلم الإيمان، وعلم الغيرة لله تعالى، وعلم المراقبة، وحسن المعاملة، وعلم حكم الأحكام، وحكمة الإيجاد والإمداد، وعلم مبدئها ونهايتها، وعلم تطور الإنسان فى كون الفساد، والبرزخ، وفى الميعاد.

جمود العلم الدينى :

رأى الإمام أبو العزائم عليه السلام ما آل إليه العلم الدينى من جمود، وما آلت إليه أحكام الشريعة من هجران أهلها لها، بسبب كثرة ما كتب فيها من شروح وحواشى وفروع تاهت فيها الأصول، فصنف لها ملخصاً مختصراً، وموجزاً كافياً شافياً هو كتاب (أصول الوصول لمعية الرسول ﴿صلى الله عليه وسلم وآله﴾)، ضم العقيدة الصحيحة، وأصول العبادات، والأحوال الشخصية، والمعاملات، والأخلاق وقال: (.. وهذا يكفى المسلم العادى لمعرفة أمور دينه كلها، ومن أراد التخصص فعليه بالمطولات من الكتب).

اختلاف الفرق والمذاهب الإسلامية:

وفى اختلافات الفرق والمذاهب الإسلامية كالمعتزلة والأشاعرة وغيرهم، لخص أراءهم واختلافاتهم فى صفحات تعد على أصابع اليد الواحدة فى كتاب (معارج المقربين)، ورد عليها جميعاً رداً جامعاً مانعاً، وأوضح أن اختلافهم جاء نتيجة وضع مقدمات متفاوتة، ومن عاداتها أن تأتى نتائجها مختلفة، ولذا فإن الإنسان هو القياس الذى لا يخطئ، ومتى وضع الإنسان كمقدمة وقيس عليه جاءت النتائج كلها صحيحة لا تفاوت فيها ولا اختلاف، ودعا المسلمين جميعاً أن يأخذوا بهذا القياس حتى لا يظهر الدين مختلفاً أمام من ليسوا من أبنائه.

الفرق الإسلامية

ليست الدعوة إلى الله لنكون فرقاً مختلفين، وعصباً متنافرين، وشيعاً متباغضين، وقلوباً على الحظ والهوى عقدت، وبالدنيا وما فيها اطمأنت، وللشهرة والسمعة طلبت، حتى أصبح المسلمون وهم كثيرون قليلاً، قال الله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

إذا كان المراد من الدعوة إلى الله النجاة والفوز بالسعادة الأبدية، فهل النجاة أن يبغض المسلم أخاه؟ وأن يذم كل فريق من خالفه؟! وأن يقوم كل قادر أن يتكلم بالذم والتكفير واللعن فيتكلم؟ هل كان رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يحب المنفرين؟! هل كان ﴿ﷺ وآله﴾ سباباً لعاناً صخاباً فى الأسواق؟. تنزه رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وقد مدحه الله تعالى بقوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم: ٤)، وقوله سبحانه: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، وقد نبهنا الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ﴾ (الأحزاب: ٢١).

أيتها الشيع المتفرقة والطوائف المختلفة، تجمعنا جميعاً كلمة التوحيد، ويجمعنا الإيمان بالقرآن، والتصديق برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وأعمال أركان الإسلام الخمسة، والإيمان بيوم الحساب، وكلنا واحد فى الأصول والمرجع، والإيمان والإسلام، فما الذى فرقنا؟! لم نتفرق لاختلاف فى ديننا، ولا تفاوت فى كتابنا موجب للاختلاف، ولا لأن نبينا ﴿ﷺ وآله﴾ أخفى علماً عن جماعة وأظهره لآخرين، لا والله.

إنما التفرقة لجهل بالله سبحانه وبرسوله ﴿ﷺ وآله﴾ وبكتابه وسنة نبيه، ولطمع فى الدنيا، ورغبة للعلو فيها، وأمل فى البقاء الفانى، ومنافسة فى السيادة والمجد والشرف.

هذا ما أنتجه الانشغال بالتفاضل، وهناك أسباب أخرى تليه ليست بأقل منه أوجبت التفرقة والنفور والعداوة والشحناء، ما هى؟ وممن؟.

هى فتح باب الفتن بالتكلم فيما سكت الله عنه وسكت عنـــه رســـول الله ﴿ﷺ وآله﴾ رحمة بالمسلمين، فلم يحرمها، وأخبر ﴿ﷺ وآله﴾ أن الورع اتقاؤها، فلم يحكم أنها محرمة لأن الورع من أخص صفات المؤمنين، ومن أعمال القلوب التى يهـــب الله عليها رضوانه الأكبر.. ومن الذى قام بها؟

قام بها أدعياء تحصلوا على قشور من أحكام الشريعة المطهرة، فلم تقع بهم عـــين اليقين على حقيقة العلم، ولم يطلعوا على حكمة الأحكام، ولم يذوقوا حـــلاوة لـــب الألباب، ولم يعلموا أن محل نظر الله تعالى القلوب، وأن الخير كلـــه فى عملـــها، وأن القرب كله متوقف على التخلق بأخلاق الله والتشبه بالروحانيين من عمار ملكـــوت الله، فتركوا الجواهر تحت أقدامهم، وانصبوا بكليتهم على فتح أبواب الشبه، خذ لك مثالاً أو مثلاً:

١ - فرقة تزعم أنها الموحدة الوحيدة وغيرها من المسلمين كفار مشركون، وحقيقـــة الأمر أن أتباع هذه الفرقة هم النواصب الذين ناصبوا آل بيت النبى ﴿ﷺ وآلـــه﴾ العداء.

ومن أمثلة أقوالهم أنه لو جعل العبد بينه وبين الله تعالى وسائط من الأنبياء والأولياء يسألهم الشفاعة كان ذلك شركاً وعبادة لغير الله، وكذلك الصـــلاة فى مســـاجد آل البيت وأولياء الله الصالحين لا تجوز ومن يفعل ذلك فهو مشرك، كما لا تجيـــز هـــذه الفرقة زيارة روضة النبى ﴿ﷺ وآله﴾ وآله لأنها فى نظرها من الشرك وعبادة لغير الله.

كما ترمى هذه الفرقة إخواننا فى الإسلام من الصوفية والشيعة الإمامية بـــالكفر أو الشرك، وهم ممن يهتدى بهدى الله، ويسلمون وجوههم إلى الله، ولا يعرفون معبـــوداً سواه.

فكيف تبيح هذه الفرقة لنفسها ظن السوء ونفى الإسلام عمن يعتز به بلسانه، ولا يعتقد بغيره فى جنانه، ويشهد على صدقه عمل أركانه؟.

وعلى ذلك فهذه المطاعن التى توجه من هذه الفرقة للمسلمين أجمعين، ورميهم بالكفر والشرك يعد ذلك تفريقًا منهياً عنه لقوله عز شأنه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ (الأنعام: ١٥٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (آل عمران: ١٠٥).

فعمل هذه الفرقة خلاف لما عليه الكتاب والسنة فى لزوم التودد والتحابب بين المسلمين، لا التنافر والتعاند، ورمى بعضهم بعضاً بالكفر.

وهذا ما يذهب بنفس المسلم حسرات، ويميت قلبه أسفاً وحزناً، وها نحن اليوم أمام تيار المبادئ الفاسدة، والآراء الهدامة، والعقائد الباطلة التى تريد أن تقضى على الإسلام بالإسلام، وأن تتخلص من المسلمين بأيدى المسلمين، باسم خدمة التوحيد، وذلك عن طريق الاختلاف المذهبى على فرعيات هى محل نظر واجتهاد.

٢ – فرقة تزعم أنها أهل السنة وما عداها من المسلمين أهل بدعة.

ومن أمثلة أقوالهم أنه إذا جلس رجل فى بيت من بيوت الله يقرأ سورة الكهف قاموا فأنكروا عليه ورموه بأن ذلك بدعة وضلالة وسبوه وقذفوه، وجهلوا أن الغيبة ذكر الرجل أخاه بما يكره، ولو كان فيه، فجعلوا قراءة القرآن فى المسجد منكراً، وجعلوا الإصغاء بدعة وضلالة، مع أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يتدارسون القرآن فى المسجد على عهد رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾.

ولنفرض أن الصحابة لم يقرأوا سورة الكهف فى المسجد يوم الجمعة وأنها بدعة، فهل كل بدعة ضلالة؟ فكم من بدعة هى حسنة من الحسنات، وكم أحدث سيدنا ومولانا أبو بكر وسيدنا ومولانا عمر وسيدنا ومولانا عثمان بن عفان بدعاً هى عين السنة وما رآه المسلمون حسناً فهو حسن.

ونحن نعتقد حق العقيدة أن غيبة المسلم فسوق ومن الكبائر، وأن قذف المؤمن وسبه من الكبائر، وأن الحكم بغير ما حكم الله من الكفر.

تركوا الحكمة فى الدعوة، والموعظة الحسنة فى الإرشاد، وفتحوا أبواب الشر على المسلمين، وشغلوهم بما يضر ولا ينفع.

وقد تشتد حماقة الرجل منهم وغضبه على أمر هين كترك العذبة حتى يقع فى أكبر الكبائر حال دعوته إلى ترك مكروه، أو عمل مندوب وهو لا يشعر، وربما حكم بتحريم شئ وهو لا يميز بين الأنواع الطاهرة، والأنواع النجسة، بل ولا يميز الفرق بين نوع صفة النجاسة والطهارة، وكل ذلك من جهله بأسرار السنة، ومن جهله بنفسه، وجهله بقدر ما علم.

وقد كان البلاء منهم على المسلمين أشد من البلاء عليهم من أعدائهم، فإنهم شغلوا المسلمين بالوقيعة، وملأوا قلوبهم ضغائن، وجعلوا الصغار يحقرون السلف الصالح، والكبار يحقرون كبار أهل عصرهم.

وكذلك إذا رأوا جماعة يذكرون الله فى بيت من بيوته، أو يختمون الصلاة جهراً، أو يؤدون ركعتى سنة الجمعة القبلية والبعدية، أو يؤذنون الآذان الثانى يوم الجمعة، أو يؤذنون عامة بصوت ندى، قاموا فذموا وحكموا أن ذلك من البدع، وبذلك نصبت هذه الفرقة نفسها للإرشاد، وانتسبت للعلم ظلماً وبهتاناً، متذرعة بحجة أن هذا من الدين، وأن هذه نصيحة، وأن هذه الطريقة الشرعية التى أمر الله بها، ويجهلون أنهم وقعوا فى كبائر لا تحصى، منها مخالفة الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ فى أخلاقه، ومخالفة سنته فى الدعوة، وتنفير عباد الله، ووقوعهم فى بغض الدين وبغض أهله، وظنوا أنهم أحسنوا، وربما كان الذى يدعون إليه من الأمور المرغب فيها، أو كان الذى ينهون عنه خلاف الأولى، فعجباً! كيف يلقى الإنسان بنفسه فى الهاوية وهو يظن أنه يحسن عملاً؟ ما ذلك إلا من جهله.

٣ – فرقة تزعم انتسابها إلى الصوفية والتصوف، وهم الدعاة الجهلاء الذين يجلسون فى وسط العامة فيذكرون اسم ولى من أولياء الله، ويبثون عنه الأقاصيص التى توهم أنه ينفع ويضر، وأن من اتبعه يكثر ماله وولده، وأن من زار قبره تقضى حوائجه ويموت

أعداؤه، ويذكرون لهم من الكرامات ما هو حق وباطل، حتى يرغب فيه الناس فيكون بذلك ضرراً من جهتين: من جهة أنهم يتبعون طريقه لعاجل فانٍ فيكونون ممن يعبدون الله على حرف، ومن جهة أخرى أنهم يتبعونه لينتفعوا به من الجهة التى لا يمكنه أن ينفع نفسه ولا غيره، لأن النافع هو الله، ويحرمون النفع به من الجهة التى ينفع بها- لأن الله أقامه سبباً للنفع- وهى جهة تلقى العلوم، وفهم فقه القرآن الشريف، وتزكية النفس، وفهم أسرار التوحيد، وكشف حكم الأحكام، والتجمل بعلوم اليقين مما به السعادة الأبدية التى لا تذكر الدنيا فى جانبها بشئ إلا كما يذكر العدم مع الوجود.

وقد يحصل ضرر ثالث لا يقل عن هذين الضررين وهو أن يكون الرجل الذى يدعون إليه متوفى وليست له كتب علمية ينتفع بها من يقتدى به، فيحصل الضرر لمن اتبعه فيحرم من طلب الرجل العالم الذى جعله الله نوراً، ويحرم من الانتفاع بعلمه والاقتداء بعمله، وقد كثرت تلك الطوائف، وعم الضرر بهم، حتى صار أكثر العامة إذا اتبع طريقاً فكثر ماله وولده فرح واعتقد أن هذا من اتباعه للطريق، وإن قل ماله تشاءم وقال هذا من الطريق.

كما حصل فى عصر رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ من الذين أنزل الله فى حقهم قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ (الحج: ١١).

فدعوتنا- دعوة الإسلام- لا تكفر مسلماً، ولا تتهمه بأنه صاحب بدعة لمجرد أنه يخالف وجهتنا من نصوص الشرع وأدلته، لأن هذا تعسف فى التأويل والاستدلال بما ليس بدليل، وكل ذلك والعياذ بالله من العجب المهلك، والغرور الموبق، والغلو الضار، وليس لهذا مصدر إلا الجهل بالكتاب والسنة.

إننا ننادى بأن داء المسلمين تفرقهم وتضارب بعضهم لبعض، ودواؤهم الذى لا يصلح آخرهم إلا به، كما صلح عليه أولهم هو الوحدة ومؤازرة بعضهم لبعض، ونبذ التشاحن، وطرح بواعث البغضاء والإحن تحت أقدامهم.

و لم يزل السعى لهذا المقصد السامى والغرض الشريف إلى اليـــوم دأبنـــا الـــتى إلى الوحدة المقدسة- وحدة أبناء التوحيد- وانضمام جميع المسلمين تحت راية (لا إلـــه إلا الله محمد رسول الله) من غير فرق بين أجناسهم، وأنسابهم، وأوطانهم، ومذاهبهم، لأن الإسلام دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها، والإسلام وطن والمسلمون جميعاً أهله، والإسلام نسب يوصل إلى رســـول الله ﴿ﷺ وآلـــه﴾، وهـــذا هـــو ســـبيل رب العالمين،وطريق رسوله الأمين.

حكم المرتد

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْراً﴾ (النساء: ١٣٧)، هذا- وإن كان فى حق قوم تكرر منهم ارتداد عن الإيمان من المنافقين أو من أهل الكتاب- إلا أن الله جل شأنه لم يرد أن يعين بها أناساً مخصوصين، ولكنه سبحانه أراد أن يبين لنا نموذجاً من سلوك الناس فى كل زمان إلى يوم القيامة، وبين لنا حكمه فيهم وهذا أعم.

فقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن عليّ كرّم الله وجهه أنه قال فى المرتد: إن كنت لمستتيبه ثلاثاً، ثم قرأ الآية. وإلى رأى الإمام على عليه السلام ذهب بعض الأئمة فقال: يقتل المرتد فى الرابعة ولا يستتاب، وهذا الحكم يدخل تحته كل متلاعب مستخف إذا قامت قرينة على ذلك، وطابق عمله النموذج الذى بينه الله تعالى بهذه الآية، لأنه لا فائدة فى الاستتابة.

وعلى ذلك يكون المراد من قوله تعالى: ﴿لَّمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً﴾ (النساء: ١٣٧)، أنه سبحانه لا يفعل ذلك أصلاً وإن تابوا، لأن الله جلت قدرته حكم عدل، وقد أبت نفوسهم الخبيثة قبول الإيمان الثابت الخالص الذى يشفع لهم عند الله تبارك وتعالى بالمغفرة والهداية، ودل نفى المغفرة والهداية على نفى إرادة الإيمان الذى يقتضيهما، ويدلك على ذلك قول الله عز وجل: ﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ (المائدة: ٤١)، وطهارة القلوب إنما تكون بالإيمان، ونفى إرادة الإيمان أبلغ من نفى الإيمان، ولو أراده الله لهم لثبتوا عليه، ولم يترددوا فيه مرتين ثم ازدادوا كفراً فى المرة الثالثة، وكلما ازدادوا بعداً عن المغفرة والهداية وسبيل الجنة، وإرادة الله تبارك وتعالى لم تتعلق بإرادة الإيمان لهم، لعلم الله سبحانه وتعالى أن أعيانهم الثابتة فى الأزل أبت قبوله، وما ظلمهم الله ولكن ظلموا أنفسهم فى السابقة واللاحقة.

حقيقة المرتد عن دين الإسلام :

كشف الله لنا الحقيقة مبيناً أن المرتد عن دينه الحق لم يكن عليه بالحقيقة، لأن بشاشة الإسلام إذا باشرت القلوب هشت لها وبشت، ونظرت القلوب بعيون الإيمان إلى حقيقة وعد الله ووعيده، فأبت أن ترتد عن الإسلام ولو مشطت جلودهم بأمشاط الحديد المحماة بالنار، لأن عيون الإيمان تشهد ما فوق المادة من الغيب المصون، كشف الله تلك الحقيقة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ و مَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ ﴾ (البقرة: ٢١٧)، ردة أى: رجوع إلى مقتضى جوهر النفس الإبليسية المفطورة على الكفر بالله، بعد أن أسلم إسلام مقهور على الإسلام بالطمع والرغبة، أو إسلام تقليد لآبائه، فلما بلغ أشده دعاه خبث النفس إلى الكفر الذى هو مقتضى حقيقة النفس، وبقى على الكفر حتى مات عليه، دل ذلك على أنه كان فى إسلامه كافراً، لأن بشاشة الإسلام لم تباشر قلبه لعقده على الكفر.

﴿ أُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الْدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾ (البقرة: ٢١٧)، لأن أعمالهم القلبية الإسلامية مفقودة بالمرة، وأما أعمالهم الجسمانية التى لم تكن صادرة من القلب فإنها لا قيمة لها؛ قال الله تعالى: ﴿ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ (الزمر: ٣).

وقال ﴿ ﷺ وآله﴾: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله؛ ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) [رواه البخارى وأبو داود وابن ماجة والترمذى].

ومعنى حبطت: أى هلكت فى الدنيا، لأنهم بالردة يجب قتلهم شرعاً؛ ومعاملتهم بالشدة والجفاء والقتل- كما هو حكم المرتد شرعاً- وفى الآخرة معلوم سوء مآلهم: ﴿ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٧)، حكم من الله تعالى عليهم بأنهم يخلدون فى النار أبد الآبدين؛ أعاذنا الله تعالى منها.

حكم من ارتد بباعث قهرى :

أما من ارتد بباعث قهرى، يسوغ له أن يقول كلمة الكفر بغير قلبه، أو ارتد مؤثراً عليه ثم تداركته العناية فأنقذه الله من الكفر إلى الإيمان، فإن ذلك يدل على أنه مؤمن من الأزل، وأن ردته لم تكن حقيقة، وأنه يفوز يوم القيامة بجزاء أعماله كلها إذا مات على الإيمان، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾ (البقرة: ٢١٧)، أى: من ارتد وداوم على الردة حتى مات يخلد فى النار، وأما من ارتد فرجع إلى الإيمان، فإن الله سبحانه وتعالى لا يضيع أجره.

العمل بالقرآن هل يضر غير المسلمين؟

إن هذا الفهم من جَهِلَ وسعة القرآن، فإن غير المسلمين إما أهل ذمة الله ورسوله، وهم إخواننا ومواطنونا، وعليهم ما علينا، وقد جعلت لهم السنة من الخير والنعم ما ليس لنا، فهم معافون من الوقوف أمام العدو، وممتعون بالحرية التامة فى دينهم وعوائدهم وأخلاقهم، لا يعارضهم أمير ولا سلطان إلا ما تعلق بالظلم منهم على غيرهم، فهم فيه والمسلمون سواء، وقد منع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رجلاً من قواد المسلمين أن يبنى غرفة فوق بيته احتراماً لجيرانه من أهل الذمة، خوفاً من أن ينظر إلى عوراتهم، وأمر أن تستوى الأمة حتى فى بيوتهم.

ولذلك كان الأغنياء يبنون مساكنهم فى الأطراف حتى لا يؤذوا جيرانهم. وفى القرآن والسنة من السماح والرحمة بأهل الذمة ما جعلهم فى نعيم وترف أكثر الناس أموالاً.

وغير أهل الذمة من غير المسلمين إما أن يكونوا على عهد منا أو محاربين لنا.

فالمعاهدون: لهم الوفاء بعهدهم، ومزيد من الإحسان إليهم.

والمحاربون: أمرنا القرآن أن نحسن حتى فى محاربة أعدائنا.

وبهذا أسرعت الأمم إلى اعتناق الإسلام، ولو علم أعداؤنا ما أمرنا به القرآن بالنسبة لهم لبذلوا ما فى وسعهم لنرجع إلى العمل بالكتاب والسنة، والله تعالى أسأل أن

يوقظ قلوبنا، وأن يمنحنا التوفيق الذى يجمعنا على الحق إنه مجيب الدعاء.

حقيقة الخير والسعادة واللذة

معلوم أن الله سبحانه أخبرنا بأن الملكوت بيد واحدة منه، وأن الملك بيد واحدة منه، قال تعالى: ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (يس: ٨٣)، وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ (الملك: ١)، ثم أخبرنا بأنه خلق آدم بيديه معاً، ثم قال سبحانه: ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾ (آل عمران: ٢٦)، فحصر الخير فى يده سبحانه، و(بِيَدِكَ) متعلق بمحذوف خبر مقدم، والخير مبتدأ مؤخر، لأن الخير كله بيد الله تعالى يهبه لمن يشاء ويمنعه ممن يشاء، وهو المعطى المانع جل جلاله، ولى هنا أن أبين لك أن الله تعالى ما خلق الشر فى قدره وكل ما قدره جل جلاله خير، ولو انكشفت الحقائق لعيون البصائر لرضينا عن الله فيما قدر تحققاً بأنه لا يقدر إلا خيراً، وما تشقشق به ألسنة أهل الجهالة بالحقائق من أن الأقدار منها خير ومنها شر، فذلك لجهالتهم بحكمة إيجاد كل تلك الأشياء التى قد يعتبروها خيراً وقد يعتبروها شراً.

وعندى: أن الأمر الذى يرونه خيراً هو من الخير، وأن الأمر الذى يرونه شراً هو عين الخير لأنهم يرون الفقر والمرض والفاقة والذل وفقد نيل المشتهى شراً، ويرون كثرة المال والعافية ونيل الرياسة والسيادة والجاه والفوز بالانتقام من الأعداء خيراً، وليس ذلك بخير فى الحقيقة لأن الخير فى الحقيقة هو الله تعالى، ومن رأى أن الخير غير الله تعالى كذب على نفسه، وقد جهل الناس أربع حقائق- الخير والسعادة واللذة والنوم- فإن اللذة عند الجائع خبز وأدم، وعند العريان ثوب، وعند الخائف أمن، وعند من توفرت له تلك الأشياء لذته بامرأة فإذا نالها فبولد، فإذا ناله فبمال وعقار وهكذا. وليست تلك الحقائق لذة، ولكن اللذة الحقيقية هى نيل وإدراك ما هو خير فى الحقيقة ونفس الأمر، فلو أن رجلاً أبله نال ملك الأرض لم يكن متلذذاً لأنه لم يدرك منه شيئاً، وكذلك لو أن رجلاً مجنوناً أعطى كل ما يشتهى الإنسان أن يناله ما تلذذ به.

وإنى أبين لك الحقيقة.. الأكل فى نظرك لذة وهو عندى دفع الألم، لأن الإنسان يأكل ليعالج مرضاً، وهو خلاء فى جوفه، وألم فى معدته، ومعالج المرض ليس متلذذاً،

ودليل ذلك أنه لو ملأ بطنه وتناول لقمة قذفها وأبى أن يقبلها، فلو كان لذة لما شبع منه ولما تألم منه.

وكذلك الجماع يراه أهل الجهالة لذة وليس بلذة، لأن المنى إذا اجتمع فى المجموع المنوى سرى إلى العروق ثم إلى الأنثيين ثم إلى العروق فى الذكر وحصلت شدة الشبق كأنه مريض يريد أن يدفعه، فإذا دفعه حصل له الملل والتعب والكسل، ولو كان لذة لما دعا إليه هذا الألم، ولما أعقبه ذلك الألم.

وكذلك الثياب فإن ظواهر الجو تدعو إليها من حر وقر، فإذا اشتدت حرارة الجو وكان يلبس ثياباً كثيرة امتلأ جسمه حبوباً وحكة فى جلده حتى يخلع ما عليه من الثياب فيخففها رغم أنفه مما يصيبه من الألم، وإذا نزلت درجة الحرارة أسرع إليها فلبسها، وذلك هو الدواء لدفع المرض.

وكذلك النوم فإن النائم لا يتذوق لذة النوم لا قبله ولا فيه ولا بعده، أما قبله فإن الإنسان لا يتلذذ بمفقود، وأما فيه فإن الحواس محجوبة، وأما بعده فلا يتلذذ بمفقود أيضاً، فقد جهل الناس تلك الحقائق وكذلك السعادة والخير، فمن ظن أن الخير مال يوفره، أو جاه يجدده، أو قوة ينفذ بها انتقامه، فقد وقع فى الشر من حيث لا يعلم، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾ يعنى أنه- سبحانه- يهب الخير الحقيقى عنده لمن يشاء من خلقه وهو معرفة الله والشوق إليه، والتضحية بكل شئ فى سبيل الوصول إليه. وهذا هو الخير الذى ينتفع به العبد فى الدنيا والآخرة.

ما سبب كثرة أمراض هذا العصر البدنية؟

السبب فى ذلك هو جهل الناس بقوله تعالى: ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ (آل عمران: ٢٧)، أى: وتدخل أجزاء مظلمة من أجزاء الليل فى النهار، وتدخل أجزاء مضيئة من أجزاء النهار فى ظلمة الليل لحكمة تخفى إلا على أهل البصائر، وما يعلمه العقل منها أن ذلك يكون لراحة الأبدان من عناء العمل، ولحفظ

العينين من شدة أشعة الشمس، ولحفظ العناصر من أن يتغلب عنصر الحرارة واليبوسة لشدة الحرارة وكثرة الأعمال على الجسم فيهلكه، وقد جهل الإنسان تلك الحكمة فأطال النهار على الليل بما اخترعه من آلات النور والحرارة التي يستعملها فى المدن ليصرف أوقات الليل فى عمل للدنيا جاهلاً بقدر صحته، ولذلك فقد كثرت الأمراض كثرة لا تحصر وتعددت أنواعها، وكانت الأمراض فيما سبق قبل تلك المخترعات لا تتجاوز الأصابع عداً، أما الآن فأصبحنا نرى فى بنى الإنسان أمراضاً لا تحصى عداً، وكل ذلك من أن الإنسان جهل حكمة الله تعالى فى شروق الشمس وغروبها، فإن الشمس إذا طلعت نشط كل شئ على وجه الأرض، فترى الديكة تصيح، والحمير تنهق، وبنى آدم يسارعون إلى مزارعهم، ومتاجرهم، وصناعاتهم، وحرفهم، وإذا غربت الشمس سكن كل حى إلى مأواه، لتدوم صحته وعافيته، أو تتوفر أمواله وقوته. ولكن قتل الإنسان ما أكفره، فرح بما اخترعه بسبب الصناعات فلم يكفه عمل النهار من كل أعمال سعيه حتى أخذ قسطاً وافراً من الليل، فصرت لا ترى إنسانًا إلا وهو يشكو بدوار فى رأسه، وألم فى عينه، وتعب فى مفاصله، وضعف فى معدته، وخمول فى قواه العصبية والعقلية. كل ذلك لأنه جهل حكمة الله فى تقدير الليل والنهار، وفى نقص كل واحد منهما جزءاً وإضافته إلى الآخر، فلو أن الإنسان فقه حكمة الله فى إيجاد الأشياء، وعلم أنها خلقت له لاستراح وأراح فى الدنيا والآخرة، ولكان وهو فوق الأرض فى جنة عالية بما يشهده بعيون روحه فى بدائع إبداع صنع الله تعالى.

هل معنى كمال الدين عدم القياس؟

إن الله تعالى بين محابه ومراضيه كاملة مفصلة، لأنه ختم الرسالة بسيدنا محمد ﴿ﷺ وآله﴾، فصار العالم لا يحتاجون إلى أحكام تنزل من السماء إلى يوم القيامة، ولم يكن الدين ناقصاً، بل إن الدين كامل ولو لم ينزل منه إلا بعض الأحكام، لأن الدين أو الحكم الشرعى هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع، والله جل جلاله ينزل من دينه بقدر استعداد عباده، فكان الدين كاملاً من يوم

أنزل الله تعالى على حبيبه خاتم الأنبياء: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ (العلق: ١).

وكان سبحانه يمنح المزيد من الوحى للبيان والهداية حتى أكمل دينه، ومن قال: إن هذه الآية الشريفة تمنع الأخذ بالقياس فهو قول مردود، لأن الأحكام المأخوذة بالقياس- وهى استنباط المجتهدين الأحكام التفصيلية من كتاب الله- فهى من الدين الذى أكمله الله، وليس القياس خارجاً عن الدين.

هل باب الهجرة مفتوح فى هذا الزمان؟

قال بعض العلماء: الهجرة انتهت بعد فتح مكة، ولم يبق إلا الهجرة من محارم الله إلى محابه ومراضيه، وقال بعضهم: لا يزال باب الهجرة مفتوحاً، وخصوصاً عند المقتضيات.

وعندى: أن باب الهجرة فتح فى هذا العصر، دليل ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ﴾ (النساء: ٩٧)، والقابض على دينه فى هذا العصر كالقابض على الجمر، لأن أعداء الله بنى الأصفر جاسوا خلال ديارنا، وطعنوا فى ديننا، وسارع فيهم أهل النفاق رضا بالحياة الدنيا واطمئناناً إليها، ونسياناً ليوم القيامة، والواجب على المسلمين فى هذا العصر- ممن يعجزون عن الهجرة إلى أرض إسلامية- أن يتحصنوا بحصن الأمن، وهو التحيز إلى فئة قوية مسلمة، أو يتحفزوا للقتال، ومن أشرب قلبه الرضا عن أعداء الله، وظن أنه يعتذر يوم القيامة أو نسى الآخرة؛ كان ممن يقال لهم يوم القيامة: ﴿ادْخُلُواْ أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ (الزمر: ٧٢) أعاذنا الله وإخواننا المؤمنين من شرها.

حكمة تحريم

الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع وما ذبح على النصب والاستقسام بالأزلام

قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ (المائدة: ٣).

فى هذه الآية تلا علينا سبحانه وتعالى ما حرمه علينا، يقال: حَرُمَ الشيء امتنع، وحَرَّمَ الشيء بالتشديد منعه، أى: منع منه، فمعنى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ أى: منعتم من أكلها، أى: حرم الله على أهل الإسلام أكل الميتة.

﴿والميتة﴾ كل ما أباح الله للمسلمين تذكيته بالنحر أو الذبح إذا ماتت قبل أن تذكى، وحكمة تحريم الميتة التى ابتدأ الله ذكر المحرمات بها أن الموت قد يسبقه مرض يجعل اللحم رديئاً، خصوصاً إذا حبس الدم فى الشرايين والأوردة، أو تمزقت الشرايين فاختلط الدم باللحم، والدم سريع التعفن فيفسد اللحم، وجائز أن يكون مرض البهيمة خبيثاً، وقد حرم الله الدم فى الكتاب العزيز، وقال فى التوراة: [يا موسى لا تأكل الدم، فإن الدم هو النفس].

وعلى فرض أن البهيمة سليمة من الأمراض فإن الدم الذى يسفك عند ذبحها، يختلط بلحمها حال موتها بغير الذكاة؛ فيصير اللحم نجساً، قال الفقهاء بنجاسة ميتة كل ذى نفس سائلة الدم، فجعلوا الدم نفساً.

﴿ وَالدَّمَ ﴾ حرم الله الدم، فمنع أهل الإسلام من أكله لحكم كثيرة، منها أنه النفس وعنصر الحياة الذى يمر فى دورة القلب فيحيى كل الأعضاء، ثم يرجع فيمر فى الرئتين فيطهر فيهما بالتنفس، وبه حفظ الحياة الحيوانية، ومحاربة الأمراض فى الجسم

حتى يزيلها بحسب ما فيه من أنواع العناصر، والدم للطاقة، وإذا أخذ من الجسم أضعفه وأفسد الدم بملامسة الهواء فصار كله حيوانات سامة، ولم يحل من الدم إلا الكبد والطحال، قد حرم الله الدم لما فيه من النجاسة الطبيعية، ولو أن الإنسان أكله وهضمته معدته فإنه يولد فى الجسم أخلاطاً تفسد التوازن الإنسانى، فيتولد الجنون والحماقة والوحشية.

﴿ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ ﴾ إن الله تعالى ما حرم شيئاً إلا وحكم بنجاسته ذاتاً، والخنزير حيوان معروف ولم تظهر حكمة تحريمه للفقهاء، إلا أنه حيوان قذر فى أكله وشربه وحياته، لا يتغذى إلا بالنجاسات، ولله تعالى حكم عالية فيما حرم وأحل، فقد انكشفت حكمة تحريم الخنزير بعد أن ظهر فى لحمه دويدات صغيرة جداً أصغر من البعوض، توضع فى النار الحارة جداً فتعيش فيها وفى غير لحومها، ولا تموت تلك الدويدات عند طبخها، والحيوانات الموجودة فى بطون الخنازير تحيا وتنمو فى المعدة وفى الأمعاء، وقد يمتصها الدم لصغر حجمها ولسهولة امتصاصها مع العصارة الغذائية، فيتولد منها ديدان فى الكبد وفى المجموع البولى والمنوى وغيرها من الأعضاء الباطنة، وتسمم جسم من يأكل منها حتى يعيش فى ألم لا يبرأ منه، لأنه خالف أمر أرحم الراحمين.

وقد ظهرت تلك الدويدات فى لحم الخنزير بتحليله ، لتنكشف حكمة هذا الحكم الذى أنزله الله تعالى منذ ألف وثلاثمائة وخمسين سنة- كان ذلك وقت إملاء الإمام المجدد أبى العزائم للكتاب- حيث كان من يسمعون القرآن من رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ يسلمونه تسليماً.

وقد ثبتت المعجزة بأن القرآن كلام الله تعالى العليم بحقائق الأشياء، الذى يجب علينا له سبحانه أن نسلم له أمره ونهيه ما علمنا حكمه وما لم نكن نعلم، ونؤمن بخبره وعداً ووعيداً، وبخبره تعالى عن الأزل والأبد، فى معنى يجعلنا نتمثل الجنة والنار، وما به يفوز العبد بالنعيم المقيم، أو يشقى فى العذاب الأليم.

﴿ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ ﴾ الإهلال هو رفع الصوت، ومعنى هذه الآية أن كل ذبيحة رفع الذابح صوته عند ذبحها بغير اسم الله تعالى كما يذبح باسم الأصنام أو الأنداد فإنها محرمة شرعاً، وحكمة تحريمها أن الآكل منها راض بالكفر وبالأعمال الخاصة بأهله، وهذا الذبح منكر والواجب على كل مسلم أن يدفع المنكر حتى يقيم الحجة على أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، إيماناً بالله تعالى، وعملاً بما أنزله سبحانه، ولو خير المضطر لأن يختار من أى ذبيحة من الذبائح المحرمة يأكل، لاختار ذبيحة من غير ما أهل به لغير الله؛ بغضاً فى الكفر وفى عمل أهله.

﴿ وَالْمُنْخَنِقَةُ ﴾ المنخنقة هى أن أهل الجاهلية كانوا يخنقون الشاة ويأكلونها، فحرمها الله تعالى، وحرم كل حيوان ضغط على عنقه حتى مات، كما يضع الطير رأسه بين فرعين من فروع الشجر فيموت، أو بأى عمل من الأعمال التى يكون فيها الخنق مؤدياً إلى الموت.

﴿ وَالْمَوْقُوذَةُ ﴾ هى الحيوان الذى يضرب بخشبة أو بعصا حتى يموت، ووقذه يعنى ضربا ضرباً مميتاً.

﴿ وَالْمُتَرَدِّيَةُ ﴾ هى التى تتردى فى بئر، أو تهوى من فوق سقف عالٍ فتموت.

﴿ وَالنَّطِيحَةُ ﴾ أن ينطحها حيوان، أو يتناطح حيوانان فيموت أحدهما أو يموتا معاً، ولو سال الدم المسفوح منها بجراح النطح، لأن الدم المسفوح لا يترف جميعه من كل الجراح إلا من الودجين والحلقوم، فيبقى منه ما يمتزج باللحم فيحرم لذلك.

وجائز أن يسفك جميع الدم، ولكن تحريم النطيحة يكون بسبب تسمم اللحم بالانفعالات الشديدة، فيكون اللحم ضاراً بالأخلاق والآداب أو مسمماً للجسم، فإن شدة الغضب تفرز مادة سمية تجرى فى الدم وفى اللعاب، وقد ثبت أن الحيوان بل والإنسان إذا غضب وكاد ينفخ من فمه وخرج من فمه لعاب مات من صادفه إذا وصل إلى جرح به.

﴿ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ ﴾ أى: ما أكل كل حيوان مفترس، ولكنه خص السبع هنا لأنه

أجرأ الحيوانات المفترسة وهنا تكون المعنى: وما أكل السبع ما لم تدركوا ذكاته، قوله: ﴿ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ أى: إلا ما أدركتم ذكاته، بأن لم تكن الحياة قد فارقته بأن حرك ذيله أو عينيه أو صاح بصوته مما يدل على أن الدم لم يمتزج باللحم، ويمكن بذبحه أن يسيل ذلك الدم مسفوحاً، والاستثناء هنا يظهر أنه منقطع، ويكون التأويل: حرم عليكم ما أهل لغير الله به إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ ﴾ لكن ما أدركتم تذكيته فهو حلال لكم.

﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ ليست النصب هنا هى الأوثان، إذ لو كانت كذلك لكان الكلام مكرراً بعد قوله ﴿ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ ﴾ ولكنها أحجار كانت تنصب حول البيت الحرام يذبح عليها المشركون ذبائحهم، ويلطخونها بدمائها تعظيماً للأصنام، حتى ورد أن بعض الصحابة قالوا: (يا رسول الله، إن بعض العرب كان يلطخون الكعبة بدماء ذبائحهم تعظيماً لها . أفنفعل مثلهم؟ فأنزل الله: ﴿ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ﴾ وإن تأول بعض من فهم النصب أنها الأوثان من قوله: ﴿ عَلَى النُّصُبِ ﴾، أن على بمعنى اللام- وهو بعيد- وجائز أن تكون نصب اسماً مفرداً، أو يكون جمعاً مفرده نصابة على وزن سحب ومفرده سحابة.

﴿ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ﴾ الأزلام: جمع زلم وهى قداح الميسر، وهى ثلاثة أوراق مكتوب علَى الأُولى: أمرنى ربى أفعل، والثانية: أمرنى ربى أترك، والثالثة: بيضاء. فإذا أراد أن يعمل عملاً وضعها فى كيس ومد يده وأخرج واحدة منها، فإن وجد افعل أمضاه، وإن وجد لا تفعل ترك، وإن وجد البيضاء أعاد الورق فى الكيس وهكذا، وقد حكم الله على هذا العمل أنه فسق.

﴿ ذَلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ الإشارة تعود إلى ما تقدم من الأنواع التى حرمها الله تعالى ابتداء من قوله: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ﴾ إلى: ﴿ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ ﴾ كل ذلك فسق، والفسق هو الخروج عن الشئ، يقال: فسقت الحية، أى: خرجت من ثوبها. فالفسق هو الخروج، والفقس هو الخروج أيضاً، لهذا يقال للدجاجة إذ خرج من بيضها الفراخ: فقس

البيض، ويقال للحية إذا خرجت من ثوبها: فسقت، أى: خرجت للضـــرر والأذيـــة، فكذلك كل خارج من الحق إلى الباطل فاسق، وهنا يظهر أن الاستقســـام بـــالأزلام محرم، لأنه حكم بعلم الغيب أو ظن بالغيب، وإذا كان كذلك فإن الأخذ بالفأل أخذ بالطيرة، أو بما يعمله الناس من الاستخارات على السبح أو أخـــذ الطـــالع لكشـــف الغيب، أو بقولة بعض الملهمين، أو الأمور المسماة بالقرعة أو الرمل أو الودع أو الفول أو النوى مما يعمل المشعبذون محرم أيضاً.

ولكنا نقول:إن الفأل الحسن كان يحبه رسول الله﴿ ﷺ وآله﴾وقد نفى﴿ ﷺ وآله﴾ العدوى والطيرة والهامة لحكمة، والحقيقة أن الله حرم الاستقسام بالأزلام لأنها كانت تضرب عند الأصنام، وكانوا يعتقدون أن الأصنام هى التى تنفع وتضر وتعرف النـــاس الغيب بالاستقسام،فحرم الله ذلك، وأما ما عدا الاستقسام بالأزلام مـــن الاســـتخارة الشرعية، والفأل الحسن، ومن طمأنينة القلب، وما يخرجه الرمَّال أو صاحب الطوالـــع مع الاعتقاد بأن الله تعالى انفرد بالغيب وبالنفع والضر، وبأنه سبحانه يلهم ما يشاء من يشاء، فذلك ليس بمحرم ولا فسق فيه، وغاية الأمر أن الذين يعتقدون به لا يبلغـــون أعلى مقامات التوحيد، وقد ورد فى الحديث أن السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب لا يرقون ولا يسترقون، ولا يكرون ولا يستكرون وعلى ربهـــم يتوكلـــون، ومعنى ذلك أنهم عن ربهم راضون.

ميراث المرأة

لماذا ترث المرأة نصف الذكر؟

الحكمة فى هذا هى أنه جل جلاله جعل الرجل يدفع صداقاً للمرأة، وأوجب عليه نفقتها، ونفقة أولادها منه، ولذلك جعل لها نصف ما له. فلو فرضنا أن رجلاً مات وترك ولداً وبنتاً، وترك ثلاثمائة دينار، أخذ الولد مائتين وأخذت البنت مائة واحدة، وبعد ذلك دفع الولد خمسين صداق زوجته، وأخذت البنت خمسين صداقها من آخر، فصار عند الرجل مائة وخمسون، وعند المرأة مائة وخمسون، فاستويا، مفروضاً من مال الميت، لا فرق بين قليله وكثيره.

قال تعالى: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً ﴾ (النساء: ٧).

وحكم الله تعالى فى الأموال به حفظ المجتمع الإسلامى أخلاقاً وصحة ويساراً، حتى يكون المجتمع وسطاً لا يعتوره الفقر فيفسد عليه حاله، ولا الوسعة فى الأموال فتفسد عليه أخلاقه وآدابه، والإخلاص لله فى المعاملة يطيل العمر، ويوسع الرزق، ويشرح الصدر، ويسعد الناس، لأن إيثار النفس بما لا يحل لها مسخطة لله مغضبة للخلق، والأولى لأهل الإيمان أن يحافظوا على أحكام الله تعالى للفوز بالحسنيين.

والفرض فى اللغة: هو الحز الذى يكون فى الوتد ليربط فيه الحيوان، بل هو الحز الذى يكون فى كل قطعة خشب يراد الربط فيها أو ربطها بأخرى، والواجب هو السقوط، ولا فرق بين الفرض والواجب عند الشافعية إلا فى الحج، فترك الفرض يبطل الحج، وترك الواجب يوجب الدم. أما الحنفية فإنهم يرون خلافاً بين الفرض والواجب، فالفرض ما ثبت بالكتاب والسنة، والواجب ما ثبت بالسنة المؤكدة عندهم كصلاة الوتر (نَصِيباً) منصوب على الاختصاص، و (مَّفْرُوضاً) أى: فرضه الله تعالى.

منع الحمل والإجهاض

إن إزالة أرحام النساء بقصد منع الحمل والولادة، من تغيير خلق الله الذى قاله الشيطان، ويدخل فيه ما يتخذ من الوسائل التى تقوم بفساد موضع الحرث، أو تمنع وصول البذر إليه، وتكون المعصية محققة إذا كان الداعى إلى هذا العمل هو خوف الفقر وكثرة الإنفاق، وربما جر به ذلك إلى ما هو أكبر من الفاحشة وهو خلو القلب من الإيمان بالله، والثقة به، والتوكل والاعتماد عليه سبحانه وتعالى دون النظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَق نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ (الأنعام: ١٥١)، وقوله جل شأنه: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَاب مُّبِين ﴾ (هود: ٦)، وقوله عز وجل: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاق نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءاً كَبِيراً ﴾ (الإسراء: ٣١)، وقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (الروم: ٤٠).

ورب من يقول: إن القتل لا يكون إلا بعد نفخ الروح فى الجنين، وما دام لم ينفخ فيه الروح ولم يتحرك فى بطن أمه لا يكون هناك قتل، فأجيبه- لا من طريق الجدل والإفحام، ولكن من طريق الشفقة عليه، والخوف على البقية الباقية من الإيمان، لعل الله يهديه، ويستبين له الحق الذى لا ريب فيه-: اعلم يا أخى أيدنى الله وإياك بروح منه؛ أن الله يبدأ خلق الإنسان بحياتين قبل أن ينفخ فيه الروح، وتسمى الحياة الأولى: الحياة الكامنة، وتسمى الحياة الثانية: الحياة النامية. وقد بينهما الله جل جلاله بقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِين ﴾ (المؤمنون: ١٢) هذه الحياة الأولى، وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَار مَّكِين {١٣} ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (المؤمنون: ١٣- ١٤) وهذه هى الحياة الثانية. والمتأمل فى كلام الجليل

يعلم منه بالدليل أن الله بدأ خلق الإنسان من الطين وهو يعلم بكيفية وجوده فى الطين، كما قال جل شأنه: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ﴾ (النجم: ٣٢)، تمهيداً واستعداداً لقبول الحياة الثانية التى هى حياة النماء من النطفة إلى أن يكسوه لحماً.

ثم تأتى بعد هاتين الحياتين: الحياة المتحركة بنفخ الروح فيه، وعلم الله بالإنسان حين أنشأه من الأرض وكذلك وهو فى بطن أمه دليل على وجوده، لأن الله نفى عن علمه غير الموجود وهو الولد والشريك فقال عز وجل: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ ﴾ (يونس: ١٨)، لأنه لا وجود لولد له ولا شريك لله سبحانه وتعالى، ومن تأمل قول الله تبارك وتعالى: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً {١٣}وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً ﴾ (نوح ١٣- ١٤)، يعلم منه الإشارة إلى هاتين الحياتين السابقتين على نفخ الروح فى الجنين.

وليس المراد من سياق هذه الأدلة إثبات القتل؛ ولكن إثبات وجود خلق يتكون ليكون، ويتطور طوراً بعد طور لطلب الكمال، حتى يصل إلى درجة الكمال الذى يؤهله للظهور فى هذا الكون، ليكون مظهراً من مظاهر صفات الله وأسمائه سبحانه وتعالى، ويجرى عليه قضاء الله كما أراد له من الشقاوة أو السعادة حسب علمه سبحانه فيه أزلاً، ولتظهر اللاحقة ما أخفته السابقة، والحيلولة دون ذلك كله من التغيير الذى حكاه الله تعالى من قول الشيطان، ويظهر لأهل القلوب السليمة ما فيه من القبح والشناعة، وعدم الثقة بالله سبحانه فيما تكفل به جل جلاله لخلقه من الأرزاق، ومنفاه قول الله الصريح: ﴿ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾ (النساء: ١٩).

لكل تلك المعانى وجب على العلماء الذين يخشون الله أن يحذروا الناس من كل عمل يسلب الإيمان بالله تعالى، وهو عمل الشيطان، ولا يخدعنهم عن الحق بالباطل فيقول: أنا مؤمن بأن الرزق بيد الله، وأن الله ضمن الرزق لعباده، ويتلو قوله تعالى: ﴿ وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (الذاريات: ٢٢)، ثم يعود لعدم الثقة بالله مرة

أخرى فيقول: ولكن الدخل محدود، وكلما قل عدد الأولاد كانت معيشتهم أحسن، وهذا القول إن دل على شئ فإنما يدل على التردد فى الإيمان، وأن ما يقولـــه بلســـانه يكذبه اعتقاده وعمله، وكأنه يدور فى حلقة مفرغة من ضلال إلى هدى، ومن هـــدى إلى ضلال، وهكذا.. يكون كحمار الرحى يقف حيث سار.

اللهم إلا إذا قرر الطبيب المسلم الموثوق فيه ضرراً يحصل لـــلأم بســـبب الحمـــل، فيكون لها ولزوجها مندوحة لاتخاذ الوسائل التى يقررها ذلك الطبيب المســـلم لمنـــع الحمل دفعاً للضرر الذى يترتب عليه، والضرورات تبيح المحظورات، وأقر هذا مستندا إلى موافقة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ على العزل، وهو الوسيلة التى كانت موجـــودة فى زمنه ﴿ﷺ وآله﴾، مع تفويض الأمر لله تعالى يفعل ما يشاء.

تنبيه : ليست كثرة الولادة سبباً للفقر وانخفاض مستوى المعيشة، ولكن ســـببهما المباشر هو الكسل والجهل بقيمة العمل وبالعمل نفسه، إذن ترك العمل كسلاً أو جهلاً هو السبب الموجب للفقر وانخفاض مستوى المعيشة، وليست كثرة الأناسى، بـــل إن كثرة الناس معناها كثرة الأيدى، ولو عملت الأيدى الكثيرة لخير الأمـــة فى مختلـــف الحرف والمهن، لكان أعظم ثروة تملكها الأمة الثروة البشرية، ولما هان أمر الإنســـان كذلك حتى يمنع من ظهوره فى الوجود.

هل كان على عهد رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وسائل لمنع الحمل؟!

الإجابة: كان العزل هو وسيلة منع الحمل على عهد رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾.. وقد كرهه جماعة من السلف الصالح، ولم يكن خيار المتقين يعزلون، وأقل ما فيه الخـــروج من التوكل على الله عز وجل، وقلة الرضا بحكم الله تعالى، وكان ابن عباس ﵁ يقول: (العزل هو الموءودة الصغرى) فلقوله هذا استنباط حسن من السنة، وذلك أنـــه روى عن النبى ﴿ﷺ وآله﴾ فى فضائل الجماع: (إن الرجل ليجامع أهله فيكتب لـــه مـــن جماعه أجر ولد ذكر قاتل فى سبيل الله عز وجل، فقيل له: وكيف ذلك يا رسول الله؟

فقال: أنت خلقته؟ أنت رزقته؟ أنت هديته؟ إليك محياه؟ إليك مماته؟ قال: بل الله خلقه ورزقه وهداه وأحياه وأماته. قال: فأنت تراه فى هذا المعنى) يقول: إذا جامعت فأمنيت فى الفرج وقد قال تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ {٥٨} أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾ (الواقعة: ٥٨ – ٥٩)، فإذا لم يخلق الله من منيك خلقاً، حسب لك كأنه قد خلق منه ذكراً على أتم أحواله وأكمل أوصافه، بأن يقاتل فى سبيل الله فيقتل، لأنك قد جئت بالسبب الذى عليك وليس عليك خلقه ولا رزقه ولا هدايته، وإنما يقدر على ذلك الله عز وجل، وهو فعله مجرداً، فكان لك أجر ما لو فعله الله تعالى، إذ قد أتيت بما أمكنك عمله، فلذلك قال ابن عباس: (هو الموءودة الصغرى) لأنه يوجد بالعزل عدم هذا الفضل إذ كان العبد سبب عدمه، لأنه لم يفعل ما يتأتى منه الولد، فذهب فضله.

العزل دقيقة من الشرك الخفى:

إنما قلنا: إن العزل دقيقة من الشرك الخفى، لأن أهل الجاهلية كان سبب قتلهم بناهم معانى، أحدها خشية العار بهن، ومنها كراهة الإنفاق عليهن، ومنها الشح وخوف الفقر والإملاق، وكانت العرب تقول: من كان له أحد الحوبات الثلاث لم يشرف عشيرته، ولم يسد قومه، يعنون بالحوب: الأم والأخت والبنت، والحوبات: جمع حوبة، وهى كبيرة، قال الله تعالى فى أكل أموال اليتامى: ﴿ كَانَ حُوباً كَبِيراً ﴾ (النساء: ٢).

وعندى: ليس هذا الذى قلتم عندكم، وكان من خيار التابعين المؤمنين من يستحب له الجمع بين هؤلاء الثلاث: الأم والأخت والبنت، لما فيهن من عظيم المثوبة والفضل، ليخالف بذلك سنة الجاهلية، فقد توجد هذه المعانى أو بعضها فى العزل، فلذلك سميناه شركاً خفياً وكرهناه.

وهو مذهب الخوارج من النساء كأن فيهن من تقذر وتعمق من استعمال كثرة الماء

للطهارة، ودخول الحمامات ومجاوزة الحد فى الطهور، وكن أيضاً يقضين الصلاة أيام الحيض، ويصمن فى حيضهن، ولا يصلين فى ثياب الحيض حتى يغسلنها، ولا يدخلن الخلاء إلا عراة، وكانوا يكرهون الولادة طلباً للنظافة وكراهة للتقذر، خلافاً لسنة نساء العرب، ابتدعوا هذه البدع ففارقوا بها سنة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ وسنن نسائه، من أنباط العراق وأهل النهر، وكان بعضهن استأذن على عائشة رضى الله عنها لما قدمت البصرة فلم تأذن لهن فى الدخول عليها.

وأيضاً فإن الله تعالى ندب إلى اتخاذ الولادة بقوله تعالى: ﴿ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ ﴾ (البقرة: ٢٢٣)، قيل: الولد، وقال ﴿ﷺ وآله﴾: (تناكحوا تناسلوا فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة) [أخرجه أبو بكر بن مردويه فى تفسيره]، وقوله ﴿ﷺ وآله﴾: (خير نسائكم الودود الولود) [أخرجه البيهقى]، وقوله: (سوداء ولود خير من حسناء لا تلد) [أخرجه ابن حبان فى الضعفاء]، ومن بركات المرأة أن تيسر رحمها أحوج ما يكون إلى الجماع إذا طهرت من الحيض، وفى هذا الوقت أكثر ما يعبر النساء بالحمل، وأحمد ما يكون المولود عاقبة إذا علق به بعد الطهر، فلهذه المعانى عقب الله عز وجل الأمر بالجماع والولد بعد الطهر فى قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ ﴾ (البقرة: ٢٢٢)، ولأضدادها فى الكراهة والذم أمر الله تعالى باعتزال النساء فى الحيض، لأن غرسه يكون فى سبخة من الأرض فلم يزرع ولم يزك، ومن زرع من حرث طيب زكا زرعه وهو الغشيان فى الطهر، فلذلك قال: ﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ ﴾، وقد رخص بعضهم فى العزل رخصة عن رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وكان سعد يعزل.

العزل ليس هو الموءودة الصغرى:

قد أنكر الإمام على عليه السلام على ابن عباس رضي الله عنه فى قوله: إن العزل هو الموءودة الصغرى، وقال: إنها لا تكون موءودة إلا بعد سبع، ثم تلا قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا

الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ (التكوير: ٨)، أنها ذكرت بعد سبع، ثم تلا قوله عز وجل آية أطوار الخلقة: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ {١٢} ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً..﴾ إلى قول: ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ ﴾ (المؤمنون: ١٢- ١٤)، أى: فى نفخ الروح فيه، قال: فلا يكون موءودة مقتولة إلا بعد هذا السبع الخصال، ولأن الله عز وجل ذكرها فى: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ بعد سبع معان، ثم جمع بينهما فى الفهم فاستنبط ذلك، وهذا من دقيق العلم، وغامض الفهم، ولطيف الاستدلال الذى تفرد به عليه السلام لثقوب علمه، ونفاذ فطنته، وخفى استدلاله.

زواج المتعة

الذى عليه الإجماع: أن رسول الله ﴿ صلى الله عليه وسلم وآله﴾ حرّم المتعة بعد أن أباحها لضرورة قد يباح فيها للمسلم أكل لحم الميتة، وقد رفعت الضرورة والحمد لله، والذى أستحسنه بعدما علمت ما ورد عن جملة الصحابة رضى الله عنهم كعمر بن الخطاب وأمثاله أنها محرمة، حتى قال عمر: لو جاءنى رجل مستمتع بالنساء لرجمته.

قضية التقية

قال تعالى: ﴿ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً ﴾ (آل عمران: ٢٨)، وتتقوا: يعنى تخافوا، وأتى بلفظة تقاة لأنها ليست مصدر تتقوا، ولكنها اسم مصدر فإن مصدر تتقوا (اتقاء)، والتقاة هى الوقاية التى يخاف الإنسان أن لو لم يتوق بها أهلك نفسه أو ماله أو عرضه وقد قال تعالى: ﴿ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ ﴾ (النحل: ١٠٦)، والتقاة هنا مصورة بصور عدة، منها أن يكون الإنسان بين قوم كافرين فيخفى ما فى قلبه ويظهر بلسانه موالاتهم بالبشاشة والتأليف، وهى رخصة من الله حفظاً للدم والمال والعرض، وإن كان بعض العلماء قال: لايجب النظر إلى التقاة إلا عند الخوف على الدم فقط، إلا أن هذا تضييق، وقد ورد أنه ﴿ صلى الله عليه وسلم وآله﴾ قال: [من مات دون ماله فهو شهيد]. ومن التقاة أنه إذا قهره أهل الكفر على أن يكفر أو يقتل فله أن يظهر

كلمة الكفر بلسانه مع عقد قلبه على بغضهم وكمال الإيمان حتى يسلم من القتل، وهى رخصة من الله.

وقد أمرنا بمداراة الناس لأنه أصبح بين المسلمين وبعضهم كما بين الكفار والمسلمين بالنسبة للبدع التى حدثت، والتعصبات التى ظهرت، والمذاهب التى يسموها سياسية وهى شيطانية، فترى المؤمن يوالى الكفار والمسلمين المتحدين على رأى سياسى باطل ويعادى إخوته المؤمنين، ومن لم يراع فى ذلك المداراة مع وقاية قلبه من أن يحب أو يعتاد محبة من جهلوا الله ورسوله وأيامه خيف عليه من سلب الإيمان والعياذ بالله تعالى، وكم نجد من المسلمين جماعات يحاربون المسلم ومن معه من المسلمين، وينصرون الكافر ومن معه من أتباعه وأشياعه من المسلمين الجاهلين، غير ملاحظين فى ذلك إلاًّ ولا ذمة.

وهنا عندى: تحسن التقاة خوفاً على النفس والعرض والمال، فإن إثارة العواطف قد تلقى العداوة والبغضاء بين الوالد وابنه والأخ وأخيه تعصباً جاهلياً، وهى فتنة شيطانية أعاذ الله المجتمع الإسلامى منها ومن أسبابها.

ولو نظرنا فى هذه الأيام بعين البصيرة إلى المجتمع الإسلامى لوجدنا تلك البذرة الخبيثة تفرعت من سويداء القلوب إلى جميع الجوارح، فأصبح الناس بدلاً من أن يعبدوا الشمس والقمر والعجل يعبدون الزعماء الذين لا يعملون بدين الله ولا بسنة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ولا يحفظون قومية أمتهم، ويرون أنفسهم على زعمهم مسلمين، وما الإسلام إلا التسليم لله ولرسوله وللأئمة الرشدين المرشدين.

أما دعوى الإسلام مع الخروج عليه والعمل بغير شرائعه، فهى دعوى لم تقم عليها حجة، والدعاوى التى لا حجة تؤيدها باطلة. وإن الصلاة عادة، والصيام جلادة، والدين المعاملة.

الربا واليهود والبنوك

تعريف الربا

كلمة ربا مأخوذة من النمو والزيادة ، وأربى فلان يربى أى : زاده ، ومن الربوة وهى الارض المرتفعة عن مسطح ما حولها ، ويأكلون الربا أى : يستعملون مالهم لينتج لهم ما ينفقون على أنفسهم وأهليهم .

الربا : هو معاوضة الذهب بالذهب بزيادة أو استزادة ، أو الفضة بالفضة ، أو الشعير بالشعير ، أو البر بالبر ، أما المبادلة فيها مثلا بمثل ، يدا بيد ، سواء بسواء ،فليس ربا ، أما إذا اختلفت الأنواع فى المعاوضة بأن بعت برا بذهب أو ذهبا بذهب بفضة بزيادة أو استزادة فهو بيع حل ، قال سيدنا جابر رضى الله عنه : (لعن رسول الله ﷺ آكـــل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه) {رواه البخارى}

أقسام الربا

وينقسم إلى قسمين : الأول ربا النسيئة ، وهو أن تكون الزيادة المذكورة فى مقابلة تأخير الدفع ، ومثال ذالك :ما إذا اشترى إردبا من القمح فى زمن الشتاء بإردب ونصف يدفعها فى زمن الصيف . فأن نصف الغردب الذى زاد فى الثمن لم يقابله شىء من المبيع، وإنما هو فى مقابل الأجل فقط، ولذا سمى ربا النسيئة ، أى التأخير .

الثانى : ربا الفضل ،وهو أن تكون الزيادة المذكورة مجردة عن التأخير فلم يقابلها شىء ، وذلك إذا اشترى إردبا من القمح بإردب وكيلة من جنسه مقايضة بأن استلم كل من البائع والمشترى ماله .وكما إذا اشترى ذهبا مصنوعا زنته عشرة مثاقيل بذهب مثله قدره اثنا عشر مثقالا . وإنما حرم ذلك لما يمكن أن يوجد من التحايل والتلبيس على بعض ضعاف العقول ،

فيزين لها بعض الدهاة أن الإردب من القمح مثلا يساوى ثلاثة لجودته ، أوهذه القطعة المنقوشة نقشا بديعا من الذهب تساوى زنتها مرتين ، وفى ذلك من الغبن بالناس والإضرار بهم ما لا يخفى . والأصل فى تحريمه قوله ﷺ :(الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلا بمثل ، سواء بسواء يدا بيد ، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا يدا بيد) {رواه البخارى ومسلم وأبو داود }.

فهذا الحديث يدل على أنه لا يجوز بيع شيء من هذه الأصناف المتجانسة بمثله مع زيادة ، وأنه لا يجوز تأجيل التقايض فيها ، فلا يصح بيع جنيه من الذهب بجنيه وعشرة قروش لا يدا بيد ولا نسيئة ، كما لا يحل بيع قطعة من الذهب زنتها عشرة مثاقيل بقطعة من الذهب زنتها أحد عشر مثقالاً . ومثل ذلك القمح والشعير .... إلخ ما ذكر فى الحديث .

القرض ومتى يكون ربا :

القرض : هو السلف عرفاً وهو ذو قيمة ، يعطى لمقترض فقط فى نظير عوض مماثـــل صفة وقدرا فى ذمة المقترض ؛ لينتفع به المقترض فقط لا لنفع من أعطى ، ولا لنفعهما معاً ، وإلا كان ربا ، وإنما يجوز أن يقترض الرجل الحيوان ، والعروض والنقـــود ، لا الدار، والحانوت ، والخان ، والأرض ، والجارية التى تحل للمقترض.وحرم قرض جـــرّ نفعاً لمن أعطى كهدية ، وركوب دابة المقترض ،والأكل فى بيته لأجل الدين ، بـــل وشرب قهوته ، والتظلل بجداره ، كما تحرم الهدية للقاضى ، وذى الجاه ، إلا لوجـــه شرعى سابق على الولاية والجاه ، وفسد القرض إن جر نفعا لصاحب المال وإن قليلا ً ، ورد المقترض على صاحب الدين مثله قدراً وصفة إن تغير ، وعينه إن لم يتغير ، وإن رد أفضل مما اقترضه كان خيرا له إذا لم يشترط ذلك فى العقد ، وإذا اشترطه منع وتعين رد المثل ، وثواب القرض أعظم من ثواب الصدقة عند الله تعالى ، لأن المقترض أحوج ممن يسأل الناس فمن أغاثه أغاثه الله .

يمحق الله الربا :

إن الله تعالى يسلب من المرابى البركة والنمو والأجر والثواب ، بل يسلب الإيمان ، فكأن الربا ماحق ممحوق ، وذلك لأن مراد المرابى الزيادة فيحرم الزيادة فى عافيته وأولاده ، وفى ماله أيضا ، وفى دينه ، وكفى المرابى تعسة أن الله تعالى حكم عليه بما يحكم به على الكافرين ؛ لأن الجحود بالله والاستهانة بأحككامه سواء عند الله سبحانه، قال تعالى : (يمحق الله الربا ويربى الصدقات) (البقرة :٢٧٦)

ويربى الصدقات :

ويربى الصدقات أى :ينميها ويزيدها مضاعفة بمقدار لا تتصوره العقول فى الربح والبركة ؛لأن أكيس تاجر يربح عشرة فى المائة ، ولكن الصدقة يربح فيها المتصدق سبعمائة ضعف ، وقد يضاعف أكثر من ذالك كما قال سبحانه : (والله يضاعف لمن يشاء) (البقرة : ٢٦١) ، فأى إنسان يعقل عن الله تعالى يرى تجارة تعطيه فى الدرهم آلافا ولا يسارع إليها ؟!! أكل الحكم فى هذه النظرية إليك ، ولكن المرابى لا يجعل الله له نورا يتبين به حكمة أحكام الله ولا بصيرة يشهد بها ما أعده الله لأوليائه وأحبائه.

فضل الصدقة :

قال رسول الله ﷺ :(ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) ومن حسن معاملة الله فى إعطاء الصدقة ، أن تتحقق بأنك أخذت بإعطائك أكثر مما أعطيت ، فضلا عن ان الله أغناك وأفقر الأخر ، والأولى لك أن تترل نفسك مترلة الفقير ،وتترله مترلة الغنى ، وبدل أن يسألك تسأله ،فتسأله أن يقبل منك ، والأفضل فى المعروف أن يؤثر الرجل إخوانه من الفقراء على غيرهم من الأجانب .

روى عن على رضى الله عنه : لأَنْ أَصِلَ أخاً من غخوانى بدرهم أحب إلى من أن أتصدق بعشرين درهماً ، ولأن أصله بعشرين درهماً أحب إلى من أن أتصدق بمائة درهم ، ولأن أصله بمائة درهم أحب إلى من أن أعتق رقبة ؛ ولأن الله تعالى ضم الأصدقاء إلى الأقارب ، فكان فضل الصدقة على الصديق دون البعيد كفضل الصدقة على الأقارب دون الأباعد ، لأنه ليس بعد الرحم فى معناها أفضل من صلة الإخوان.

وكان بعض السلف يقول : أفضل الأعمال صلة الإخوان ،وإعطاء الزكاة لفقراء الصوفية ، وصلتهم بالهدايا مما يقرب إلى الله تعالى ، لأن قلوبهم مشغولة بالله وبذكره ،وأبدانهم عاكفة على الله ،وإذا أصابهم جوع أو حاجة شغلتهم عن إقبالهم ،فمن أعانهم فكأنه أعان على خير عظيم ، ولأنهم إذا وصلهم أحد بهدية أو بصدقة شكروا الله تعالى ، ورأوا النعمة منه سبحانه وتعالى ، فيكون المعطى أعان على شكر الله الخالص ، ومن أعان على خير فله مثله ، ثم يجعل زكاة ماله فى أرحامه الذين لا تجب عليه نفقتهم ،الأقرب فالأقرب ،من أخ وأخت ، وخال وعم وفروعهم، ثم جيرانه الفقراء ، ثم أهل ود والديه الفقراء ،كل ذلك يجعل المنفق على مزيد من فضل الله تعالى محبوبا عند الله تعالى ، مطمئن القلب على ماله ونفسه من آفة أو بلية ، حتى لو قدرها الله تعالى يتداركه باللطف .

بدء تحريم الربا :

أول آية نزلت فى الربا هى قوله تعالى : (يا أيها الذين ءامنو لا تأكلوا الربا أضعاف مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون) (آل عمران : ١٣٠)

ومعناها أن الرجل فى الجاهلية كان إذا أعطى الرجل مالاً وزاد عليه ربا ، ولم يتمكن من دفع المال فى ميعاده ، زاد عليه مالاً آخر وأجله، حتى قد يبلغ الربا أضعاف رأس المال ، فنهانا الله عن ذلك . وهذه الآية لا تفيد إباحة الربا بأقل من ذلك لأنها منسوخة بقوله تعالى : (وأحل الله البيع وحرم الربا) (البقرة :٢٧٥) ،وفى هذه الآية رد على من يقول بإباحة الربا بأقل من ال؟أضعاف المضاعفة .

وقد جعل الله تعالى كل خير يمنحه العبد متوقفا على التقوى ، فالتقوى سبب كل خير فى الدنيا والآخرة ؛لأن تقول الله تكسب الإنسان أخلاقاً جميلة من المراقبة لربه ، فيحب لغيره ما يحب لنفسه ، بل ويؤثر غيره على نفسه فى مرضاة الله تعالى ، فيلقى الله عليه محبة منه سبحانه فيحبه الخلق ، وبذلك يعيش سعيدا عزيزا ، فإذا مات واجهه الله بما يواجه به الأتقياء من عباده ، فأنزله فى دار كرامته ،وجمعه مع النبين والصديقين والشهداء ، وفى مقعد صدق عند مليك مقتدر . ومن اتقى الله تعالى ملأ الله قلبه غنى ، وأراح جسمه من العناء ، ووسع له رزقه ، والتقى قريب من الله ،قريب من الخلق

،قريب من الجنة ، بعيد عن النار ، قال تعالى : (واتقوا الله لعلكم تفلحون) (البقرة : ١٨٩) .

أى : لتفلحوا ، والإفلاح هو الفوز بجميع المقاصد ، فمن كان مراده الله فاز بمقصده ،ومن كان مراده ما دون الله من نعيم الآخرة ومسراتها فاز بسبب التقوى .

الحكمة من تحريم الربا

والحكمة من تحريم الربا أن المسلم يجب عليه أن يحسن إلى إخوته ، ومن الإحسان أن لا يزيد عليهم زيادة معلومة حتى كأنه اغتصب مالهم بدون عوض .

أما البيع : فإن التاجر إذا ضاعف الثمن فإن المشترى قد يظن أن البائع أكرمه ورخص الثمن له فلا يجد فى نفسه غضاضة ، هذه حكمة تظهر للعقول ، وحكم تحريم الربا كثيرة لا يتذوق سرها إلا العارفون بالله والراسخون فى العلم ، فانه سبحانه وتعالى أنزل أحكامه العلية ليتعبد بها خلقه فمن عرف الله سبحانه وتعالى عظمه سبحانه فى أحكامه فأسرع إليها ونفذها ، ومن جهل الله سبحانه وتعالى استهان بأحكامه فكان فى أحكامه فأسرع إليها ونفذها ، ومن جهل الله سبحانه وتعالى استهان بأحكامه

فكان طيّ تلك استهان بالله تعالى ، والمستهين بربه كافر .خصوصا إذا كانت نفســـه خبيثة

كنفوس من قالوا : (إنما البيع مثل الربا) (البقرة :٢٧٥) ولذلك يقول الله تعالى :(فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)(البقرة :٢٧٥)، وذلك يعنى أن المسلم الذى منحه الله النور والرشاد بموعظة الله تعالى التى بينت له الحلال والحرام ،فسارع مطيعا ، وأقبل سميعا ، ونفذ أوامر الله تعالى التى بينت له الحلال والحرام ، فسارع مطيعا ، وأقبل سميعا ، ونفذ أوامر الله تعالى على نفسه مجاهدا لها مع حبها للمال وزيادته منتهيا عن طاعة نفسه الأمارة بالسوء ،وعن نزوغه إلى خبث طبعه (فله ما سلف) أى : غفر الله له ما اكتسبه من الربا فيما مضى من الزمان مما انتهت فيه المعاملة بينه وبين من عامله بالربا ، لتعذر رد المظالم إلى أهلها من وجه ، ولجهله بحكم الله وموعظته من وجه اخر .

أكلة الربا يتلاعبون بالألفاظ :

إن أكلة الربا يتلاعبون بالألفاظ فيحتجون بقياس الربا على البيع فى قوله تعالى : (ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا)وهذا يشير إلى التخبط ،وفى هذه الآية وعيد شديد على من يأخذون بالقياس بعد النص فإن أول من أخذ بالقياس بعد النص الصريح إبليس ، أمره الله تعالى بالسجود لآدم فامتنع محتجا بالقياس قال :(أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين) (ص : ٧٦) ، فكذلك أكلة الربا يحتجون بالقياس

وكان الأولى أن يقولوا :إنما الربا مثل البيع ، ولكنهم فى قولهم هذا بيان أنهم يرون الربا أحل من البيع يريدون أن يجعلوا الربا مشبها به ،والبيع مشبه وفى ذلك دليل على خبث نفوسهم وطيش عقولهم ، والواجب على كل مسلم ؟أن يلتزم الأدب بعد النص الصريح ، ولا ياخذ بالقياس إلا إذا لم يكن نص صريح بكتاب أو بسنة أو إجماع ، ومع أخذ بالقياس وقع فى الهوى ،والهوى أخو العمى وهو يسلب إيمانهم أو يكاد.

من قال : الربا فيه نفع ؟!

ولكنا نجد بعض العلماء يفتى بإباحة الاقتراض بالربا عند الضرورة ، ولقد صور النبى ﷺ الضرورة التى تبيح الحرام إجابة عن سؤال فقد قال السائل :(إنا نكون فى

الأرض تصيبنا المخمصة فمتى تحل لنا الميتة ؟ فقال ﷺ (متى لم تصطحبوا أو تعتقبوا أو تجدوا تقلا)فهو ﷺ لم يعتبر حال الضرورة إلا فى هذا ، فهل الحاجة إلى التعامل بالربا من هذا الصنف حتى تشتمل ما حرم الله تعالى ؟!

فهل يكون الدائن فيه كمن لا يجد الأكل فى الصباح ولا فى المساء ؟!

قد يكون المقترض فى حالة قريبة من هذا ، ولكن المقرض لا يكون فى مثل هذا الحال .

ومن مقررات الشرع أن الضرورات تبيح المحظورات ، قال تعالى :(فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم)(المائدة : ٣)، وأن الإسلام منع الحرج فى الدين قال تعالى :(وما جعل عليكم فى الدين من حرج)(الحج :٧٨) ، وعلى ذلك فإن المحرمات نوعان :

أ- محرم لذاته : كأكل الميتة وهو لا يباح إلا للضرورة .

ب- محرم لغيره : كرؤية جسم المرأة ، فإنه يحرم لأنه ذريعة إلى الزنا ، وهذا يباح للحاجة .

والضرورة :ما لا يستطيع الإنسان أن يعيش بغيرها . أما الحاجة :فهى ما يستطيع الإنسان أن يعيش بدونها ولكن يكون فى حرج وضيق.

فمن أى هذين النوعين حاجتنا إلى الربا ؟ وهل نحن قد انسدت أمامنا كل الطرق الكسب الحلال ولا يمكننا العيش حتى نستبيح الربا باسم الضرورة ؟!

قال ﷺ : (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات) متفق عليه ، وإننـــا علينا أن نعمل ؟أولا على البحث عن الكسب الحلال ونفتح أبوابه على مصراعيها وكفى فى ذلك أن النبى ﷺ قال (لعن أكل الربا وموكله وكاتبه وشـــاهديه) (رواه البخارى)

أما عند الضرورة . فإن الضرورة ،لا تقدر إلا بقدرها ، وهى ما يترتب على ترك الحرام هلاك للنفس أو تلف عضو منها .

بيان فى الضرورات التى تبيح المحظورات :

من مقررات الشرع : أن الضرورات تبيح المحظورات .قال تعالى :(فمن اضـــطر فى مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله عفور رحيم)
(المائدة : ٣)، فقوله سبحانه : (فمن اضطر)أى : أحوجه الضرر الفادح بالجوع الذى لو دام لقتل الانسان ، وبين ذلك سبحانه بقوله : (فمـــن اضـــطر) أى : ألجأته الضرورة لوقوع الضرر به فى حالة مـــا إذا كـــان غـــير متجـــانف لإثم ، والمتجانف : هو الذى يميل إلى ارتكاب المحرم طمعا وشهوة وقصداً بها فى الوقوع فيما يخالف الشريعة .

وقال تعالى : (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفـــور رحـــيم)(البقرة : ١٧٣)، فالاضطرار : هو قهر الضرورةالفادحة التى تبيح المحظورات ، و (غير) هنا حال من اضطر ، و (باغ) أى : متجاوز الحد الوسط بأن يتأول حل الشىء أو إباحته بالضرورة التى قد لا تبلغ هذا المقدار . (والعاد) هـــو المعتـــدى الحق إلى الباطل .

أى أن المضطر يجب أن يلاحظ المقدار الذى بينه الله لإباحة المحظـــورات ، فـــلا يتجاوز ولا يتعدى حدود الله .

مضار التعامل بالربا

١- الربا يؤدى إلى الخسران فى الدنيا والآخرة

إن الله سبحانه وتعالى حرم الربا بنص ظاهر مفسر لا جهالة فيه ولا غموض ولكنه لعلمه سبحانه وتعالى بما سيكون من أصحاب النفوس الخبيثة المائلة إلى الشح والطمع قال سبحانه وتعالى : (ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (البقرة : ٢٧٥) وقد حكم الله سبحانه على مستعمل الربا بالكفر لأن لفظة أصحاب النار تدل على دوام الإقامة فى جهنم لأنهم يصاحبونها وتصاحبهم . وذلك كمت ورد

فى قوله تعالى : (ومن كفر) (آل عمران :٩٧) ، فى حكم الحج أى : من لم يحج ، وفى هذا الحكم تهديد ووعيد شديد ، وذلك لأن من خالف الله تعالى وأطاع شحه وهواه وحرصه على المال فقد بخل على الله تعالى وتكبر على أمره عز وجل ، ولأن البخل اختبار من الله لعباده ويكون فى المال لأنه شقيق الروح ، وما جاد امرؤ بماله فى سبيل الله إلا عوضه الله عنه بكل درهم سبعمائة درهم ، وضاعف هذا المزيد من فضله

، لأن الله تعالى يعلم شح النفوس بالمال ، ومن جاهد نفسه فى هذا السبيل فبذل ماله لوجه الله تعالى كتب عند الله تعالى من خيرة المجاهدين فى سبيله ، كما ورد فى قوله تعالى : (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء ....) (البقرة : ٢٦١) .

أما قول الله تعالى عن الذين رجعوالأكل الربا بعد الموعظة من الله ، بانهم (أصحاب النار هم فيها خالدون) فهذه الآية الشريفة أذابت قلوب أهل الورع حتى جعلتهم لا يتناولون طعاماً ولا شرابًا إلا بعد أن يحتاطوا لأنفسهم من الوقوع فى هذا البلاء – أعاذنا الله منه – لأن الخلود فى النار لا يكون إلا لأهل الكفر بالله تعالى وهل بعد قوله تعالى :(أصحاب النار) وتأكيد ذلك بقوله : (هم فيها خالدون) بالجملة الاسمية التى تغير الاختصاص ؛ يشك عالم بأساليب اللغة العربية فى أن الله حكم عليه بالكفر حكما صريحا ؟!

٢- أكلة الربا حرموا كل عطف ورحمة

لقد قال الله سبحانه وتعالى : (يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم) (البقرة : ٢٧٦) ، فنفى المحبة عن أكل الربا دليل على أنه حرم كل عطف

ورحمة من الله بدليل قوله تعالى : (كل كفار أثيم) فجعل الله آكل الربا — أى : مستحلة عالما به — كافرا مبالغة بمعناها بمعناها الحقيقى فى الكفر ، وحظر على

العقول أن تفهم أن مثل هؤلاء إذا ماتوا على ماهم عليه يفوزون بمغفرة الله بدليل قوله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ...) (النساء : ٢٨) ، من الكبار الأخرى التى لم يهدد الله عليها بالخلود فى النار أعاذنا الله .

عقوبة أكلة الربا :

١- أكلة الربا يكونون يوم القيامة كمن مستهم الشياطين :

قال الله تعالى : (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) (البقرة : ٢٧٥) ، والتخبط هو الضرب على غير استواء ، والمتخبط هو الذى يضرب منه البدن . ومس الشيطان : هو تسليطه على من أضلهم الله فحرمهم من القابل . فإن الإنسان الذى اختلفت عناصره المكون منها تراه يترعج لأقل حركة وصوت فيترعج انزعاج من فوجىء بصدمة فادحة وكذلك يكون من مسه الشيطان ، ولما كان الشيطان جسمًا ناريًا لا تقوى البشرية على ملاقاته كان مسه للإنسان موجبًا للتخبط ، وكذلك أكلة الربا إذا قاموا يوم القيامة وشهدوا ما أعد لهم من أليم العذاب وشديدة تذهب أنفسهم شعاعا .

٢- الله تعالى يأذن أكلة الربا بحرب من الله ورسوله :

قال تعالى : (يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله .....) (البقرة :٢٧٨، ٢٧٩) ،

ومعنى قوله سبحانه : (وذروا ما بقى من الربا) هو الزائد على اموالكم من الذين عليهم الدَّيْن ، إن كنتم صدقتم الله ورسوله ﷺ وسلمتم لى تسليما .

فلما نزلت الآية قال العباس بن عبد المطلب : تنازلت عن مالى من الربا إجابة لأمر الله تعالى ، وترك الكثير من الصحابة ما كان لهم من الربا .
(فإن لم تفعلوا) أى : إن لم تتركوا ما بقى من الربا ، أى : أصررتم على أخذ

الربا مخالفة لأمره سبحانه ، (فأذنوا) أى : اعلموا بحرب من الله تعالى ورسوله .
وفى هذه الآية شديد التهديد وعظيم الوعيد ولا تجد مؤمنا يسمع قول الله :
(فأذنوا بحرب من الله ورسوله) إلا ويسارع إلى الاستجابة لله .

اليهود يسرقون ثروة العالم بالربا

اليهود شر الخلق فى سلب ثروة العالم باستعمال الربا ، قال تعالى : (وأخـــذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابًا أليما)(النساء : ١٦١)، أى حرمه الله تعالى عليهم ، لأن الربا سرقة يضطر إليها الفير ، ولا يأكل الربا إلا وحش مسلوب الرحمة يمتص دم الإنسان ، أو شيطان يـــؤثر نفسه بمرافق الحياة حسداً من نفسه أن يرى النعمة فى يد غـــيره ، وآكـــل الربـــا كالقاتل الذى أكل دم مقتوله .

أما أكل أموال الناس بالباطل فهو أخذ الولاة والقضاة والحكام الرشوة من بعض المتخاصمين بيحكموا بالباطل ، ومِنْ أكل أموال الناس بالباطل : تحريفهم الكلـــم عن مواضعه ، ويدعون أنها من عند الله ، ويبيعونها للناس بأموال باهظة ، وليست من عند الله ، ولكنها من أباطيلهم وأكاذيبهم ، ليستعبدوا العامة ، وكل ذلـــك بالباطل ، أى : بغير الحق . ولذلك أعد الله لهم يوم القيامة عذابا مؤلماً ، خالدين فيه .

حكم ما اكتُسِبَ من الربا بغير العلم به :

المسلم الذى منحه الله النور والرشاد بموعظة الله تعالى التى بينت له الحلال والحرام ، فسارع مطيعًا ، وأقبل سميعا ، ونفذ أوامر الله تعالى على نفسه مجاهداً لها مع حبها للمال وزيادته منتهياً عن طاعة نفسه الأمارة بالسوء ، وعن نزوعه إلى خبث طبعه قال تعالى (فمن جائه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف) أى : غفر الله له ما اكتسبه من الربا فيما مضى من الزمان مما انتهت فيه المعاملة بينه وبين عامله من بالربا ، لتعذر رد المظالم إلى أهلها من وجه ، ولجهله بحكم الله وموعظته من وجه آخر .

وجزاء من عدل عن أكل الربا بعد الموعظة من الله تعالى أن ينال من الله تعالى الجزاء الحسن ، إذا هو قبل وأقبل . وهذا الجزاء يكون فى الدنيا بالبركة فى

النفس والأولاد والمال ، وبالرفعة بين الخلق وإقبالهم عليه ، وفى الآخرة بمجاورة الأخيار من الأبرار والصديقين .

نفى محبة الله عن آكل الربا :

نفى الله محبته عن آكل الربا بقوله تعالى : (والله لا يحب كل كفار أثيم) وبهـذه الآية يثبت الله أن آكل الربا حرم كل عطف ورحمة من الله تعالى ، وقـد أنكـر بعض من لا رسوخ لهم فى العلم محبة الله للعبد ، وتأولها بأنها إغداق النعم عليه التى تكون فى الآخرة ، فإن إغداق نعم الدنيا يسمونها رحمة ، وقد جرأهم على هـذا تعريفهم المحبة أنها لا تكون إلا بسبب قائم ، كالأبوة والبنوة والزوجية والمنفعـة ، وما أشبه ذلك .

وقال بعض من لهم علم : المحبة لا تكون إلا بمشاكلة ، وليس بيننا وبين الله تعالى مشاكلة تتره وتعالى فلا ينبغى أن تؤوَّل محبة الله تعالى بمحبتنـا ، بـل يجـب أن نفهمهما فهما غير ذلك .

وعندى : أن المحبة جلّت عن ان تعرف بحد أو برسم ، والمحبة هى الإرادة ، فـإذا تعلقت إرادة الله تعالى برحمة عبد وفقه الله لما ينال به السعادة فى الدنيا والآخرة ، وإذا تعلقت إرادته بمحبة عبد أقامه سبحانه فى مقام العلم به ، ومشاهدة أسـراره العلية من مشاهد التوحيد ، ومن مقامات التتريه والتفريد ، وهذه تسمى محبـة ، وكل المخالفين لنا يسلمون بها ، فكان الأولى لهم أن يقولوا إن الله يحب حقـاً ،

ومحبته أرادته . كما قالوا : إن الله رحيم ، والرحمة عاطفة فى القلب تميل بـــه إلى نفع المرحوم ، فهل الله له قلب ؟ و لم يقل أحدهم : إن الرحمة مؤولة ، بل سلموا هذا الاسم تسليما ، فمن يسلم باسم لله هو بالنسبة لنا رقة فى القلـــب تقتضـــى العطف على الآخر ، و لم يعارض فى تسمية الله بهذا الاسم ، فبيس لـــه أن يعارض فى تسمية الله بأنه محب ، وإنما خالفنا فى هذا الموضوع من حرم ذوق المحبة .

وإليك بيانا كنت أكره أن أسطره على الورق ، فسلمه إن شئت واقبله ، او رده إلى

أهله ، وذلك أن رسول الله ﷺ قال : (تخلقوا بأخلاق الله تعـالى) وأخلاقه سبحانه هى صفاته العلية ، وقد أمرنا ﷺ بالتخلق بها ، فالله عليم ونحن نتخلق بالعلم ، وهو صفته ، والله كريم ورءوف وحليم وصبور إلى آخر الأسماء . ومتى جمل الله العبد بخلق من أخلاقه أو أكثر أحب أخلاقه سبحانه فى العبد . والظرف تابع للمظروف ، وإنما احب صفاته العلية لا ستجلائها فى هيكل الإنسان المحبوب ، وعلى ذلك فلا اعتراض على من فهم لفظ المحبة بمعناها الحقيقى .

وقد قدمت لك أن المحبة أجل من أن تعرف بحد أو برسم ، لأنها سر بين الحبيب والمحبوب ، ولا يعلم سر الله إلا الله ، ومن جمله الله بهذا الجمال .

فنفى المحبة عن آكل الربا دليل على أن حرم كل عطف ورحمة من الله ، وأهله لعذابه وشديد نقمه .

الحق يأمر المؤمنين أن يزرُوا ما بقى من الربا :

قال تعالى: (يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين) (البقرة : ٢٧٨) ، يقول الله تعالى : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، وخافوا وعيد الله الذى هدد به آكل الربا ، ذروا : أى دعوا ما بقى من الربا الذى هو

الزائد على رؤوس أموالكم من الذين عليهم الدَّيْن ، إن كنتم صدقتم الله تعـــالى ورسوله ﷺ ، وسلمتم لى تسليما . فلما نزلت الآية قال العباس بن عبد المطلب : تنازلت عن مالى من الربا إجابة لأمر الله تعالى ، وترك كثير من الصـــحابة مـــا كان لهم من الربا .

وإن تبتم عت أكل الربا ، وتركتم ما على الناس مـــن الربـــا ، وأخـــذتم رؤوس أموالكم بدليل قوله (فلكم رؤوس أموالكم) أى : فالحق الذى لكم أن تأخذوا رؤوس أموالكم (لا تَظْلِمُونَ) الناس باخذ مالا عوض فيه مما حرمـــه الله ، (ولا تُظْلَمُونَ) بأن يمتنع الناس عن إعطائكم مالكم ، بل ولا تظلمون يوم القيامة ، لأن الله يغفر لمن تاب فضلاً ، ويعاقب من خالف أمره عدلاً ، قال تعالى (ولا يظلم

ربك أحدا) (الكهف : ٤٩) .

حكم دفع الدين على غير ربا ودين الربا :

المرابى ليس له حق أن يقهر المدين على دفع الدين ، وليس للحاكم أن يعينه على قهره ، بل يجب على الحاكم أن يحكم بإرجاء دفع الدين حتى يتيسر، بخلاف ما إذا كان دينا على غير ربا، فإن الحاكم له أن يحبس المدين وأن يهدده ، وأن يرغمه على الدفع ، وقال بعض العلماء : سبب هذا الحكم خاص بالربا ، وخصوص السبب لا يقتضى خصوص الحكم ، بل على صاحب الدين إن حصلت العسرة للمدين أن يرجئه إلى اليسار ، وقد أخذ بها أهل العلم بحسب اجتهادهم ، قال تعالى : (وان تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون) (البقرة : ٢٨٠) .

وتصدقكم برؤوس أموالكم على المدينين خير لكم عند الله تعالى ، فإن فى الصدقة عليهم نجاة لهم من الفاقة ، وسرور لقلوبهم ، وتخلقنا بأخلاق الله الرءوف الرحيم الكريم العفو سبحانه ، وفى ذلك الفوز برضوان الله وغفران السيئات ، والفرح بتبديل الله السيئات حسنات .

(إن كنتم تعلمون) أى : تعلمون محاب الله ومراضيه ، وحسابه يوم القيامة ، وما يفوز به المتصدق برأس ماله على المدين من النعيم المقيم فى جوار من جملـهم الله بأخلاقه العلية .

البنـــــوك

لما أنشأ طلعت باشا حرب بنك مصر ، وكان لهذا البنك الفضل فى تحرير الاقتصاد المصرى وانطلاقه من تبعية الاستعمار ، وقف الإمام أبو العزائم رضى الله عنه بكل قوة وتأييد لخطوات طلعت حرب ، بل واستخدم المنتجات الصناعية المصـــرية ، وحث أبنائه على استعمالها .. و لم يعترض على إنشاء البنك لخدمته الوطنية الكبيرة (١) .

(١) البنوك ضرورة عصرية لأن المشروعات العملاقة تحتاج إلى رؤوس أموال كبيرة لا يستطيع الأفراد القيام بها ، و لم تكن البنوك على عهد السلف الصالح ، والاجتهاد بشأنها – لمن بلغ درجة الاجتهاد – إن أخطأ صاحبه فله أجر ، وإن أصاب فله أجران .. فالذى لديه القدرة على الإتجار بماله دون الرجوع للبنك فهذا أفضل ، ومن لم تكن لديه القدرة على الإتجار وأودع ماله بالبنك مقابل عائد مادى فلا شيء عليه لانتفاء الاستغلال الذى هو شرط من شروط الربا ، وكذلك الذى يقترض مبلغا من المال من البنك لا يتوفر فيه شرط الاستغلال والاحتياج الشديد ، بل إن البنك لا يقرض المال إلا فى وجود ضمانات كبيرة .. ولهذا فشروط الربا غير موجودة بهذا القرض وهو غالبا ما يكون لإقامة مشروعات تعود على الناس بالخير .. ولكن يجب فى هذا العصر أن تودع الأموال وتقترض من البنوك الوطنية وليس الأجنبية أو المشتركة .

الأزهر والأزهريون :

الأزهر معهد لتحصيل علوم الدين، وعلوم الدين كلمة مجملة تفصيلها علم حفظ القرآن رواية وتفسيره، وعلم الأحكام الشرعية، وعلم العقيدة الحقة، وعلم الأخلاق والآداب الشرعية، والمعاملات، ومعرفة النفس، ومعرفة الله تعالى، والمسارعة إلى العمل بما علم، ثم علم سياسة النفس وتدبير المنزل وتدبير المجتمع الإسلامى، وعلم ما به حفظ المجتمع من أعدائه الداخلية والخارجية.. هذه كلها علوم النبوة التى أسس الأزهر الشريف لها، وحبس عليه لأجلها الأطيان وموارد البر.

والأزهريون أنجم الهدى المشرقة على المجتمع الإسلامى لبيان سبل الله تعالى، بل هم ينابيع عين الحياة التى تنفجر بشراب الأرواح وطهرة الأشباح، والأزهريون نوعان: عالم ومتعلم، فالعالم فى الأزهر بالنسبة للمتعلم والد رءوف رحيم، بل صورة مجملة بجمال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، ومصور متقن يرسم الحقائق الغيبية المصونة من معرفة الله تعالى ومعرفة أيامه ومعرفة حكمة أحكامه بأجمل صورة على جوهر نفس المتعلم حتى يبلغ به إلى مقام يتمكن فيه من علم اليقين أو عين اليقين أو حق اليقين، وهذا التعليم ينبغى أن يكون أولاً بالعمل تخلقاً بالفضائل خشية من الله، وزهداً فى الدنيا، وعزة للنفس عن مداناة أهل الدنيا، وعن الوقوف على أبواب الملوك والأمراء غيرة للحق إعظاماً لله سبحانه، ومسارعة إلى محاب الله ومراضيه جل جلاله، ثم يعمل بالعلم فيتكلف أمام المتعلم أن لا ينطق إلا بالحق، وأن لا يبين إلا ما يجعل المتعلم مسارعاً إلى الكمال، فيتباعد عن الشبه والخلافيات، وعن احتقار العلماء من السلف والخلف وعن أشخاص معينين بالسوء، حتى يكون محبوباً للقلوب، مهيباً فى النفوس، معظماً عند الخاصة والعامة، فينتفع الناس بعلمه وعمله، ولا يكون ذلك إلا إذا جمل سريرته لله تعالى، فإذا جمل علانيته للناس كشف الله ستره عنه وسلط عليه الناس، هذا والعالم المتجمل بتلك المعانى يحبه الله تعالى ويحبه رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ ويحبه العارفون بالله تعالى، ويلقى له الله المحبة فى قلوب عباده المسلمين، والهيبة فى قلوب

غيرهم.

كان يجلس أمير المؤمنين هارون بين يدى مالك بن أنس ومالك على كرسيه، وكان الملوك يقفون على أبواب العلماء، وكان العالم إذا دخل مدينة ضاق بالمجتمعين عليه المساجد والبيوت وخرجوا به إلى الصحراء، كان ابن حنبل ونظراؤه يقفون أمام القطان ليسمعوا العلم، وكان يضع يده على الدابة خلف محمد بن إدريس الشافعى إجلالاً للعلم، والعلم هو العلم ولكن أين العمل به؟ وأين النفوس التى صيغت من الجواهر النورانية لتكون محلاً للعلم؟ أصبح المتعلمون يستهينون بالعلماء كاستهانة الشرطة بالمجرمين، لم ذلك؟ لاستهانتهم بالعلم؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء ﴾ (فاطر: ٢٨).

طلبة الأزهر :

معلوم أن السعادة هى نيل وإدراك ما هو خير فى نفس الأمر، وهى بغية الإنسان من حيث هو، إلا أن السعادة تتفاوت عند الناس بقدر ما وصلوا إليه من الكمالات فقد تكون السعادة عند الجائع نيل الطعام، وقد تكون عند العريان تحصيل الثياب، وقد تكون تحصيل العلم أو نيل وإدراك ما به دوام راحته وأمنه ومسراته فى تلك الحياة ونجاته بعدها.

ولما كانت السعادة بغية كل إنسان لزم أن يكون لها حد وسط يحصل به لكل إنسان القناعة بما ناله، فلا ينافس غيره فيما ليس له، وهذا هو العدل والمساواة التى يدار عليها محور الأمن والراحة والصفا، فالمطالب بحق هو له شرعاً وعقلاً متوسط إلا أنه يجب عليه أن يبحث عن الوسائل التى تيسر المقصد وأنواعها كثيرة ،أولها التفاهم، وآخرها المنازعة.

كلنا نعتقد أن طلبة العلم أعلم الناس بالسعادة، وأحرص الناس عليها وأشدهم مطالبة لها، ونعلم أنهم بين غيرهم من الناس أعلم بالوسائل الموصلة إليها، ونعلم أنهم إنما يطلبون ما يستحقونه فى الحال أو فى المستقبل، فإن كل عامل إنما يعمل لتحسين

حاله ومستقبله، وحرصه على تحسين المستقبل أشد وأعظم، لأنا نرى الرجل منا يتعب نفسه فى الحال متحملاً فادح الآلام لتحسين مستقبله، وليس العاقل من علم الشر والخير، فإن الشر أو الخير تعلمه الحيوانات، وإنما العاقل من علم شر الشرين فاجتنبه، وخير الخيرين فسارع لنيله.

ننظر إلى الطلبة من الأزهر والمدارس بعين تستضئ بشمس العدل فترى ما لا يراه المستضئ بشمس السماء فنحكم والحكم لله وحده قائلين: إن طالب الخير الذى يستحقه ما تعدى ما دام يستحق، فإن اليتيم إذا بلغ رشده وطالب بحقه الشرعى رحمه الرحماء، وفرح بذلك الوصى حيث اعتنى بتربيته وجعله عالماً بقدره وبما عليه وله مطالباً بحقه، ويكون ذلك فخراً للولى يجعل له شهرة حسنة بين الناس، يجعل الناس يثقون به فيتخذونه وصياً ووكيلاً، ولكن إذا بلغ اليتيم رشده فطالب بحقوقه فأبى عليه الوصى ومنعه حقوقه، أثر ذلك على هذا الرشيد وعلى الناس أجمعين، والحق لا يعدم نصيراً، والحقيقة لا تسترها القوة، أقول ذلك وأنا موقن أن المطالبة بالحقوق لا تخلو من حصول ما تكرهه النفوس الفاضلة إلا أن هذا يحمل عند المصلحين والصالحين على حسن الظن بالمطالبين بما هو لهم شرعاً وعقلاً، ومن بعد عليه مقصده مد له يده، فإن لم ينله مشى له خطوات، فإن صعب عليه أجهد نفسه فكراً وعملاً لنيله حتى ينال قصده، أو يعمل حتى يناله، على أن نشوة خمر الرغبة فى نيل ما هو غذاء النفس من الشرف والمجد والحرية والإرادة، وغذاء الجسم من تيسير الرغائب ونفوذ الكلمة، تخفف آلام العامل وتجعل التعب راحة، ومتى حصل الأمل بالفوز انحصرت حركة النفس والجسم فى نيل الأمل بالعمل، وهذه فطرة كل حى مهما كان نوعه وهى فى الإنسان أكمل وأتم، وتلك الفطرة مستعلية فى النفوس بدافع قوى فلا ترتد عن نيل قصدها التى تعتقد أنه حق لها إلا بأحد أمرين، الأول: أن يظهر أنه غير حق. والثانى: القوة القاهرة التى تجعل النفوس تسكن زمناً ما عاملة بقدرها لنيل أملها حتى تهب من نومة سكونها، وليس ذلك بالأمر الغريب فى بابه فإنا نرى المجتمعات المتمتعة بالحرية

والإرادة الكاملتين تهب لنيل بعض الكمالات، كما يشب لهيب النار، وقد تظهر تلك الحركة النفسية فيمن ليس بأهل ولا محل لها كالنساء والحيوانات الداجنة.

ومن الرحمة أن تلطف تلك الحرارة بماء الرحمة والشفقة بمنح تلك الحقوق لطالبيها، وتنمية تلك الفكرة والحركة فيمن نشأت فيهم سروراً برقى مجتمع من بنى الإنسان، حتى يصبح الإنسان أخاً للإنسان يحب له ما يحبه لنفسه معاملة لله الذى خلق الإنسان بيديه، ورغبة فى نيل فضل الله تعالى الذى تفضل على الإنسان فخلقه حراً مريداً، ووعد سبحانه أنه لا يرحم إلا من رحم، ولا يمكن فى أرضه إلا من لعباده ينفع، ولو يعلم الإنسان مقدار ما يناله من الخير والعلو فى الأرض والسعادة يوم القيامة بالرحمة لعباد الله، والمسارعة فى إصلاح حالهم لشاركهم فى طعامه وشرابه، بل لقدمهم على نفسه، ولكن قتل الإنسان ما أكفره، يحب العاجلة وينسى الآخرة، وأصل كل البليات حب الذات، ومن أحب نفسه كرهه أبناؤه، فكيف بغيرهم من الناس؟ لا يلوم من أحب نفسه فكرهه الناس إلا نفسه، ولا يحسد من أحب الخير لغيره كما يحبه لنفسه فسعد، إلا جهول ممقوت، لذلك كله نرى العطف والرحمة بالطلبة وغيرهم ممن اعتقدوا أن لهم حقاً، وأن كثيراً من رجال الأمم المنصفين أثبتوا هذا الحق وطالبوا به فكانت مطالبتهم تقوية لتلك النفوس على الطلب، وما لا بد منه لا مناص عنه، وعلى الله فليتوكل المؤمنون، وأن العلماء وطلبة العلم أحق الناس بالعمل بعلمهم لأنهم القدوة والأئمة، قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم) [أورده الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين، والسيوطى فى الدر المنثور، والقرطبى فى تفسيره، وأبو نعيم فى الحلية]، وأن العلماء يعلمون الناس بأعمالهم أكثر مما يعلمونهم بعلومهم، وعالم عامل فى قومه خير من الأمطار والأموال، فإن الأمطار والأموال غذاء للأشباح، والعلم غذاء للأرواح، وشتان بين غذاء الأرواح وغذاء الأشباح.

الأزهريون ملوك الملوك :

مضى على الأزهر قروناً طويلة وهو ينبوع الحياة المتدفق بماء الحكمة والعرفان

والمعرفة والبيان، يضم بين جوانبه أئمة الأمة، ورجال الدين والأفراد الذين جملهم الله بالهيبة ممن كانت تخشع أمامهم الخلفاء والأمراء، وتتنوع بعباراتهم وإشاراتهم أفكار الأمة، انبعثت منه أشعة أنوار لطائف العرفان، وحقائق العلوم فسرت فى أرجاء المجتمع الإسلامى فأحيت قلوباً، ونشطت أبداناً، وشجعت رجالاً.

سرت من الأزهر روح الخشية من الله والمسارعة إلى نيل محابه ومراضيه حتى كان الطالب الصغير من الأزهر إذا جلس بين مجتمع من المسلمين وغيرهم أشير إليه بالبنان، وبلغت عنه القلوب والآذان، وقلد فى عمله وزيه، واعتقد كل من رآه أنه عنوان الكمال، ولا أبعد بك فإن هذا الفضل للأزهر إلى قبل الوقت الحاضر.

أرسل الوالى إلى الشيخ الباجورى يطلب منه أن يبقى فى الأزهر أهل الذكاء والعاهات، وأن يرسل إلى العسكرية من ليسوا كذلك، فلما سمع الباجورى من رسول الوالى شج رأسه بعصاه وقال: ما بقى إلا رجال العلم والتقوى، فخرج المندوب إلى الوالى يسيل دمه على وجهه فلما رآه غضب ولكنه رجع إلى صوابه وتكلم مع حاشيته قائلاً: إنا أغضبنا الأستاذ وبغضبه تغضب الأمة كلها، فهلم نرضيه وأسرع إلى الأزهر بمن معه حتى قابل الشيخ الباجورى وقال: يا (بابا) لعلك تكون بخير، فرفع صوته على الوالى فتلطف له فى الكلام، فقال الشيخ الباجورى: إنا نخدم الدين ورضينا بحالنا وأنت لا ترضى، إنى أمضى كل زمنى فى الأزهر لعدم بيت يليق بى. فقال الوالى: أحب رضاك، وأمر أن يبنى له بيت بالقرب من الأزهر فشيد له بيت هناك فى شهور، كل ذلك لشهرة الأزهر بين الأمة، واعتقاد الأمة أن رجال الأزهر هم ورثة الأنبياء وخدمة الشريعة وحملتها، فكانوا فوق الملوك قدراً، بل كانوا ملوك الملوك يعزلون الملوك ويولونهم، كان لهم ذلك لأن قلوبهم تعلقت بالحق فزهدت فى الدنيا ورغبت فى الآخرة ولم ينافسوا فيما يفنى، وكيف لا؟ وقد كان الأمراء يسعون لتلقى الدروس على العلماء فى مجالس العلم ويلتمسون منهم الدعاء ويتلقون عنهم ما يلتمسون به البركة والحفظ والوقاية، وكم من عالم أغلظ للملوك فى الكلام ووقف أمامهم وقفة من فوقهم قوة

فأفزع قلوبهم، دام ذلك المجد للأزهر حتى تشوق العلماء إلى ملابسة الأمراء، والمنافسة فى الوظائف، والميل إلى البذخ والترف، فقلد الطلبة أئمتهم حتى درست تلك المعالم والفضائل، وصار الطالب فى بدايته يجتهد لينال الدرجة ويفوز بقسط من الحظ الدنيوى فتغير الحال، وتعسرت الآمال، والتاريخ يعيد بعضه بعضاً، ولا لوم إذا تنبه طلبة العلم فى الأزهر وشعروا بالحياة التى يرونها طيبة فطلبوها، ولا يبعد أن تسرى تلك الروح فى جسد جميع الأمة بل فى المجتمع الإسلامى لأنه لا يزال للأزهر بقية خير فى النفوس وحسن ظن مهما تغيرت الأحوال، وإنا لنطمع أن يجدد الله تعالى بالنشء أهل العلم ما درست معالمه الميول النفسانية، والأغراض الفانية، ممن يحبون محو تلك القوة المعنوية التى تجمع شعث المجتمع الإسلامى، ويسارعون إلى أن ينقصوا أهل العلم فى المجتمع الإسلامى بصفات مقبوحة، ومتى كره الظرف كره المظروف.

أسأل الله تعالى أن يجدد العلم بالعلماء العاملين، وأن يجدد لجماعة المسلمين ما كان لهم من المجد مذ كانوا مقتدين بأئمة الهدى، عاملين بهدى السلف الصالح، ناهجين على الصراط المستقيم، إبان كان المجتمع الإسلامى كجسد واحد تتألم رأسه لألم خنصر، والبدايات تعلن بالنهايات.. والله ولى المتقين.

إصلاح الأزهر تجديد مجد المجتمع الإسلامى:

معلوم أن الإنسان لا يمكنه أن يستقل بنيل ضرورياته فضلاً عن كمالياته إلا بمساعدة كثيرين من بنى جنسه يقوم له كل واحد منهم بحاجة، فأحوجت تلك الضرورة إلى مبادلة لمعاوضة تستلزم مفاوضة، والنفوس جبلت بفطرها على الطمع والحرص والأمل والحسد فلزم لحفظ المجتمع عامل يقهر النفوس على عمل الخير، وهذا العامل يلزم أن يكون روحانياً لمن صيغت نفوسهم من النور، وقهرياً لمن صيغت نفوسهم من الشرور، وهذا العامل يجب أن تكون وصاياه من الله تعالى حتى تطمئن بها قلوب أهل النفوس النورانية، وأن يكون له كتاب جامع لما لابد للمجتمع الإنسانى منه من العقيدة الحقة، والعبادة الحسنة، والمعاملة الفاضلة للمساواة والحرية بين بنى

الإنسان، والأخلاق الجميلة التى تجمل أفراد المجتمع بالرحمة والعاطفة على الكل، حتى يعيش الإنسان فى حياة هنيئة، معافاً فى بدنه، آمناً فى سربه، ميسراً له قوته، فيعيش العيشة الإنسانية المحمودة شرعاً وعقلاً، ولما كان هذا القائم العامل بتلك الفضائل كلها هو سيدنا ومولانا محمد رسول الله خاتم رسل الله، الذى أكمل الله به الدين كله، وبعثه لتتميم مكارم الأخلاق، لأنه ﴿ﷺ وآله﴾ جاءنا بما جاء به الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام وزيادة، وتلك الزيادة لا تتم ضروريات الإنسان ولا كمالياته فى الدنيا والآخرة إلا بها، وتفصيل ذلك لا يخفى على البصير الذى لم يعم عين قلبه حظ ولا هوى، وإلا فكل الكتب السماوية لم تفصل لنا العقيدة الحقة تفصيلاً تطمئن به القلوب، ولم تبين لنا العبادات التى بها يقوم الإنسان شاكراً لله بكل أنواع القربات بحسب الحقائق التى تركب منها، وبحسب النعم المحاطة به وفيه، فإن الإسلام بضع وسبعون شعبة، يعنى: فوق الثلاثة وسبعون عمل من أعمال القلوب والجوارح، مفصلة فى مواضعها.

ولما كان المجتمع لا سعادة له فى الدنيا والآخرة إلا بالقيام بتلك الشعب الإسلامية، فما لنا نسمع أهل الغرور يقولون: مدنية القرن العشرين، وصناعات القرن العشرين، ورحمة القرن العشرين، فيرى تلك المدنية والرحمة والصناعات هى شر البليات على المجتمع كوحوش كاسرة نافرة فى غابة بها أنواع كثيرة من الحيوانات الراتعة، فلا يمر نفس إلا وتلك المخالب السبعية تنشب أظفارها فى لحوم وعظام، ولا تمر ساعة إلا وترى الأرض خضبت بالدماء، ولا يمضى يوم إلا وترى الهرج والمرج بين الوحوش وبعضها، أو بينها وبين الحيوانات التى لا سلاح لها، وهكذا تكون رحمة القرن العشرين الذى يدندن به أهل الجهالة والغرور.

ظهر لك أنه لا سعادة إلا بالعمل بأحكام القرآن والسنة، وتلك الأحكام هى التى تجعل الغنى يرحم الفقير فيعينه بماله وجوباً عليه لأن الله تعالى فرض عليه الزكاة، وترى الفقير يحب الغنى لأنه كخزانته التى يرجع إليها عند الحاجة فيسارع إلى جلب الخير له

ودفع الشر عنه، وقد فرض القرآن على الغنى للفقير فرضاً مخصوصاً، ورغبه فى أن يتفضل عليه بالبر والصلة والصدقات الخفية، وكفارة الإيمان، وفدية ما قصر فيه من أعمال الحج، والنذور والصدقات للاستشفاء، وإكرام الضيف والجار، ورد السائل إذا سأل، والتقرب إلى الله بنفائس الأموال، والترغيب فى إدخال السرور على الناس، والمساعدة فى المصائب، والاشتراك فى الديات، وكفارات تأخير الصيام، وغير ذلك مما جعله الله سبباً فى رفع الدرجات وغفران السيئات مما لم يكن إلا فى الدين الإسلامى، ولما كانت تلك الوصايا كلها لا تستبين جلية للعمل بها إلا بأمرين عظيمين: السماع تعليماً، والشهود تقليداً، ولما كانت هذه وظيفة العلماء لأن العالم هو الذى يعلم الناس بعمله وقوله، وكل من علم الناس بقوله دون عمله فهو داع إلى الفساد، لأن الناس أسرع إلى التقليد منهم إلى الفهم، ومتى قام العلماء بالواجب عليهم للأمة عملاً وبيانًا بالقول أصبح كل مسلم عالمًا عاملاً على قدر مكانته فى المجتمع ونسبته فيه، فيكون التاجر عالمًا بدينه عاملاً به فى تجارته، وكذلك الصانع والجندى والعامل والأمير فيصبح المجتمع الإسلامى جسداً واحداً كما قال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾: (المسلمون كالجسد الواحد) قلب ذلك الجسد خليفة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، وكل فرد من المسلمين عضو من الجسد بقدر مكانته، ويصبح كل مسلم عاملاً للخير العام، مسارعاً لمحاب الله ومراضيه، فيكون الله معنا ولنا كما كان لسلفنا الصالح ومعهم سبحانه، ونكون نحن معه كما كان سلفنا الصالح، ولديها يتفضل سبحانه وتعالى علينا بالعزة والتمكين فى الأرض بالحق، والأزهر هو الينبوع الوحيد الذى تتفجر منه عيون ماء الحياة بصلاح المجتمع وإصلاحه، وبإصلاحه تجديد المجد الإسلامى للمسلمين.

إصلاح الأزهر سعادة المجتمع فى الدنيا والآخرة :

معلوم أن سعادة الفرد تحصل بتحصيل العلم النافع والعمل به، وإنما يحصل العلم للعمل، ولما كانت الأمة جسماً مركباً من أفراد وكان لكل فرد وظيفة خاصة به ليتعين عليه القيام بها، وكان أساس تلك الواجبات كلها هو العلم، ومعلوم أن المجتمع

الإنسانى ليس كالمجتمعات الحيوانية السائمة فى الصحارى والقفار والغيضات والغابات، لأن كل فرد من الحيوانات غنى عن بقية أفراد نوعه، وبالأولى عن الأنواع الأخرى، حاشا الإنسان فإنه محتاج إلى أفراد نوعه وإلى غير نوعه، بل وإلى كل كائن من الكائنات من مراتب الوجود من التراب إلى العرش، فهو فى حاجة شديدة إلى التعاون المقتضى للمبادلة والمفاوضة، والمبادلة تقتضى قيام كل فرد بعمل تصح به المبادلة، والمفاوضة تقتضى أحكاماً عادلة لحسن المعاملات، وأخلاقاً فاضلة لدوام الصفاء، ووجداناً صادقاً عن يقين حتى ينتج رغبة فى نيل رضوان رب عظيم مبدع قادر، ورجاء لجزاء حسن ينال بعد مفارقة هذا الكون، وبدون تلك الأساسات لا يتحقق وجود مجتمع إسلامى بل ولا إنسانى، ويكون المجتمع كمجتمع الوحوش والبهائم يقهر القوى الضعيف ظلماً وعدواناً، ويسلب الجرئ حق البليد جوراً وعسفاً.

ولما كانت تلك الكمالات كلها لا تتحصل إلا بتحصيل العلوم النافعة التى أهمها تحصيل العلوم الدينية التى تكسب الإنسان حسن المعاملة، وجميل الأخلاق، والرحمة بكل كائن معاملة لله تعالى، وابتغاء الجزاء الحسن منه سبحانه.

ولما كانت تلك العلوم تقل الرغبة فيها لاشتغال بنى آدم بتحصيل المشتهيات الحسية والجسمية التى تدعو إليها ضروراته، مع الغفلة عن الكمالات الروحانية. ونسيان الحياة الفاضلة لزم أن تهتم الأمة بشأن تلك العلوم لأن حياتها السعيدة وبقاء مجدها وقوتها وتمكينها فى الأرض متوقفة على تحصيل تلك العلوم الدينية، وكانت همة السلف الصالح رضى الله عنهم متوجهة بالكلية إلى تحصيل تلك العلوم، والتجمل بها، والعمل بمقتضى العلم، الأمر الذى جعل كل فرد يعلم مقداره فى مراتب الوجود فيسارع إلى ما به يكون عاملاً من عمال الله تعالى النافعين لجميع عباد الله، إما بإتقان الصناعات، أو رواج التجارات، أو التفنن فى الزراعات، أو بالقيام بخدمة الأخلاق والآداب الفاضلة، أو ببذل النصيحة والموعظة الحسنة، حتى كان كل مسلم كأنه أمة متى شئت أن تراه قائداً تراه، أو خطيباً مصقعاً تراه، أو مخترعاً متفنناً، أو تاجراً بارعاً، أو مزارعاً متفوقاً،

أو مشيراً خبيراً، أو طبيباً، أو محدثاً عدلاً، أو مفسراً لكلام الله فقيهاً، أو مصلحاً بين الأفراد والجماعات، أو إماماً عدلاً متجملاً بالخلافة العظمى عن الله ورسوله إلا رأيته، كل ذلك كان بحسب الإقبال بالكلية على تحصيل العلم النافع.

وإنا فى زمان علم الناس قدر طرق الدنيا فسارعوا إليها ولكن جهلوا كيف يحفظوها ويبقوها بأيديهم لجهلهم بأصول وفروع دينهم، ففتحت دور تعليم الصناعة واللغات الأجنبية ومدارس الزراعات والتجارات ولكن لم تؤسس تلك التعاليم على دعائمها التى بها تنتج الثمرة المقصودة، لإهمال النفوس فى تحصيل العلم النافع، والعلم النافع الذى هو أساس كل تلك الفنون والصنائع، هو التعليم الدينى الذى يجمع العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملة التى تنتج خشية العبد من الله، ومسارعته إلى نفع نفسه وغيره، ورحمته بإخوته المؤمنين، وحرصه على نفعهم وخيرهم، ودفع الشر عنهم، وبعده عن الحسد والحرص والطمع التى هى أصول المفاسد والرذائل، ليعيش فى هناء عضواً عاملاً للمجتمع الإسلامى، سعيداً فى الدنيا والآخرة. كل ذلك لا يتحصل إلا بإصلاح المعاهد الدينية، وإن رجال الدين هم ورثة رسول الله، وحملة شريعته، القائمون مقامه، لا يخشون إلا الله، ولا يخافون لومة لائم فى جانب الله، تجلت لهم حقيقة الإيمان فكانوا كما وصفهم الله بقوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (فاطر: ٢٨)، ظهرت لهم حقيقة الدنيا وقصرها وطول الحساب عليها، فاحتقروها أن تكون مقصوداً لهم، فكانوا أئمة للأمة، وقادة للمتقين.

ما لابد منه لإصلاح الأزهر الشريف :

الأزهر عين الحياة للمجتمع الإسلامى التى تتفجر منها ينابيع العلم بالله تعالى، وبأيام الله تعالى، وبأحكام الله تعالى، فتشفى الصدور من وغرها، وتفتح أقفال القلوب، وتنبعث منه أنوار الأخلاق والآداب الإسلامية حتى تستبين بها سبل الله تعالى وطرق الخير الموصلة إلى نيل فضل الله ورضوانه.

ولما كان الأزهر هو المعهد الوحيد لتعليم المجتمع الإسلامى أمر دينه، وبث روح

الخشية من الله، والرغبة فيما عنده، وبيان ما يحبه الله ويرضاه من العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات، وهذا البيان يجب أن يكون بالعلم والعمل، فإن تأثير العمل على النفوس أقوى من تأثير العلم، كان ولابد أن يكون الأزهر وملحقاته خاصاً بهذا الخير العظيم، وأن يكون التعليم فيه مقصوداً منه تخريج رجال هم أشبه برسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ غيرة وأخلاقاً وآداباً وعلماً وزهداً وعملاً، حتى لا يفقد العالم الإسلامى صورة رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ بينهم، وتلك الحقيقة لا يمكن أن تظهر جلية إلا بتربية النفوس تربية علمية عملية بحيث أن تكون تلك العلوم مما لا بد منها لمن يقوم مقام رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾، من معرفة الله تعالى، وعلم أحكامه، ومحابه ومراضيه، وعلم حكمة أحكامه، ولا يتسنى ذلك إلا بعد علم الطالب نفسه، فإن من جهل نفسه جهل ربه، ومن جهل ربه كيف يسمى عالماً؟ أو كيف يكون إماماً للمتقين؟.

إنا على يقين أن كل فن أو صنعة يتعلمها طالب العلم فى الأزهر بعد أن يحصل ما عليه تكون معينة له فيما هو موجه وجهه شطره.

وإنى لأعجب ونحن فى عصر أشد ما نكون احتياجاً إلى تحصيل العلوم النافعة لما ألم بالمجتمع الإسلامى من الأمراض والفتن، حتى تشرق أنجم تبين للناس ما هم فى حاجة إليه خشية من أن تمحو تلك الفتن بظلماتها لوامع أنوار الحق.

(العلماء ورثة الأنبياء) وما هو ميراث الأنبياء؟ هل مال وجاه وزينة وتفاخر وتردد على أبواب الأمراء والملوك، ونبش قبور من سبقنا من اليونان والفرس والآشوريين وغيرهم، وتحصيل ما كانوا عليه فى أزمان الجهالة وكسف العقول بعد إشراق النور؟ إنى لأعجب من نبش القبور فى عصور النور، إن الله تعالى أغنانا بما أنزله على لسان نبينا من النور الذى أحيا أمة جاهلية عمياء من حضيض الأرذلين إلى منافسة ملائكة السماء، فنشروا النور والعمل والفضل والرحمة، وبدلوا الظلم بالعدل، والجهل بالعلم، حتى أصبح الإنسان أخا الإنسان، وصار أكثر بنى الإنسان يقول: ربى الله، لا يرى فوقه شمساً ولا قمراً، ولا ملَكاً ولا مِلِكاً، كيف نجهل؟!! وبما أنزل الله على نبيه ارتقى

العالم أجمع من حضيض الجهالة إلى أفق حياة الاختراع والتجارات والمنافسة، وإلا فأين العدل قبل الإسلام؟ وأين الحياة والنور قبل الإيمان الذى أنزله الله لنا على لسان نبيه ﴿ﷺ وآله﴾؟ وليس تاريخ القرون الوسطى ببعيد على أهل البصيرة، ولا عقائد الأمم التى تمدينت الآن، ولا إعظامهم وتقديسهم لأفراد منهم يمحى من بطون التاريخ، فكيف يسودون بهذا النور وإن لم يعتقدوا عقيدته؟ ونحن أهله وعلينا أنزل وبنا ظهر.. فلا حول لا قوة إلا بالله.

إصلاح الأزهر حياة للعالم أجمع، وفى الأزهر شبيبة لو سقوا من هذا الينبوع هذا الشراب الطهور لأصبح المجتمع الإسلامى ليس فوقه إلا الله، بل ولأصبح الله معنا ولنا، بل ولخدمتنا ملائكة السماء، ودانت لنا ملوك الأرض.

تطلب مؤلفات الإمام المجدد

السيد محمد ماضى أبو العزائم عليه السلام

من مكتبة دار الكتاب الصوفى

تليفون **3901030 022 002**

١١٤ش مجلس الشعب

فى جانب تفسير القرآن :

١- هذا السفر الجليل " أسرار القرآن ".

٢ تفسير سورة القدر.

فى جانب العقيدة :

١- كتاب عقيدة النجاة .

٢- كتاب الإسلام دين الله وفطرته التى فطر الناس عليها.

فى جانب العلوم الفقهية:

١- كتاب أصول الوصول لمعية الرسول ﴿ﷺ وآله﴾.

٢- صيام أهل المدينة المنورة.

٣- هداية السالك إلى علم المناسك .

فى جانب السيرة النبوية والرد على المستشرقين:

١- سيرة النبى ﴿ﷺ وآله﴾

٢- وسائل إظهار الحق .

فى جانب ما يجب أن يعرفه المسلم :

١- النشأة الثانية.

٢- الوسيلة وما إختلف فيه من السنة والبدعة.

٣- الشفاء من مرض التفرقة.

٤- الجفر.

٥- تحذير الدين من بيع أراضى فلسطين.

٦- النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين.

٧- الرد على نظرية دارون.

فى جانب الأخوة الإسلامية :

١- الإسلام نسب يوصل إلى رسول الله ﴿ﷺ **وآله**﴾.

٢- الإسلام وطن والمسلمون جميعا أهله.

فى جانب المناسبات الدينية :

١- السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج

٢- بشائر الأخيار فى مولد المختار

٣- مشارق البيان فى فضائل شعبان

٤- لبيك اللهم لبيك.

فى جانب المسرحيات الدينية :

١- محكمة الصلح الكبرى.

٢- العالم والتاجر والفلاح.

٣- المقتصد والمسرف والفاسد.

٤- السياسى والحكيم والغشيم.

٥- الصالح واللص والسكرى.

فى جانب الصلوات والأدعية :

١- نيل الخيرات بملازمة الصلوات.

٢- الفتوحات الربانية والمنح النبوية فى الصلاة على خير البرية.

٣- الأدعية والاستغاثات الكبرى.

فى جانب التصوف :

١- شراب الأرواح من فضل الفتاح.

٢- تذكرة المرشدين والمسترشدين.

٣- معارج المقربين.

٤- الطهور المدار على قلوب الأبرار.

٥- من جوامع الكلم.

٦- الطريق إلى الله تعالى.

٧- الفرقة الناجية.

٨- دستور السالكين طريق رب العالمين.

٩- دستور آداب السلوك إلى ملك الملوك.

١٠- مصطلحات الصوفية

١١- آداب آل العزائم

١٢- دروس تزكية النفوس

١٣- موارد أهل الصفا

١٤- قبس من المضنون

١٥- الصوفية والتصوف

فى جانب المواجيد:

١- مواجيد شهر محرم، صفر، ربيع أول، ربيع آخر، جماد أول، جماد آخر، رجب، شعبان، رمضان.

٢- المواجيد العزمية فى مواجهة الروضة الحسينية.

٣- ديوان ضياء القلوب من فضل علام الغيوب.

الموضوع	الصفحة
الافتتاحية	
الفصل الأول: عقائد	١
- تسامح الإسلام مع الأقباط	٣
- حقيقة اليهودية والنصرانية	٦
- قضية صلب وقتل المسيح	٩
- النصارى بعد المسيح	١٩
- الإسلام والسيف	٢١

- فنون بنى الأصفر ٢٥
- طعام أهل الكتاب والزواج منهم ٢٧
- معاملة غير المسلمين فى بلاد الإسلام ٣٠
- أكثر أهل الكتاب فاسقون ٣٢
- نزول المسيح فى آخر الزمان ٣٥
- الجزية ٣٧
- أركان الإسلام وأركان النصرانية ٣٨

الفصل الثانى : علمانية ٤٣
- مقدمة ٤٥
- محدثات العصر ٤٥

الموضوع **الصفحة**

- المسرح والسينما والتمثيل ٤٥
- التصوير ٤٦
- الأدب والأديب ٤٦
- الغناء والسماع ٤٧
- الآلات الموسيقية ٥١
- الآداب والفنون الجميلة ٥٢
- الفكرة التعاونية ٥٦
- الحياة الاقتصادية ٥٦
- النهوض بالمجتمع ٥٨

- الملابس الإفرنجية وبعض الأعمال لا تمكن الإنسان من الصلاة ٦١
- العلمانية والماركسية ٦٣
- العلماء التقدميين ٦٥
- قضية المرأة ٦٦
- الخمر وأضراره ٧٢
- علم المنطق ٧٨
- العلوم العصرية ٨١

الموضوع **الصفحة**

- أثر الإسلام على الإنسانية وخصوصاً أوربا وأمريكا ٨٥
الفصل الثالث : سلفية ٩١
- الدعوة بالتوحيد بين المسلمين ٩٣
- التوسل ٩٥
- الوسيلة ١٠٥
- مشروعية الاحتفال بمولده ﴿ﷺ وآله﴾ ١٠٦
- زيارة روضات أولياء الله الصالحين ١٠٨
- إحياء ليلة النصف من شعبان ١١٣
- الأذان على المنارة ١١٥
- الصلاة والسلام على الرسول ﴿ﷺ وآله﴾ بعد الأذان ١١٦
- صلاة التراويح ١١٨
- قراءة القرآن يوم الجمعة ١١٩

- التبليغ وراء الإمام ١٢١
- سؤال السابقين ١٢٢
- تكفير المسلمين ١٢٣
الفصل الرابع : صوفية ١٢٥
- علم التصوف والصوفية ١٢٧

الموضوع **الصفحة**

- التداوى والادخار لا يتعارضان مع التوكل ١٣٤
- خِدع أهل الطرق الصوفية ١٣٧
- أهل البدع من دعاة السلفية وأدعياء الصوفية ١٤٣
الفصل الخامس : إسلامية ١٥٥
- الإسلام والسياسة ١٥٦
- حالة المسلمين الآن ١٥٦
- تردد العلماء على غير المسلمين فى رمضان ١٥٧
- خصال الزعماء المصلحين ١٦١
- المتعين الآن بعد إلغاء الخلافة ١٦٤
- الحرية والعولمة والجات ١٦٥
- الاختلاف المفيد ١٦٨
- لماذا ننهزم اليوم؟ ١٦٩
- مجتمع المدينة المنورة هل يعود؟ ١٧١
- حقيقة الجار الجنب ١٧٣
- أهمية التجديد فى الإسلام ١٧٣

- أثر الإمام فى الحياة الاجتماعية فى عصره ١٧٦
- دور الإمام فى الدعوة إلى الله ١٧٦
- دور الإمام فى العلم والتعليم ١٨١
- الفرق الإسلامية ١٨٦
- حكم المرتد ١٩٢
- العمل بالقرآن هل يضر غير المسلمين؟ ١٩٤
- حقيقة الخير والسعادة واللذة ١٩٦
- ما سبب كثرة أمراض هذا العصر البدنية؟ ١٩٧
- هل معنى كمال الدين عدم القياس؟ ١٩٨
- هل باب الهجرة مفتوح فى هذا الزمان؟ ١٩٩
- حكمة تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع وما ذبح على النصب والاستقسام بالأزلام ٢٠٠
- ميراث المرأة ٢٠٥
- منع الحمل والإجهاض ٢٠٦
- وسائل منع الحمل على عهد رسول الله ﴿ ﷺ وآله﴾ ٢٠٨
- زواج المتعة ٢١١
- قضية التقية ٢١١
- الربا واليهود والبنوك ٢١٣
- مشروع إصلاح الأزهر الشريف ٢٢٩